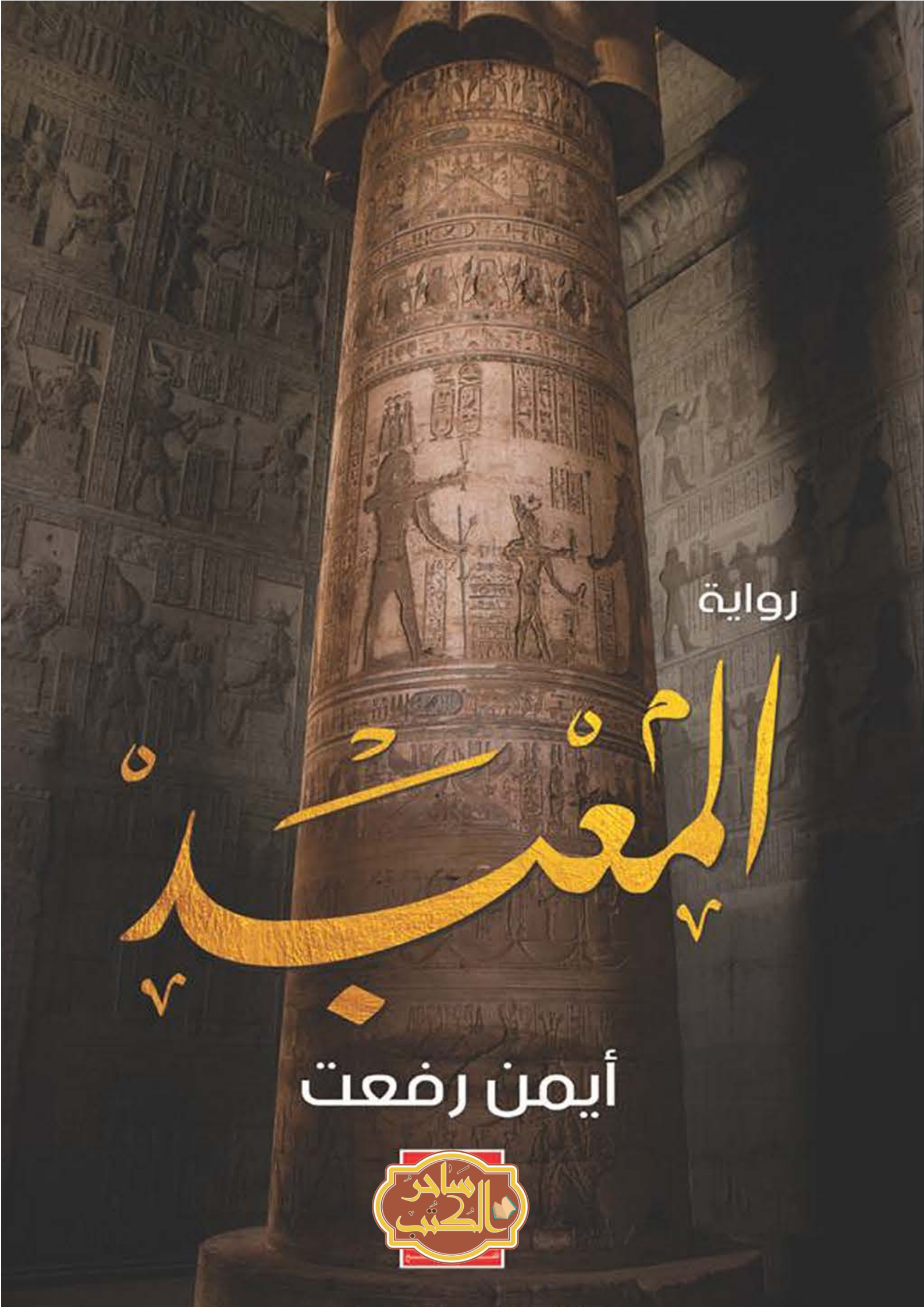
رواية
المعبد
أيمن رفعت
ساحر الكتب

المعبد

لتحويلك إلى الجروب أضغط هنا

لتحويلك إلى الموقع أضغط هنا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

إهداء

إلى:

الذي رحل في صمت، وترك فراغًا لم ولن يملأه أحدٌ غيره..

عن أبي أتحدث.

إلى:

التي شجعتني قبل أن تقرأ كلمة واحدة مما أكتب،

كانت ومازالت دعواتها سر نجاحي في الحياة..

الغالية على قلبي... أمي.

المقدمة

في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي عاشت مصر عصرًا من أزهى عصورها وأكثرها رخاءً، وفي العام 1049م قرر الخليفة تعيين الأمير أحمد بن عبد الله شيخًا للباحثين(*). للتنقيب عن الكنوز الفرعونية المدفونة في ربوع مصر.

خلال ثلاثة أعوام حقق الأمير ما لم يحققه أيٌ ممن سبقوه، فقد اكتشف العديد من المقابر لملوك وأمراء مصر الفرعونية، بما احتوته من كنوز ومجوهرات، زادت من ممتلكات الخليفة وخزانة الدولة.

إلى أن حدث ما لم يكن في الحسبان، جف نهر النيل. تصحرت الأرض، وهلك الحرث والنسل، وضربت المجاعة مصر عام 1052م فيما عُرِفَ بالشدة المستنصرية، والتي أدت إلى أن يأكل الناس جثث المتوفين منهم، بل إن الأمر قد وصل في بعض الحواري والأزقة أن يقتل أهلها أي غريب يقوده حظه العثر إليهم، وأن يأكلوا لحمه دون أن يردعهم دينهم أو أخلاقهم أو حتى إنسانيتهم.

كانت أسباب الأزمة معروفة للجميع، إلا أن الأمير كان له رأي

(*) هذه الشخصية خيالية من وحي خيال المؤلف، إلا أن أحداث الشدة المستنصرية حقيقية، وكذا البحث عن الآثار في العصر الفاطمي.

آخر، فقد كان مقتنعًا بأن سبب الأزمة هو ذلك المعبد الفرعوني الذي اكتشفه قبل بدء المجاعة بأسابيع قليلة، كان لديه يقين تام بأن هناك لعنة ما، تحيط بهذا المعبد. فليست صدفة أن يفقد والدته ويموت أكبر أبنائه بعدها بأيام قليلة غرقًا في النيل، وذلك بعد مضي أسبوع واحد على اكتشافه، ناهيك عما آل إليه حال البلاد.

استمع إلى ما أشار به مساعدوه، وأرسل الرجال لإضرام النيران في المعبد ليحيلوه رمادًا، ويقضوا على اللعنة إلى الأبد. ولكن الرجال لم يعودوا من مهمتهم قط، بل عُثِرَ على جثثهم داخل المعبد. لم تكن ممزقة فحسب، بل كانت أشبه بالمومياوات، وقد امتُصَّ منها رحيق الحياة.

استدعى الأمير كبار السحرة الذين أشاروا عليه بأن يُعيد كل ما أُخذَ من المعبد إلى نفس مكانه الذي عُثرَ عليه فيه، على أن يقوموا بقراءة بعض تعاويذهم، ثم يغلق الأمير بعدها المعبد بحيث يصعب على أيٍّ مَنْ كان أن يجد مدخله.

وبالفعل قام الأمير بتنفيذ كل ما طُلِبَ منه، وأغلق المعبد، ولكن هل انتهت القصة بغلق المعبد؟ هل اتخذ الأمير كل احتياطاته لضمان عدم العثور عليه مرة أخرى؟

الفصل الأول

انتصف الليل وتلألأت النجوم في سماء مدينة تانيس(*)، وألقى القمر بظلاله على المعابد التي خلت من روادها في هذا التوقيت. قطع هذا السكون صوت خطوات مسرعة لمجموعة من الجنود بملابسهم الفرعونية المميزة لتلك الحقبة من التاريخ، يتوجهون في سرعة نحو مدخل أحد المعابد المنعزلة.

كان المعبد بكامله تحت الأرض، ولا يظهر منه سوى مدخل، تقود درجاته للأسفل إلى ممر يتجاوز العشرة أمتار طولًا، بينما يقارب سقفه الخمسة أمتار ارتفاعًا. تزين جدرانه الرسومات التي بدت بألوانها الداكنة، وأشكالها الغريبة، وكأنها تعاويذ تنقسم ما بين اللعنات والنداءات للإله ست.

يوضح جزءٌ من هذه الرسوم الكهنة وهم يمارسون طقوس عبادة إله الشر «ست»، ويقدمون له القرابين البشرية، فيما يوضح جزءٌ آخر معارك جمعت بين الإله «آمون» وإله الشر.

على جانبي الممر تراصت عدة تماثيل ضخمة من الجرانيت الأسود لهذا الأخير بقامته المنتصبة على هيئة جسد إنسان، ورأسه التي بدت كرأس حيوان غريب الشكل ذي أذنين قائمتين، كان وجهه أقرب ما يكون إلى الذئب، عدا أن فكيه يميلان إلى الاستطالة. يخيّل لكل من يمر بقرب هذه التماثيل أنها لا تنظر إليه فقط، بل إنها تتابعه بنظرات تبعث الرعب في الأوصال.

(*) مدينة تانيس: عاصمة مصر الفرعونية في عصر الأسرة الحادية والعشرين، تُعرف حاليًا باسم (صان الحجر) وهي إحدى القرى التابعة لمحافظة الشرقية.

بداخل المعبد، وعلى الأضواء المتراقصة للمشاعل، اختلطت الأصوات، ما بين صراخ طفل رضيع لم يتجاوز عامه الأول، مستلقيًا على ظهره، ومقيدًا إلى صخرة مسطحة أشبه بطاولة بيضاوية الشكل، فيما تتناثر عليها آثار لدماء جافة. وصوت كبير كهنة « «ست» « يتمتم بكلمات تقشعر لها الأبدان، حتى ولو لم يُفهم فحواها.

وبإشارة من القائد توقف الجنود أمام المدخل ليستمعوا لقائدهم وهو يقول: تذكروا تعليمات الإله آمون التي أرسلها إلى مليكنا «بسوسنس الأول». القضاء على خادم الإله «ست» وكبير كهنته، للتخلص من شروره وترويعه للآمنين، وغلق المعبد على جثمانه، لحرمانه من عبور البوابات الاثنتي عشرة إلى الحياة الأبدية، وليحترق في الجحيم. أومأ الجنود برؤوسهم دلالة على تفهمهم لأوامر الإله آمون.

بإشارة من القائد، انقسم الجنود إلى مجموعات صغيرة، توجهت أولاها لمدخل المعبد، ومعها القائد نفسه، وتبعتها باقي المجموعات.

كانت مهمة المجموعة الأولى هي استكشاف المدخل، تمهيدًا لدخول باقي الجنود. وعلى ضوء المشاعل، وبنظرات ملؤها التوتر، تنقلت نظرات الجنود تتفحص ما نُقش على الجدران، وانبعث الرعب في أوصالهم وهم يقرؤون عبارات التهديد والوعيد لكل من تسوّل له نفسه مجرد الاقتراب من المعبد، فما بالك باقتحامه.

- تلاقت عيون جنديين، وهمس أحدهما لزميله في توتر: ما كل هذه اللعنات يا تاف! هل سنظل أحياء بعد هذا؟!

- أجابه «تاف» وهو يحاول جاهدًا أن يبدو متماسكًا: لا تخف يا رام، إن الإله آمون معنا، ولن تصيبنا أية لعنة فنحن ننفذ أوامر ...

توقفت الكلمات في حلقه، وتسمرت قدماه، فيما اتسعت عيناه في رعب وهو ينظر أمامه، فعلى ضوء المشاعل، وعلى بعد أمتار قليلة منه، وقف شخص يتشح بالسواد، مطأطئ الرأس، يرتدي قلنسوة تلقي بظلالها على وجهه، فلم يَظهر من ملامحه شيء، وفي يده عصا غليظة تقارب المترين طولًا. وبجواره وفي سكون تام، قبع أسدان ضخما الجثة، ينظران إلى الأمام في ثبات، وكأنهما تمثالان أبدع النحات في صنعهما.

ارتعدت فرائص الجنود، فقد كان المنظر مرعبًا بحق، وهموا بالتراجع إلا أن القائد «حم نخت» صاح فيهم ليثبتوا، وهو يُذَكِّرهم بأن الإله آمون ناصرهم لا محالة. تماسك الجنود واتخذوا وضعية القتال، وقبض كل منهم على سلاحه.

- استدعى القائد «حم نخت» أحد الجنود، ووضع يده على كتفه قائلًا: «تاف»، لقد اخترتك لتتقدمنا جميعًا، نظرًا لما أبليته سابقًا، فأنت خير الجنود لدي.

- بوجه يعلوه الدهشة سأله تاف: أنا أيها القائد؟!! لكنك

بالأمس قد وصفتني بأنني وصمة عار في جبين البشرية منذ بدء الخليقة!

- هز «حم نخت» رأسه نفيًا وهو يقول: لا يا «تاف»، كان هذا لتشجيعك لتُخرج أفضل ما لديك. ثم أردف قائلًا: إن هذا يومك، وستكون أسطورة تتناقلها الأجيال. ستتقدمنا جميعًا لتفتح لنا باب النصر، وسيتبعك الجميع.

- لمعت عينا «تاف»، وشد قامته قائلًا في زهو: اطمئن أيها القائد «حم نخت». يمكنك الاعتماد علي. ثم ما لبث أن قبض على قوسه واستل سهمًا من جعبته، وبدأ في التقدم.

- وما هي إلا خطوات قليلة حتى التفت «تاف» إلى الخلف حيث القائد «حم نخت»، الذي أومأ برأسه تشجيعًا له، وهو يحدث نفسه قائلًا: حقًا إن المظاهر خادعة، فإن «تاف» ليس غبيًا بقدر ما يوحي مظهره، بل في حقيقة الأمر هو أغبى من ذلك بكثير.

- تابع «تاف» تقدمه ومن خلفه المجموعة الأولى، وهو يُحَمِّس نفسه قائلًا: إن القائد «حم نخت» يؤمن بي، اطمئن أيها القائد لن أخذلك أبدًا. ثم ما لبث أن توقف، وبصوت خافت أشبه بالهمس خاطب رفاقه قائلًا: سأرمي بسهمي ذاك المتشح بالسواد، وبمجرد سقوطه ستقتلون هذين الأسدين لنفتح الطريق أمام زملائنا.

- لفت نظر «تاف» أنه حتى هذه اللحظة لم يصدر عن ذاك الشخص المخيف أية حركه، ابتلع ريقه، وحدَّث نفسه متسائلًا: هل هذه مجموعة من التماثيل وضعها الكهنة هنا لتبث الرعب في نفوس من يتجرأ على الدخول؟ أتعشم هذا. استجمع رباطة جأشه، وأطلق سهمه وهو يصرخ: «الموت لخادم الإله ست».

ما إن انطلق السهم حتى دبت الحياة فجأة في مجموعة التماثيل- أو ما خيل إليهم أنها كذلك- فرفع ذاك المتشح بالسواد رأسه لأعلى ناظرًا إليهم بعينين بدتا وكأنهما جمرتان مشتعلتان، مما بدد أي أملٍ في نفوسهم أن يكون بشريًا، وانتصب الأسدان واقفين يزمجران في انتظار إشارة سيدهما للانقضاض، والفتك بالجميع.

*****

انتفض نادر جالسًا في فراشه يتصبب عرقًا، ويستعيذ بالله بأنفاس متسارعة، هدأ قليلًا، ثم أمسك بهاتفه المحمول، ونظر إلى شاشته التي توضح أن الساعة قد جاوزت الثانية صباحًا بدقائق قليلة من صباح الخامس من يونيو عام 2018.

وضع الهاتف على المنضدة بجواره، وأزاح الغطاء جالسًا على طرف فراشه، واضعًا رأسه بين راحتيه وتنهد قائلًا: إيه موضوع الكابوس ده، دي تالت مرة يجيلي!

ممكن يكون إنذار؟ هز رأسه، وكأنما يحاول طرد هذه الفكرة من رأسه. حانت منه التفاته إلى الفراش المجاور له، حيث يغط زميله وصديقه سليمان في نوم عميق، تنهد وهو يحدث نفسه قائلًا: يابختك ياسليمان، وما لبث أن قام واقفًا، وتوجه لدورة المياه الملحقة بالكارافان خاصته.

الدكتور نادر نبيل، عالم آثار مصري شاب في منتصف العقد الرابع من العمر، خريـج كلية الآثار. متوسط الطول ذو جسد رياضي، يهوى ممارسة رياضة الصيد بالخرطوش المحببة إلى قلبه. له وجه من تلك الوجوه المألوفة ذات الملامح المصرية الخالصة، التي تجعلك تظن عندما تراه أنك لا تعرفه فحسب، بل تكاد تجزم أنه أحد أصدقائك. متزوج من الدكتورة ريم محفوظ. لديهما طفل في السابعة من عمره، اسمه أحمد، تيمنًا باسم جده الذي كان يعشقه. على وشك أن يُرزقَا بالطفل الثاني في غضون شهرين أو أقل قليلًا.

نال درجة الدكتوراه في سن صغيرة، مقارنة بأقرانه، ولم لا وقد دفعه عشقه للتاريخ الفرعوني لأن يفضل الالتحاق بكلية الآثار- على غير رغبة والديه- على الرغم من تفوقه في الثانوية العامة، وحصوله على مجموع يؤهله للالتحاق بإحدى كليات القمة.

في دورة المياه، وقف نادر مستندًا براحتيه إلى حوض غسيل الوجه، ممعنًا النظر لانعكاس صورته في المرآة التي أمامه. دقّق النظر إلى وجهه الذي بدت عليه علامات الإرهاق، وكيف لا

وهو الذي لم ينل قسطًا كافيًا من النوم منذ أيام، بعدما قض مضجعه ذلك الكابوس، الذي راوده بشكل متكرر، وبالتحديد منذ بدأ التنقيب بمنطقة هرم «خوفو» وعثوره على مدخل ذي درجات تقود للأسفل، إلى ما يُعتَقَد أنه أثر مدفون تحت الأرض، وهو ما أظهرته الصور الملتقطة بالقمر الصناعي، مما دفع وزارة الآثار لتشكيل فريق برئاسته للتنقيب في هذه المنطقة.

انطلق بذكرياته إلى ذلك اليوم الذي جلس فيه مع زميله الدكتور سليمان، وقد قاربت الشمس على المغيب، يتابعان أعمال البحث عن ذاك الأثر، وكيف أمضوا أيامًا طويلة في البحث عن المدخل المنشود دون جدوى، حتى كاد اليأس يتسرب إلى نفوسهم بعدما نال التعب والإرهاق منهم، إلى أن سمع أحدهم ينادي من خلفه وبعلو صوته يقول: يا دكتور نادر، يا دكتور سليمان.

الدكتور سليمان عبد المجيد، صديق طفولة نادر، وزميل الدراسة، أعزب في العقد الرابع من العمر، طويل القامة نحيف الجسد، أبيض البشرة ذو عينين عسليتين، وشعر بُنِّيٍّ مجعد، يرتدي نظارة طبية ذات عدسات سميكة. يتريث كثيرًا قبل أية خطوة يخطوها، كما أنه يخاف تقريبًا من أي شيء أو كما يُقال «بيخاف من خياله»، حتى إنه لا يستطيع النوم إلا ونور الغرفة مضاء.

انتفض نادر وسليمان واقفين، والتفتا تجاه الصوت، وإذا به عم سعيد كبير العمال بجسده الممتلئ، يأتي مهرولًا قدر

استطاعته، و ما إن وصل إليهما حتى توقف محاولًا التقاط أنفاسه.

- وضع نادر يده على كتفه محاولًا تهدءته قائلًا: إستريح يا عم سعيد خد نفسك الأول.

سعيد بسطويسي، أو كما يناديه الجميع عم سعيد، كبير العمال، في العقد السادس من العمر، قصير القامة ممتلؤها. أسمر البشرة، مكتنز الوجه، وخط الشيب لحيته، وما تبقى من شعر رأسه، تغلب على ملامحه الطيبة كحال معظم أهالي محافظة أسوان التي ينتمي إليها، وهو ما يبدو واضحًا من لهجته الصعيدية الأصيلة، حفر الزمن خطوطه بقسوة على قسمات وجهه، تلك الخطوط التي توحي بقدر لا بأس به من خبرات الحياة.

- أخذ عم سعيد يجفف عرقه، وبأنفاس متقطعة حاول أن يشرح ما حدث قائلًا: كنا شغالين يا دكتور في الحتة اللي كنا فيها إمبا... إمبارح، وبعدين الواد عب.... عبد الحميد راح شايل حجر كبير.....، ثم ما لبث أن فرد ذراعيه بجواره على امتدادهما وتابع قائلًا: حجر كبير قد كده وراح..... راح راميه على الأرض ولقينا با.... باب.

- بدت علامات عدم الفهم على وجه كلٍ من نادر وسليمان، فتبادلا النظرات، ثم ما لبث نادر أن قاطعه قائلًا: يا عم سعيد خد نفسك كده وفهمنا بالراحة عبد الحميد مين؟ وحجر إيه؟

- تنهد عم سعيد قائلًا: يا بيه الواد البغل عبد الحميد ما إنت عارفه، اللي عامل زي التور ده. كنا مريحين شوية بنشرب كوبايتين شاي، إتراهن مع البغل التاني اللي اسمه سيد، إنه يعرف يشيل حجر كبير لوحده، راح متعازم، وحاول يشيله بس كان هيطقله عرق، ويادوبك شاله ييجي شبر، وكنت أنا نايم على جنبي علشان أشوف هيرفعه قد إيه.

- تنهد الدكتور سليمان قائلًا: ماشي يا عم سعيد وبعدين؟

- طقطق سعيد بلسانه ثم قال: ما أنا جايلك في الكلام أهوه يا دكتور، ببص تحت الحجر لقيت حاجة كده زي ما تكون حلقة حديد، ممكن تكون مقبض باب ولا حاجة.

- انتبه نادر وسليمان لكلام عم سعيد، فأمسكه نادر من كتفيه وسأله في لهفة: حلقة إيه؟

- أجابه سعيد في صوت غلب عليه الحماس: حلقة باب، شكله كده المدخل اللي كنت بتدور عليه يا دكتور.

اندفع إكلٌ من نادر وسليمان بأقصى سرعة إلى مكان التنقيب، وما هي إلا لحظات حتى كانا يساعدان العمال في رفع الحجر الضخم الذي أشار إليه سعيد.

- تألقت عينا نادر عندما وقع بصره على الحلقة المعدنية، فنظر إلى سليمان الذي بدا عليه الانفعال وهو يقول: هو ده المدخل؟ يااااه أخيرًا.

- أمسك نادر بالحلقة المعدنية محاولًا رفع الغطاء، فما كان من سليمان إلا أن قبض على معصمه في سرعة وهو يسأله متعجبًا: بتعمل إيه يا نادر؟!

- التفت إليه قائلًا: بارفع الغطا، إيه المشكلة!

- ارتسمت على وجه سليمان علامات الانزعاج وهو يقول: المشكلة يا نادر إن الجو بدأ يلَيِل وإحنا مش عارفين الغطاء ده وراه إيه. ثانيًا وده الأهم هترفعه لوحدك إزاي؟! ده شكله عايزله إتنين تلاتة يرفعوه. أنا رأيي نستنى للصبح، الصباح رباح.

- ضحك نادر وغمز بعينه وهو يقول: عندك حق الجو ليل والضلمة وحشة، ثم استدرك قائلًا: طيب إحنا ممكن نعمل حاجة صغيرة، نرفع الغطاء، علشان نتأكد إن ده المدخل فعلًا، ممكن ما يكونش هوه، وأنا بصراحة مش هايجيلي نوم من غير ما أعرف إيه اللي تحت الغطاء ده.

- أطرق سليمان برأسه مفكرًا قليلًا ثم قال: خلاص نرفع الغطاء بس، ونسيبه كده لبكرة الصبح، ونحط عليه حراسة لغاية ما نيجي بكره نكمل شغل.

- ابتسم نادر وهو يقول: ماشي يا سيدي موافق. ثم التفت إلى العمال قائلًا: يا رجالة عايزين نرفع الغطاء ده بالراحة، خدوا بالكم إحنا مش عارفين تحته فيه إيه.

- تمتم سليمان قائلًا: ربنا يستر.

- التفت إليه نادر يسأله: بتقول حاجة يا سليمان؟

- أجابه في سرعة: لأ، بأقولهم شدوا حيلكوا.

- تجمع العمال حول الغطاء يحاولون رفعه، بدا واضحًا عليهم مقدار ما يبذلونه من جهد لزحزحة الغطاء من مكانه دون جدوى، حتى صاح سعيد فيهم مشجعًا: ياللا يا رجاله، ما تكسفوناش مع البهوات.

- لحظات وانزاح الغطاء من مكانه، كاشفًا عن فتحة مستطيلة الشكل شديدة الظلمة، وكأنها قطعة من الليل في ليلة حالكة السواد.

ما إن إن انزاح الغطاء حتى لفح وجوههم فجأة تيار من الهواء، اندفع تجاههم من داخل الفتحة المظلمة، وانتابت الجميع رجفة، لا يعرف أحدهم سببًا لها. تسمر الجميع في أماكنهم يتبادلون النظرات، وهمهم العمال فيما بينهم، وترامى إلى أسماع نادر من يذكر لعنة الفراعنة.

- صاح نادر في العمال بلهجة حازمة قائلًا: مفيش حاجة اسمها لعنة الفراعنة، ده كلام فاضي. مش عايز حد يتكلم في الهبل ده تاني، ثم أشار ناحية الطريق قائلًا: اللي خايف يتفضل يروح.

- لم يتحرك أحد من مكانه، فقد كان كل منهم يخاف أن يصبح محل سخرية أهل قريته الذين سيتهمونه بالجبن.

تنقل نادر بعينيه يتفحصهم، ثم ما لبث أن قال: كويس جدًا، أنا كنت متأكد إن مفيش حد فيكم عيل صغير، ولا إيه رأيك يا دكتور سليمان؟

لم يتلق جوابًا، فالتفت للخلف ليجد سليمان شاخص النظرات، شاحب الوجه لدرجة توحي لمن يراه أنه إما قد أوشك على الموت، وإما أنه قد مات بالفعل قبل ذلك مرة أو مرتين على أقل تقدير.

- أمسكه من كتفيه، وقام بهزه في رفق قائلًا: سليمان فيه إيه؟

- هز سليمان رأسه وكأنما ينفض أفكارًا عنها قائلًا: نادر، أنا حسيت برعشة غريبة أول ما شيلنا الغطا، هو المكان ده مسكون؟

- نظر إليه نادر مندهشًا وهو يسأله: مسكون إيه يابني! إيه الكلام الغريب ده! ثم أمسك به من يده وسحبه بعيدًا عن العمال، وأردف قائلًا: الناس مش ناقصة، بطل يا سليمان الكلام ده، عيب عليك ده إنت دكتور في الآثار. أنا هاثبتلك إن دي كلها تهيوءات.

- التفت إلى سعيد قائلًا: عم سعيد هات لي شعلة من اللي معاكو دي وولعهالي، وما هي إلا لحظات إلا وكانت الشعلة في يده، جثا على ركبتيه بجوار الفتحة مقربًا الشعلة منها لعلها تبدد الظلام، وتكشف ما بداخلها، ولكن لم تنجح النيران في

هزيمة ذلك الظلام الحالك، فما كان منه إلا أن ألقى بالشعلة داخل الفتحة في محاولة يائسة منه لتبديد هذه الظلمة. اقترب بوجهه أكثر مدققًا النظر، خُيِلَ إليه أن هناك بقعة بعيدة من الضوء الخافت في الأسفل وأن هذه البقعة تكبر شيئًا فشيئًا أو بالأحرى تقترب منه في سرعة.

*****

- انتفض جسد نادر في عنف ما إن شعر بيد توضع على كتفه، فهو لم يشعر باضطراب الكهرباء من حوله، ولا بالظل الذي كان يقترب من خلفه، وأنتزعه صوت سليمان من أفكاره وهو يسأله: إنت طفيت النور ليه يا نادر أنا كنت بقرأ يا أخي.

- كاد نادر أن ينفجر في وجه سليمان إلا أنه تمالك أعصابه محاولًا التقاط أنفاسه، فقال وهو يكز على أسنانه: تقرا إيه يا سليمان! ده إنت شخيرك ما شاء الله مالي علينا الكارافان.

- امتعض سليمان قائلًا: متشكرين يا عم نادر، وإيه كمان!

- جلس نادر على فراشه، ثم أمسك بزجاجة المياه من على الطاولة بجواره، شرب منها قليلًا، ثم ابتسم قائلًا: يا راجل ده أنا قلبي وقع في رجليا. وبعدين فيه حد يخش على حد الحمام كده من غير ما يخَبَّط!

- مط سليمان شفتيه قائلًا: أخَبَّط إيه بس! ما إنت سايب الباب مفتوح. وبعدين إيه اللي كان واخد عقلك كده؟

- صمت قليلًا ثم قال: فاكر أول إمبارح لما لقينا المدخل اللي كنا بندور عليه؟

- أجابه سليمان في سرعة: أيوه طبعًا فاكر، ساعتها الجو لَيِّل علينا، وإنت مارضيتش توقف شغل لحد ما تشوف المدخل ده بتاع إيه؟

- أومأ نادر برأسه موافقًا وهو يقول: بالظبط.. وساعتها أخذت شعلة من عم سعيد ورميتها جوه المدخل، علشان تنورلنا.

- ابتسم سليمان قائلًا: أيوه ساعتها كنت هتقع جوه المدخل وإنت بتبص ومركز قوي، وعبد الحميد هو اللي لحقك بالعافية ومسكك من هدومك.

- نظر إليه نادر في صمت، وبدا مترددًا، ثم ما لبث أن حسم أمره قائلًا: اللي إنت مش عارفه يا سليمان، إن أنا لقيت ضوء بيقرب مني بسرعة، وحسيت إن فيه حاجة بتشدني تحت.

- فغر سليمان فاه وشحب وجهه وهو يقول بصوت مرتعش: حاجة إيه يا نادر؟! بلاش هزار في الحاجات دي يا أخي.

- أطلق تنهيدة وكأنها تحمل هموم الدنيا وهو يقول: معاك حق يا سليمان، دي أكيد تهيوءات، وخصوصًا إن الموضوع ده حصل من يومين، ولما نزلنا تحت محدش حصَلُّه حاجة، هز

رأسه في أسى قائلًا: وما لاقيناش أي حاجة من الآثار اللي كنا نفسنا نلاقيها، اللهم إلا الكام تمثال بتوع «ست».

- ابتسم سليمان وربت على كتفه قائلًا: لأ يا نادر إنت عمرك ما كنت كده، إنت هتيأس من أولها! وبعدين ما إنت شوفت بنفسك على شاشة السونار إن فيه فراغ كبير وراء الممر. وده اللي مخليني متأكد إن مش الممر ده هو كل حاجة.

- ارتسمت ابتسامة متفائلة على وجهه، ثم أردف قائلًا: أنا حاسس إننا قربنا يا نادر.

- انفرجت أسارير نادر، وعلت وجهه ابتسامة، لحظات وقام واقفًا وهو يقول: بقولك إيه يا سليمان، أنا مش جايلي نوم، ماتيجي نغير هدومنا ونتمشى شوية في الجو الحلو ده؟

في البداية رفض سليمان رفضًا قاطعًا، إلا أنه وافق على مضض بعد محاولات عدة من نادر، وبعد أن وعده أنه سيتركه يدخن السجائر وقتما شاء، حتى بداخل الكارافان إن رغب في ذلك.

وقف الاثنان أمام الكارافان يتفقدان ما حولهما، رفع نادر بصره إلى السماء الصافية من فوقهما، والتي خلت تمامًا من الغيوم، وتراصت النجوم وكأنها لوحة رائعة أبدع الخالق في صنعها.

اختبر سليمان الكشاف خاصته، واطمأن أنه يعمل بكفاءة، ثم نظر إلى ساعته التي أشارت عقاربها إلى الثالثة صباحًا. تلفت

حوله، فقد كانت هذه هي المرة الأولى التي يخرج فيها في هذا التوقيت منذ قدومه إلى الموقع. تفقد ببصره باقي الكارافانات الخاصة بالعاملين في الموقع. كانت هناك ثلاثة كارافانات، بالإضافة إلى الكارافان الذي يقيم فيه هو ونادر.

كانت الكارافانات مثل تلك التي تستخدم في شركات البترول لإقامة المهندسين والعمال، وقد أصر هو ونادر أن يقيما وباقي العمال فيها، حتى يتسنى لهم إنجاز العمل سريعًا بدلًا من إضاعة الوقت في الانتقال من وإلى الموقع.

- أمسك نادر بذراع سليمان، وأشار في اتجاه موقع التنقيب قائلًا: شكلها كده في حد مولع نار جنب مدخل الأثر، أكيد الحارس اللي سايبه عم سعيد هناك، تعالى نروحله.

- تردد سليمان في البداية، ثم ما لبث أن أطلق تنهيدة، وهز رأسه قائلًا: أمري لله، يا رب عدي الليلة دي على خير.

- لحظات ووصلا للموقع، فوجدا عم سعيد ومعه عبد الحميد، يجلسان بجوار المدخل، وقد أشعلا نارًا ليعدا عليها الشاي، وما إن إن لمحهما سعيد حتى قام واقفًا، وارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة، ومد يده مصافحًا وهو يقول: أهلًا وسهلًا يا دكتور، إيه اللي مصحى حضراتكم لغاية دلوقت؟!

- رد نادر: أهلًا يا عم سعيد، إحنا مش جايلنا نوم، قولنا نيجي نقعد معاكو شوية. إنت إيه بأه اللي مسهرك لغاية

دلوقت؟

- رفع سعيد سبابته أمام وجهه، وحركها يمينًا ويسارًا وهو يقول: يا بيه، أنا مش ممكن أنام من غير ما أطّمن إن رجالتي صاحيين وشايفين شغلهم مظبوط، ولا إيه يا عبد الحميد؟

عبد الحميد البدري، من محافظة أسوان، التي ينتمي إليها عم سعيد، ليس ذلك فحسب، بل هما من نفس البلدة أيضًا، في العقد الرابع من العمر، أسمر البشرة، طيب القلب، طويل القامة، عريض الكتفين، ذو تعليم متوسط، يعمل حداد مسلح، تلك المهنة التي ورثها عن أبيه، وقضى بها عمره، حتى أتقنها وهو ما يفسر قوة بنيانه وخشونة يديه.

متزوج من ابنة عمه إيمان، ولديه منها ابنه الوحيد يوسف، الذي يعشقه، ويحصي الأيام والساعات حتى يعود إليه ليضمه إلى صدره، ويمطره بقبلاته، ولم لا فهو ابنه الوحيد الذي رُزِقَ به بعد سنوات طويلة من طرق أبواب الأطباء دون جدوى، إلى أن رزقه الله إياه بعد عشر سنوات من الزواج، وبعدما ظن الجميع أن قدره هو أن يُحرَم من الإنجاب.

- ابتسم عبد الحميد ابتسامة طفولية لا تتناسب مطلقًا مع مظهره الضخم، وصوته الأجش وهو يقول: طبعًا يا عم سعيد! إطّمن إنت وراك رجاله.

- ابتسم الجميع وقال سعيد: تفضلوا اقعدوا يا بهوات، ده

الجو حلو قوي الليلة. جلس الجميع أرضًا يتجاذبون أطراف الحديث، نظر سعيد إلى نادر وسأله: صحيح هو ليه مفيش معاكم حد أجنبي يا دكتور؟؟ خبير آثار يعني؟

- ابتسم نادر قائلاً: الحمد لله إن مفيش معانا حد منهم يا عم سعيد، الخبراء دول كانوا بيسرقوا خير البلد.

- ارتسمت الدهشة على وجه سعيد، فتساءل قائلًا: يسرقوا؟! إزاي يعني؟!!

- رفع نادر بصره إليه قائلًا: أنا هأقولك أشهر مثال، سمعت حاجة عن تمثال نفرتيتي؟

- رد سعيد في سرعة: أيوه طبعًا، اللي مصر إديته هدية لألمانيا.

- هز نادر رأسه نافيًا قائلًا: الكلام ده مش صح، أنا هأقولك الصح بأه يا عم سعيد، بس الموضوع ده عايزله كوبايتين شاي من بتوع زمان.

- ضحك سعيد قائلًا: بس كده يا دكتور! هأعملك كوبايتين شاي من اللي وصى عليهم الحكيم لقمان.

- ارتشف نادر بضع رشفات من كوب الشاي الساخن، ثم نظر إلى سعيد قائلًا: في 6 ديسمبر 1912، كان فيه بعثة ألمانية للتنقيب عن الآثار، وكان رئيس البعثة عالم آثار ألمانيًّا

اسمه «لودفيج بورشاردت»، البعثة دي اكتشفت مجموعة من الآثار في تل العمارنة، كان بينها تمثال نصفي من الحجر الجيري للملكة نفرتيتي زوجة إخناتون، عمره أكثر من 3300 سنه، نحته النحات المصري تحتمس عام 1345 ق م تقريبًا.

- كان الاتفاق وقتها يدي الحق للبعثات الأجنبية تنقب عن الآثار، وإن من حقهم نصف اللي يلاقوه، وده طبعًا بعد موافقة المندوب البريطاني- لإن الإنجليز كانوا محتلين مصر وقتها- وأول ما «بورشاردت» عينه جت على التمثال راح راسم خطة إنه يكون من نصيب الألمان. لإنه كان منبهر بيه، وكتب في مذكراته «فجأة، أصبح بين أيدينا أفضل الأعمال الفنية المصرية الباقية. لا يمكن وصف ذلك بالكلمات، لا بد أن تراه».

- راح «بورشاردت» مقسم الآثار اللي لَقاها، ورسم خطة للاستيلاء على التمثال. جاب مفتش عام الآثار المصرية «غوستاف لوفبفري» بالليل، علشان يشوف القسمة بعينيه على ضوء المشاعل وراح حاطط الذهب والمجوهرات في نصيب الحكومة المصرية، وخبى حقيقة التمثال عن المفتش علشان يضلله، ويخليه يوافق على القسمة. وكَتَب في كشوفات حصر الآثار اللي البعثة لاقيتها، إنه تمثال مصنوع من الجبس، يعني قيمته مش عالية زي الذهب والمجوهرات، وباقي الآثار.

- وأول ما وَقَّع المفتش «لوفبفري» على الموافقة راح «بورشاردت» مخلص كل إجراءات؛ نقل التمثال في نفس الليلة إلى الإسكندرية واتشحن من هناك لألمانيا.

- وصل التمثال إلى ألمانيا في سنة 1913م. وبناء على طلب «بورشاردت» فضل التمثال مخفي عن الأنظار، لإنه كان خايف إن الحكومة المصرية تطلب ترجعه إذا عرفت قيمته الحقيقية، وساعتها هيعرفوا إنه خدعهم. وفي سنة 1923 إتعرض التمثال لأول مرة للجمهور في متحف برلين. وبتعتبره ألمانيا دلوقتي رمز ليها(*).

- مط سعيد شفتيه في امتعاض قائلًا: وأنا اللي كنت فاكر إن مصر هاديته للألمان، طلعوا سارقينه!! صمت قليلًا ثم ما لبث أن تلفت حوله متسائلًا: هو الدكتور سليمان فين؟

- التفت نادر في سرعة إلى يساره، حيث كان سليمان جالسًا، وسأل سعيد بصوت غلبت عليه الدهشة: هو سليمان راح فين؟! إزاي مشي من غير مانحس بيه؟!

- أجابه عبد الحميد بصوته الأجش: أنا شوفته قام من شوية، وراح ناحية المدخل، قولت يمكن راح يفك ميه ولا حاجة.

(*) هذه الواقعة حقيقية بكامل تفاصيلها. وما تستند إليه ألمانيا لرفض إعادة التمثال لمصر هو أنه تمت القسمة في وجود مفتش عام الآثار البريطاني، وهو ما يضفي على الوثيقة الصفة القانونية، من وجهة نظرهم.

- انتفض نادر واقفًا، ونظر حيث أشار عبد الحميد، ثم ما لبث أن اندفع ناحية المدخل وهو يصيح بأعلى صوته: سليمان. ... يا سليماااااان

*****

لم يشعر سليمان بنفسه وهو يغادر مكانه بعد أن سمع صراخ طفل رضيع قادمًا من داخل المدخل المظلم. وجد نفسه وكأنه منومًا مغناطيسيًا وهو يمسك الكشاف في يده، ويتجه بكل ثقة إلى المدخل، ويهبط درجاته إلى الأسفل، وخيّل إليه أن الصوت يزداد وضوحًا كلما توغل في ذلك الممر، وأن تماثيل «ست» تتابعه بنظراتها.

اضطرب ضوء الكشاف فجأة، فقام بالطرق عليه بيده، و ما إن عاد الكشاف للعمل حتى وقع ضوءُه على شخص يرقد على الأرض، مستندًا برأسه وساعديه إلى قاعدة أحد تماثيل «ست». تبادر إلى ذهنه أنه ربما يكون أحد العمال، وقد غلبه النعاس، كاد أن يمد يده ليوقظه إلا أنه توقف عندما انتبه إلى أنه لم يعد يسمع صراخ ذاك الطفل.

كاد أن يعود أدراجه وإذ بصوت واهن يصدر عن ذاك الشخص،التفت إليه وسلط ضوء الكشاف على وجهه ليجده مصابًا بجرح غائر في رأسه، تسيل منه الدماء في غزارة. مد ذلك الشخص يده إلى سليمان طالبًا منه العون، وهو يتمتم بكلمات يبدو واضحًا أنه يبذل الكثير من الجهد لنطقها، فصدرت بصوت

واهن لم يميز منها سليمان شيئًا.

أشار سليمان إليه ألا يتحدث، وأن يدخر قواه، وبسرعة أخرج منديلًا من جيبه ليضمد به جراح ذلك الشخص، ومن ثم يذهب لإحضار زملائه لينقلوه إلى أقرب مستشفى، ولكنه تسمر في مكانه، فثمة ما ينبئه بأن هناك شيئًا غير صحيح، فمن أين حصل هذا العامل على تلك الملابس الفرعونية؟!

- انتفض جسد سليمان عندما أحس بيد توضع على كتفه، وكاد قلبه أن يتوقف، إلا أنه سمع صوتًا مالوفًا من خلفه يقول: يا بني حرام عليك إيه اللي نزلك هنا دلوقت؟

- التفت للخلف ببطء ممعنًا النظر في محدثه، التقط أنفاسه بصعوبة، وهو يقول بصوت متقطع: ن... نادر، الحـ.. الحمد.. لله إنك جيت، أنا قلب... قلبي كان هيقف. أشار ناحية تمثال «ست» وهو يقول: بسرعة ساعد الراجل ده، شكله بيموت.

- نظر نادر إلى حيث أشار سليمان، وسأله قائلًا: راجل مين يا سليمان؟! مفيش حد هناك!!.

- شحب وجه سليمان حتى حاكى وجوه الموتى، والتفت ببطء إلى حيث كان يرقد ذلك الشخص وهو يقول: الراجل اللي لابس فرعوني ومتعور في راسـ... توقف عن الكلام، وتسارعت أنفاسه واتسعت عيناه في رعب، فلم يكن هناك

لذلك الشخص أدنى أثر.

- أطلق سليمان لساقيه العنان صاعدًا درجات السلم إلى خارج الممر، لم يتوقف للحظة حتى وصل إلى الكارافان خاصته، فقفز كما هو بكامل ملابسه وحذائه إلى الفراش، وانتابته رجفة شديدة بالرغم من الغطاء الثقيل الذي يغطيه من رأسه حتى قدميه، وبأنفاس متقطعة أخذ يتمتم: أعوذ بالله. .. أعوذ بالله.

- ترك نادر عم سعيد وعبد الحميد بالموقع، وأسرع خلف سليمان ليهدّئ من روعه، و ما إن دخل إلى الكارافان حتى جلس على الفراش بجواره، ونظر إليه مشفقًا وهو يرتجف تحت الغطاء. وضع يده عليه قائلاً: سليمان، هدي نفسك مش كده.

- رد عليه سليمان من تحت الغطاء بصوت مرتجف: طلعلي عفريت يا نادر... طلعلي عفريت.

- صمت نادر قليلًا، وبدا التأثر واضحًا على قسمات وجهه، انتظر قليلًا حتى يهدأ صديقه، ثم قال: طيب يا سليمان، إستعيذ بالله كده، وقوم نصلي الفجر مع بعض. سحب الغطاء من فوقه برفق، وساعده على الجلوس وأردف قائلًا: قوم خش الحمام إتوضى إنت الأول وأنا وراك، وأنا يا سيدي هاسخن الميه، وأعملنا كوبايتين نسكافيه على مزاجك.

- رفع سليمان بصره إلى نادر وجاهد ليبدو متماسكًا، وهو يقول: لأ أنا عايز شاي باللبن، وسندوتش جبنة.

- ابتسم نادر وأومأ برأسه قائلًا: ماشي يا سيدي، شاي باللبن، وسندوتش جبنة كمان.

- نهض سليمان متوجهًا إلى دورة المياه، لحظات وكان الاثنان قد فرغا من صلاتهما وتناولا طعامهما، وجلسا سويًا يحتسيان مشروبيهما، قطع نادر الصمت متسائلًا: بس إنت إيه اللي نزلك الممر لوحدك يا سليمان؟!

- أطرق سليمان برأسه وقطب جبينه محاولًا أن يتذكر، وتنهد قائلًا: مش عارف، أنا كنت قاعد جنبك وبعدها بشوية قمت عايز أروح الحمام، وأول ما مشيت خطوتين، سمعت صوت طفل بيعيط، ودي آخر حاجة فاكرها، لغاية ما لقيت نفسي جوه الممر، وفيه راجل نايم على الأرض سايح في دمه محتاج مساعدة، وأنا لسه مش مستوعب اللي بيحصل لقيتك جنبي. إنت جيت في وقتك، محدش عارف أنا كان هايحصلي إيه.

- ابتسم نادر وربت على كتفه قائلًا: الحمد لله يا سليمان، ربنا ستر. تسللت أشعة الشمس عبر الستائر المسدلة على نوافذ الكارافان، فنظر إلى ساعة يده التي تشير عقاربها إلى السابعة صباحًا، فارتدى حذاءه وهو يقول: زمان الرجالة صحيوا وهتلاقي عم سعيد مستني هناك علشان نبدأ الشغل، تحب تيجي ولا عايز تريح النهارده؟

- مط سليمان شفتيه وهز رأسه نفيًا وهو يقول: لأ يا نادر أنا هنام شوية، ولما أصحى هابقى أحصلك، ثم قام واقفًا وأزاح الستائر عن النوافذ، سامحًا لضوء النهار أن يملأ جنبات المكان، قالها واستلقى على فراشه مغطيًا جسده ورأسه.

- نظر إليه نادر في دهشة يسأله: إنت يا بني مش هتنام؟! فتحت الستاير ليه؟

- أجابه من تحت الغطاء قائلًا: إتكل على الله يا نادر، عم سعيد مستنيك.

- ابتسم نادر وهو يتمتم قائلًا: مفيش فايدة.

- لحظات وكان نادر يقف مع سعيد أمام المدخل، وقد بدأ العمال يتوافدون واحدًا تلو الآخر، تفقدهم سعيد، ثم ما لبث أن سأل سيد: أمال فين الواد عبد الحميد يا سيد؟

- قبل أن يجيب سيد، أتى صوت عبد الحميد من الخلف: أنا هنا يا عم سعيد، كنت بفك ميه.

- هز سعيد رأسه يمينًا ويسارًا معلنًا عدم رضائه عن تأخر عبد الحميد قائلًا: ماشي يا عبد الحميد، شُفِيتم يا سيدي.

- أجابه عبد الحميد في اقتضاب: عُفيِتُم يا عم سعيد.

- نظر نادر إلى سعيد، وأشار لأسفل ناحية المدخل قائلًا: بص يا عم سعيد إحنا بقالنا في الممر ده يومين ومفيش حاجة

غير تماثيل «ست»، وجهاز السونار مبين إن فيه فراغ كبير وراء الحيطة، وده معناه إن فيه احتمال كبير يكون فيه أوضه بس للأسف مش عارفين نحدد المدخل بتاعها، عايزين نركز شوية علشان نعرف نلاقيه. هاتلي إضاءة جامدة تحت، هات مَكَنِة الكهرباء الكبيرة هنا، عايز تحت يبقى ضُهر.

- أومأ سعيد برأسه وهو يقول: تحت أمرك يا دكتور، ثم أخذ معه العمال ليتعاونوا جميعًا في إحضار ماكينة الكهرباء حيث يريدها نادر.

- انصرف العمال وبقي نادر وحيدًا. نظر في ساعة يده، كانت عقاربها تشير إلى الثامنة وخمس وثلاثين دقيقة، بدا عليه التردد وهو يفكر: هل يشرع في هبوط تلك الدرجات إلى الممر، أم ينتظر مجيء العمال؟ كان يفصله عن مدخل الممر قرابة المترين، أخذ يقطعهما جيئة وذهابًا. وهو ينظر إلى ساعة يده بين الفينة والأخرى.

- كانت تلك هي المرة الأولى منذ اكتشاف الممر، التي يتردد فيها نادر في الهبوط إليه وحيدًا، هل السبب هو ما حدث مع سليمان؟ أم هو ذلك الشعور غير المُبرَّر بالخطر، الذي ينتابه كلما تواجد بداخل الممر؟

- توقف أمام المدخل وقد بدا عليه أنه قد حسم رأيه بالهبوط دون انتظار لأحد. تأكد أن الكشاف في يده يعمل بكفاءة، فعلى الرغم من أن ضوء الشمس قد غمر المنطقة

بكاملها فإن تصميم الممر ومدخله كانا لا يسمحان بمرور هذا الضوء.

- نظر إلى المدخل المظلم، وأطلق تنهيدة أودعها كل التوتر داخله، أضاء كشافه وما إن بدأ في هبوط درجة السلم الثانية حتى كاد قلبه أن يتوقف مع انطلاق رنين هاتفه المحمول فجأة، أمسك به في يده، ونظر إلى شاشته ليجد أنها ريم زوجته، أغمض عينيه، وزفر عدة مرات محاولًا استعادة رباطة جأشه، فآخر ما يريده أن يشعرها بالقلق دون داعٍ، تمالك أعصابه وهو يقول: ألو.

- لم تكد تسمع صوته حتى صدرت عنها تنهيدة ارتياح وهي تقول: ألو، أيوه يا نادر، إنت كويس؟

- ما إن سمع صوتها المحبب إلى قلبه حتى ظهر الارتياح على قسمات وجهه، وهو يقول: إزيك يا رُوُمَا يا حبيبتي، وحشتيني أوي، أخبارك إيه وأخبار أحمد؟

- تجاهلت سؤاله، وبنبرة غلفها العتاب قالت: كده برضه يا نادر، يومين ما أعرفش عنك حاجة! حتى موبايلك مقفول طول الوقت.

- أجابها نادر بنبرة حانية: معلهش يا رُوُمَا، أنا معظم الوقت بأبقى في الموقع تحت الأرض، ومفيش شبكة ولما بـ ...

- قاطعته في دهشة: تحت الأرض؟! إنت مش قولتلي إن

إنت وسليمان بتعملوا ترميم لمجموعة تماثيل؟!

تقلصت قسمات وجهه وعض على شفته السفلى ندمًا على زلة لسانه، فقد أخبرها أنه سيقوم ببعض أعمال الترميم، ولم يذكر أي شيء عن تنقيبه عن أثر تحت الأرض من المحتمل أن يكون مقبرة لأحد ملوك الفراعنة، فهو يعرف مدى خوفها مما يُسمى بلعنة الفراعنة، ذلك الخوف الذي منعها حتى من زيارة غرفة المومياوات الملكية بالمتحف المصري، فهي على يقين تام بأن كل من يكتشف مقبرة فرعونية ينتهي به الحال إما ميتًا وإما مجنونًا إذا حالفه الحظ.

- صمت قليلًا محاولًا أن يعيد ترتيب أفكاره، زاد صمته من قلقها فقالت: ألو، نادر.

- رد في سرعة: أيوه يا حبيتي معاكي، هافَهِمِك لما آجي. طيب أنا هأقفل دلوقتي علشان الشغل وهاكلمك لما أخلص.

- زفرت في ضيق: ماشي يا نادر، باي.

- أنهى نادر المكالمة، وأعاد هاتفه إلى جيبه، ومن ثم أضاء الكشاف، وأسرع يهبط درجات السلم قبل أن يغير رأيه، تقدم نادر بحذر داخل الممر، وهو يفتش بضوء الكشاف يمينًا ويسارًا، بحثًا عن أي أثر يقوده للغرفة المطلوبة. كانت تماثيل «ست» تبعث في جسده القشعريرة كلما سقط عليها ضوء الكشاف الخافت، وصل إلى منتصف الممر بجوار أحد

تماثيل «ست»، توقف حيث عثر على سليمان ليلة أمس، وتساءل في قرارة نفسه: هل حقًا رأى سليمان شيئًا أم أنها مجرد تهيوءات؟

- حانت منه التفاتة إلى جهة اليمين، لفت نظره شيء ما، فاقترب من الحائط مسلطًا ضوء الكشاف عليه، دقق النظر أكثر، فقد بدا له أن هناك اختلافًا طفيفًا في شكل بعض أحجار الحائط عن بقيتها، كان هناك أثر لفجوة في الحائط الحجري تم غلقها بعناية، وبدا واضحًا أن هناك من بذل جهدًا لإخفاء معالمها ليتعذر على أي من كان أن يجدها.

- تحسس بيده حواف الفجوة والحجارة الملساء التي تغلقها: اتسعت عيناه وتألقتا، وصاح من شدة الفرح: لقيته... لقيت الباب، تلفت حوله يبحث عن العمال، وصاح بعلو صوته مناديًا: يا عم سعيد. ... يا عبد الحميد... يا سيد، لم يجبه أحد. زفر في ضيق وهو يحدث نفسه قائلًا: كل ده بيجيبوا المَكَنَة!

- نظر مرة أخرى للجدار وتحسسه، دقق النظر طويلًا إلى تلك الحجارة، ثم ما لبثت أن عصفت برأسه الأفكار، لماذا يبذل أحدهم هذا الجهد ليمنع الناس من عبور الباب؟ إلا إذا كان وراؤه ما ينبغي إخفاؤه، كنز مثلًا، ثم ما لبث أن تراجع عن تلك الفكرة، فليس من المنطقي أن يعثر أحدهم على كنز ثم يتركه ويحاول إخفاءه، بدلًا من أن يأخذه.

فإن لم يكن كنزًا، فماذا هو؟ هل هو خطر محدق، حاول أحدهم أن يمنع عبوره هذا الباب؟ نفض عن رأسه هذه الأفكار، ثم ما لبث أن حدّث نفسه بصوت منخفض قائلًا: بطّل بأه يا نادر الأفكار السوده دي. مفيش حاجة من الكلام ده.

- وبينما هو كذلك إذ به يسمع صوتًا آتيًا من خلفه يقول في قوة: «الموت لخادم الإله ست».

- التفت في سرعة ناحية الصوت، فإذ به يجد أحد الأفراد بالملابس الفرعونية، وقد أطلق سهمه تجاهه، شلت المفاجأة تفكيره فأغمض عينيه، وبحركة غريزية رفع ساعده أمام وجهه ليحمي نفسه.

*****

- ما إن أنهت ريم المكالمة حتى أخذت تحدق في شاشة الموبايل وهي تحدث نفسها قائلة: أول مرة تكدب عليا يا نادر، يا ترى مخبي إيه؟! يكونش الموضوع فيه واحدة ست؟ نظرت إلى بطنها الذي يحمل طفلهما الثاني، وتحسسته وهي تقول: على الله يا نادر يكون الموضوع فيه واحدة ست، أقسم بالله لو ده حصل لأكون. ..، صمتت قليلًا ثم هزت رأسها وكأنها تنفض عن رأسها هذه الفكرة.

ريم محفوظ، بكالوريوس فنون جميلة. متوسطة الطول، جميلة الملامح، ذات بشرة خمرية، وشعر أسود قصير. تزوجت

ونادر منذ ثماني سنوات. تلك الزيجة التي أثمرت عن طفلهما أحمد، وطفل آخر يوشك على القدوم خلال شهرين أو أقل قليلًا. من أسرة متوسطة الحال. كان زواجها من نادر زواجًا تقليديًا إلا أنهما سرعان ما بدا عليهما الانسجام خلال فترة الخطوبة، حتى ليبدوا لمن يراهما وكأنهما يعرفان بعضهما البعض منذ نعومة أظفارهما.

- توجهت إلى غرفة ابنها أحمد لإيقاظه. هزته برفق وهي تقول: أحمد حبيبي. .. حمادة، إصحى ياللا علشان نفطر.

- فتح أحمد عينيه، وتمطى في فراشه، قبَّلته ريم في جبينه، فما كان منه إلا أن أحاط عنقها بذراعيه وطبع قُبلة حانية على وجنتها وهو يقول: صباح الخير يا ماما، اعتدل جالسًا في فراشه، ثم قال: عملتيلي فطار إيه؟

- أجابته قائلة: نصحى الأول، ونغسل سنانا ونتشطف وبعدين نفطر.

- طقطق بلسانه، ثم مط شفتيه في عدم رضا وهو يقول: بس أنا جعان أوي، هأفطر الأول وبعدين أغسل سناني ووشي.

- هزت رأسها نفيًا وهي تقول: لأ يا حمادة، نغسل سنانا وإيدينا ووشنا الأول، واعمل حسابك مش هاتضحك عليا زي كل مرة.

- ظهرت على وجهه علامات الامتعاض وهو يقول: بس أنا جعان.

- اكتسى صوتها بنبرة حازمة وهي تقول: قولنا إيه؟

- نهض من فراشه وتوجه للحمام على مضض، فيما توجهت ريم للمطبخ لإعداد «الساندويتشات» لكليهما. شردت بأفكارها قليلًا وهي تتساءل: يا ترى بتعمل إيه يا نادر؟

*****

اخترق السهم كف نادر وتابع اتجاهه مخترقًا رأسه، وتعالت الصيحات من حوله، شحب وجهه واكتسى باللون الأصفر، وأحس ببرودة تنتشر في كامل جسده، لم يشعر بأي ألم فتساءل: هل هذه هي الراحة الأبدية التي يتحدثون عنها؟ هل حقًا أن الموت بهذه السهولة؟ شعر بغصة في حلقه وهو يتذكر زوجته الحبيبة ريم وابنه أحمد، وكيف أنه لن يراهما مرة أخرى.

وبينما هو كذلك إذ وردت إلى أسماعه نفس الصيحة التي سمعها سابقًا: الموت للإله «ست»، إنه لا يعرف هذه اللغة، ولكن من العجيب أنه قد فهم فحواها، فتح عينيه في بطء، وتلفت حوله ليجد عددًا من الجنود بالملابس الفرعونية يركضون تجاهه.

اتسعت عيناه في رعب، وتلاحقت أنفاسه، ما الذي يحدث؟ من هؤلاء؟ هل قتله السهم أم لا؟ حاول أن يركض، ولكن قدميه أبتا أن تطيعا أوامره، تسمر في مكانه والجنود يمرون من حوله، بل إن أحدهم قد مرَّ بالفعل من خلاله، وكأنه ليس له وجود في هذا العالم. شعر بأنه يشاهد أحد الأفلام التاريخية بتقنية العرض

المجسم، إلا أن هذا العرض حقيقي أكثر من اللازم، هذا العرض قد رآه من قبل، بل ويكاد يجزم بأنه يعرف هذه الوجوه جيدًا، ولكن كيف؟!! أصاب الرعب عقله بالشلل فلم يستطع أن يتذكر.

نظر إلى كفه، لم يكن هناك أدنى أثر لاختراق السهم، وبحركة تلقائية تحسس جسده ووجهه، لم يجد ما يريب. بحث عن الكشاف فوجده على الأرض بجواره، من المؤكد أنه قد سقط من يده دون أن يلحظ ذلك، سرعان ما التقطه وحاول تشغيله عدة مرات دون جدوى. تلفت حوله ليلاحظ لأول مرة أن الممر بكامله قد تمت إضاءته بالمشاعل.

تابع ببصره الجنود إلى حيث يتجهون، وهناك في نهاية الممر، وعلى بعد خطوات قليلة منه، وقف شخص يتشح بالسواد، لا يظهر من ملامحه شيء عدا عينيه اللتين بدتا وكأنهما جمرتان مشتعلتان، وبجواره وقف أسدان ضخمان يستعدان للانقضاض والفتك بالجميع. فغر فاه وتدلى فكه في بلاهة، وهو يحدق إلى ذلك الشخص، الآن فقط تذكر أين رأى هذا المشهد. كاد أن يفقد عقله، فها هو الكابوس الذي يراوده منذ عدة أيام يعاود الكرَّة، ليس ذلك فحسب، بل إنه يتجسد أمامه بكل تفاصيله، وهو منغمس فيه من قمة رأسه حتى أخمص قدميه.

أخذ يتابع المشهد، وهو في حيرة من أمره، هل مازال نائمًا في فراشه وهذا هو كابوسه المعتاد في صورة أشد قسوة من ذي قبل؟ أما إذا كان مستيقظًا، فذلك يعني أن بإمكانه أن يطلق

ساقيه للريح مغادرًا الممر إلى حيث عم سعيد وباقي العمال؟ بدا له أن هذا هو الحل الأمثل، فليهرب بجلده ويغادر الممر بأقصى سرعة. تلفت حوله ونظر إلى درجات السلم التي تفصله عنها أمتارٌ قليلة، حانت منه التفاته إلى ذاك الشبح الأسود، فتلاقت عيونهما، أو بالأحرى عينا نادر وتلك الجمرات المشتعلة. خيّل إليه أنه ينظر إليه مباشرة مخترقًا أعماقه، وبينما هو كذلك إذ طرق ذلك الشبح الأرض بعصاه فإذا بالأسدين ينقضان على الجنود، ورفرف الموت بجناحيه على المكان.

ما إن رأى نادر الأسدين يهجمان حتى قفز خلف أحد التماثيل، مستترًا به وهو يتابع ببصره الأسدين وهما يفتكان بالجنود دون رحمة. فيما بدأ الجنود في التراجع إزاء هذا الهجوم الوحشي، فما كان من قائدهم إلا أن صاح فيهم: اثبتوا يا جنود آمون لا تتراجعوا، إن الإله آمون معنا، وهو ناصرنا لا محالة.

الموت لخادم إله الشر. استعاد بعض الجنود رباطة جأشهم، وشرعوا في الهجوم على الأسدين فأصابوا أحدهما بجراحٍ عدة، بينما لم يستطع أي منهم الاقتراب من الآخر، حيث كان الأشرس والأضخم بينهما، فقد مزق بأنيابه اثنين من الجنود.

أطلق «تاف» أحد سهامه تجاه ذلك الوحش، فما كان منه إلا أن تفاداه في سهولة بالغة لا تتناسب مع ضخامة حجمه، ثم وثب على «تاف» فطرحه أرضًا، جاثمًا على صدره. سقط القوس من يد «تاف» الذي أخذ يحاول في استماتة دفع الأسد بعيدًا

عنه، فيما اقترب الأسد بوجهه من «تاف» مزمجرًا، واستعد لأن ينشب فيه مخالبه، أغمض «تاف» عينيه، وأدرك أنها النهاية. ترددت صيحات «حم نخت» في المكان قائلًا: اقضوا عليه، اقضوا على خادم إله الشر.

رفع الشبح الأسود عصاه وطرق بها الأرض مرة أخرى، فجأة توقف الأسد الذي كاد أن يغرس أنيابه في رقبة «تاف»، ورفع رأسه ناظرًا تجاه القائد «حم نخت» وكأنما يحدد هدفه، ثم ما لبث أن أطلق زئيرًا هز أرجاء المكان وانطلق في اتجاهه، صاح أحد الجنود في توتر: «رام»، احموا القائد.

وفي سرعة بدأ بعض الجنود في التراجع مُشَكِلين دائرة حول قائدهم، موجهين أسلحتهم تجاه ذلك الوحش. توقف الأسد أمام هذه المجموعة، وبدأ في الدوران حولهم، وكأنه يعاين فريسته قبل الظفر بها.

ظل «تاف» مستلقيًا على الأرض لا يصدق نجاته، رفع رأسه، وتلفت حوله فوجد رفيقه «خاي» يغرس سيفه في قلب الأسد الأول الذي أطلق حشرجة مخيفة قبل أن يسقط صريعًا، هلل «خاي» فرحًا: لقد قتلته. . قتلت الوحـ... قطع تهليله، واتسعت عيناه في دهشة ممزوجة بالرعب، وهو يرى جثة الأسد تتلاشى أمام عينيه لتصبح رمادًا فتمتم قائلًا: أي عبث شيطاني هذا؟!! تراجع خطوات للخلف فوقع بصره على جثث زملائه تفترش الأرض من حوله.

ترقرق الدمع في عينيه، وهز رأسه في أسى قائلًا: لن يذهب موتكم سدى، سوف نقضي على كهنة الشر، دار سريعًا للخلف ليلحق بباقي الجنود وهو يقول: أعدكم بهـ .. لم تكتمل جملته فقد تسمر في مكانه، فأمامه كان ذلك الكاهن الأسود ممسكًا بحية ضخمة، يلف جسدها على ذراعه بينما أخذت تحرك رأسها أمام وجهه يمينًا ويسارًا، ثم ما لبثت أن أنقضت منشبة أنيابها في عنقه دون رحمة.

وأمام عيني «تاف» المذهولتين رأي زميله يذبل في سرعة ليحاكي مومياء تم تحنيطها منذ مئات السنين. سقط جسد «خاي» جثة هامدة على مقربة من «تاف» وعيناه اللتان فارقتا الحياة تتطلعان إليه مباشرة. كتم «تاف» أنفاسه، وأغمض عينيه متظاهرًا بالموت خشية أن يكتشف الكاهن أنه على قيد الحياة.

ربت الكاهن على رأس الأفعى، ثم مرر يده على جسدها، وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة، فما لبثت أن تحولت على أثرها إلى عصى في يده. طرق بها على الأرض ثم اتجه في خطوات واثقة إلى تلك المجموعة من الجنود التي تدافع عن قائدها، وتقف حائلًا بينه وبين ذلك الأسد.

- وقف الكاهن بجوار الأسد، وأخذ يربت على ظهره وكأنه حيوانه الأليف، أخرج من طيات ملابسه تمثالًا صغيرًا لإله الشر «ست»، رفعه أمام وجهه، وبصوت قادمٍ من أعماق القبور، تحدّث موجّهًا كلامه للقائد «حم نخت» قائلًا: اسجد للإله «ست» المقدس وسأدخر حياتك.

- رفع «حم نخت» بصره لذلك التمثال، كان أسود اللون، لا يتجاوز طوله شبرًا واحدًا، فاغرًا فاهه مكشرًا عن أنيابه، له عينان حمراوان تبعثان الرعب في أوصال من ينظر إليهما، كان به شيء مختلف عن باقي تماثيل «ست»، شيء انقبض له قلبه دون سبب واضح. رفع «حم نخت» بصره للكاهن وهز رأسه نفيًا، محاولًا أن يبدوا متماسكًا وهو يقول: لن يحدث هذا، لن أسجد إلا للإله آمون. أنني أفضل الموت على أن أسجد لإلهك هذا.

- صمت الكاهن قليلًا ثم قال: حسنًا لن أقتلك، ولكن ما سأفعله بك سيجعلك تتمنى الموت في كل لحظة من حياتك... أو ما بقي منها. رفع عصاه وتوتر الجنود، وأحكم كلٌ منهم قبضته حول سلاحه، فهم يعرفون أنه ما إن يطرق بها الأرض حتى يهجم ذلك الوحش عليهم.

نظر نادر إلى «تاف» الذي نهض مستجمعًا شجاعته. استغل فرصة أن الكاهن لا يعيره انتباهًا فاستل سهمًا من جعبته، وأشعل مقدمته من أقرب شعلة إليه وهو يهمس محدثًا نفسه: نعم يا أبي، النار تقضي على الشر. ثم ما لبث أن أحكم تصويبه إلى ظهر الكاهن وأطلقه.

قبل أن يطرق الكاهن بعصاه الأرض شق السكون أزيز السهم المشتعل الذي ما إن إن اخترق ظهر الكاهن حتى أطلق صيحة مدوية، وتوهجت عيناه، والتفت ليواجه «تاف» الذي يفصله عنه عدة خطوات.

لم يكد «حم نخت» يرى الكاهن وقد أصبح ظهره لهم حتى تبادل مع جنوده النظرات، وفي توقيت متزامن قفز من مكانه دافعًا الجندي الذي أمامه جانبًا ليضرب الكاهن بسيفه ضربة أودعها كل قوته وهو يصرخ: الموت لخادم إله الشر. بينما انقض ثلاثة من الجنود على الوحش الذي بدا أنه لم يجد الوقت الكافي حتى ليزأر.

كانت الضربة من الشدة بحيث مزقت ظهر الكاهن، ولم يستطع أن يظل واقفًا فجثا على ركبتيه وبدا هذه المرة أنه يجاهد ليلتقط أنفاسه الأخيرة. ومرة أخرى ينطلق السهم المشتعل ليخترق صدر الكاهن، اشتعلت النيران بملابسه في سرعة مخيفة فسقط أرضًا يتلوى من شدة الألم.

ما إن سقط أرضًا حتى تسمر الأسد في مكانه، وكأنه تمثال حجري ما لبث أن تحول إلى رماد أمام عيون الجنود المذعورة، انتزعهم صياح القائد من حالتهم وهو يقول: أسرعوا إلى الداخل اقضوا على كهنة «ست» لا تسمحوا لأحد بالفرار.

- مر الجنود من أمام نادر الذي لم يبارح مكانه، وأمام عينيه رآهم يعبرون خلال الجدار، وبالتحديد من تلك البقعة التي كان يتفحصها منذ قليل، نظر ناحية القائد فوجده يتقدم بحذر ناحية ذلك الكاهن الممدد أرضًا، وعلى مقربة منه كان تمثال «ست» الذي كان يحمله قبل سقوطه، استجمع «حم نخت» شجاعته واقترب أكثر من الكاهن الذي بدا ساكنًا، وكزه بقدمه ولكنه لم يحرك ساكنًا، فقد بدا وكأنه قد فارق

الحياة. تركه وذهب إلى «تاف»، وضع يده على كتفه وابتسم قائلًا: ألم أقل لك يا «تاف» إنك أفضل الجنود لدي؟

- أومأ «تاف» برأسه وهو يقول في زهو: نعم أيها القائد، لم يعتريني الخوف للحظة، فقد كنت. ..

- قاطعه «حم نخت» قائلًا: سنجلس جميعًا بعد ذلك ليحكي كلٌ منا عن بطولاته، أما الآن فأريد منك أن تسرع إلى قصر الملك، وتطلب منه أن يرسل لنا المزيد من الجنود.

- أجابه «تاف» في سرعة: حسنًا، كما تريد أيها القائد.

- ما إن تبع القائد جنوده حتى تلفت «تاف» حوله، ثم تقدم في حذر إلى جثة الكاهن، كان يريد أن يلقي نظرة عن قرب إلى ذلك التمثال الملقى أرضًا. التقط التمثال وأخذ يتفحصه، كان تمثالًا يبعث الرعب في الأوصال، أو هكذا خُيّل إليه. وبينما هو كذلك إذ أمسك الكاهن بساقه وهو يقول بصوت واهن: ساعدني يا «تاف».

- قفز «تاف» من الرعب مبتعدًا عنه وهو يقول: ما هذا! ألم تمُت! وكيف عرفت اسمي؟!

- أجابه وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة: إنني أعرف كل شيء.

- رفع حاجبيه في دهشة، وصمت قليلًا مفكرًا- على غير عادته- وارتسمت على وجهه ابتسامة واثقة وهو يقول:

بالطبع لا، فمن المؤكد أنك قد سمعت القائد يناديني باسمي منذ قليل.

- تنهد الكاهن وصمت قليلًا، ثم أومأ برأسه موافقًا وهو يقول: إنك ذكي جدًا، ولهذا ستصبح قائدًا للجيش في يومٍ ما.

- سأله «تاف» في لهفة: حقاً؟

- أومأ الكاهن برأسه إيجابًا، ثم قال: سأعرض عليك صفقة ستجعل منك قائدًا للجيوش خلال عامين على الأكثر. أشار لتمثال «ست» الذي يمسك به «تاف» في يده وهو يقول: ناولني هذا التمثال.

- تردد «تاف» في البداية، ثم نظر للكاهن قائلًا: إنك لا تكذب عليّ، أليس كذلك؟ هز الكاهن رأسه نفيًا. أطال «تاف» النظر إلى التمثال ثم ما لبث أن ناوله للكاهن الذي قبض عليه بكل قوة وقربه من فمه، وأخذ يتمتم ببعض الكلمات غير المفهومة، ثم أعطاه لتاف وأشار لأحد التماثيل الضخمة لإله الشر قائلًا: في الجانب الأيمن من قاعدة هذا التمثال، ستجد فتحة مخفية ضعه بداخلها، ثم تمنى ما شئت.

راقب نادر هذا المشهد واستعجب كيف يكون هناك شخصٌ بهذه السذاجة! أراد أن يحذر «تاف»، فمن الواضح أن ذلك الكاهن يستغله، وربما يحدث ما لا يُحمَد عقباه. اندفع من مكانه تجاههما وهو يصيح بعلو صوته: «تاف»، ما تسمعش

كلامه ده بيضحك عليك. لم يعره أحدٌ انتباهًا، فقد كان لا وجود له بالنسبة لهما.

مر «تاف» من خلال جسد نادر قاصدًا التمثال، حيث أشار ذلك الكاهن، جثا على ركبتيه وتحسس قاعدته، فإذا به يجد الفتحة المطلوبة، فعل ما أمره به الكاهن، ثم وقف ورفع رأسه لأعلى ناظرًا لوجه تمثال « ست» وهو يقول: باسم الإله آمون المقدس أريد أن أصبح قائدًا للجيش يا «ست». اتسعت ابتسامته وهو يحدث نفسه قائلًا: لسوف أجعلك فخورًا يا أبتاه.

نظر نادر لجسد الكاهن الممدد أمامه والذي قد خلا من أي أثر للحياة، خاطبه قائلًا: إنت إيه حكايتك بالظبط؟!

- سلامتك يا دكتور نادر إنت بتتكلم مع مين؟

- التفت نادر للخلف في سرعة فوجد عم سعيد خلفه، وفي يده شعلة، بينما تبدو على ملامحه الدهشة وهو يقول: إنت واقف في الظلمة لوحدك ليه يا دكتور؟! وليه ما إستنتناش؟

- ردد نادر في دهشة: لوحدي!! نظر إلى مكان الكاهن على الأرض، لم يكن له أدنى أثر. صمت نادر قليلًا وهو يفكر: إيه اللي بيحصل؟! طيب يقولهم على اللي شافه؟ لأ طبعًا، أكيد هايقولوا عليا مجنون. تراجع عن هذه الفكرة، ثم خاطب سعيد قائلًا: ما إنتوا إتأخرتوا يا عم سعيد، وكمان الكشاف باظ، رفع كشافه المطفأ قائلًا: وقع الأرض ومش عايز يشتغل،

قالها ووضع الكشاف أمام وجه سعيد ثم ضغط زر التشغيل.

- رفع سعيد يده أمام وجهه وأغمض عينيه من الإضاءة المفاجأة التي ضربت وجهه، وهو يقول: إيه يا دكتور الهزاز ده! إنت عايز تعميني؟

- عقدت المفاجأة لسان نادر الذي سارع بإطفاء الكشاف وهو يقول متلعثمًا: أنا آسـ.. آسف يا عم سعيد، بس يظهر.. يظهر الكشاف بيعَلَّق.

- ابتسم سعيد قائلًا: ولا يهمك يا بيه، عامةً إحنا جِبنا المَكَنَه والأسلاك وكله تمام، نص ساعة بالكتير وهانخلي المكان ضهر.

- تنهد نادر وحاول أن يبدو متماسكًا وهو يقول: الله ينور عليك يا عم سعيد إنت والرجالة، ياللا مش عايزين نضيع وقت.

- انطلق سعيد والعمال يقومون بعمل التوصيلات الكهربائية اللازمة، بينما لم يستطع نادر الوقوف فجلس أرضًا يفكر فيما حدث له، حدث نفسه قائلًا: يجيلي كوابيس وأنا نايم، عادي بتحصل لأي حد. إنما كابوس وأنا صاحي! هو أنا خلاص إتجننت! بس الي شوفته ده ماكانش كابوس، يمكن تهيوءات؟ لأ مش ممكن ده كان حقيقي... حقيقي أكثر من اللازم.

- أطرق برأسه إلى الأرض مفكرًا، يستعيد جميع الأحداث

التي مر بها منذ قليل، ثم ما لبث أن تذكر شيئًا فرفع رأسه ولمعت عيناه وهو يقول: أيوه التمثال... التمثال الصغير، هب واقفًا، اندفع في سرعة إلى تمثال «ست» الضخم بجواره وجثا على ركبتيه ومد يده إلى الجانب الأيمن لقاعدة التمثال... تمثال الشر.

*****

- في مكتب الدكتور مسعود، جلس الدكتور فريد علام، الذي يعد أحد أشهر علماء الآثار في مصر، كما أنه القائد المباشر لنادر، ارتشف الدكتور مسعود رشفة من قهوته، ثم بادر فريد بسؤاله: صحيح يا دكتور فريد، إحنا ماسمعناش حاجة مبشرة لغاية دلوقتي عن بعثة الدكتور نادر، إيه آخر الأخبار؟

- كان فريد يعرف نادر حق المعرفة، كما يعرف مدى اجتهاده، وأنه إن عاجلًا أو آجلًا سيأخذ مكانه. بل إن ما يجعله يحقد عليه أن اسمه قد بدأ يتردد كثيرًا في أروقة الهيئة، مما يعد مؤشرًا لما يمكن أن يحدث، وأن أكثر ما يخشاه أن يكون سببًا للإطاحة به من منصبه.

- كان يتوقع أن تُسنَد إليه البعثة التي يرأسها نادر، فهو في حاجة إلى أن يقترن اسمه اليوم قبل غدٍ، بحدث أثري ضخم. بدأ في تنفيذ خطته المُعَدة مسبقًا، مط شفتيه امتعاضًا وهز رأسه قائلًا: والله يا دكتور مسعود المؤشرات كلها بتقول إن

مفيش أي تقدم، وأشك إنهم هيعرفوا يلاقوا حاجة.

- سأله مسعود: ليه بتقول كده يا دكتور فريد؟

- وضع فريد فنجان قهوته على الطاولة التي أمامه ثم قال: يا دكتور مسعود، نادر ماعندهوش الخبرة الكافية علشان يرأس بعثة بالأهمية دي، أنا رئيسه المباشر وأكتر واحد عارفه. هو يمكن يكون أستاذ أكاديمي شاطر، بس عمليًا لأ. صمت قليلًا ثم أردف قائلًا: وبعدين ياما حذرت حضرتك منه.

- أطال مسعود النظر إليه، ثم تنهد قائلًا: عندك حق، إنت نبهتني أكتر من مرة، بس أعمل إيه؟ إنت أكتر واحد عارف إني كنت رافض من الأول إنه يرأس البعثة دي، وعارف إني عملت مذكرة وأرفقت بيها كل التقارير اللي قدمتهالي، وعرضتها على رئيس الهيئة، لكن تقول إيه بأه في الأوامر!

- مط فريد شفتيه ثم قال: ما هو اللي جِرِي على رئيس الهيئة وأقنعه إنه يرأس البعثة دي بدل الخبرا الأجانب، صمت قليلًا ثم أشاح بيده قائلًا: وادي النتيجة.

- نظر إليه مسعود مستفسرًا: نتيجة إيه؟

- هز فريد رأسه ثم التقط علبة سجائره، وقربها من مسعود قائلًا: سيجارة سعادتك؟

- التقط مسعود سيجارة من العلبة، ثم ما لبث أن التقط هو أخرى.

- نفث فريد دخان سيجارته في الهواء، ثمالتفت إلى مسعود قائلًا: أنا كلمت واحد من رجالتي هناك، وقالي إن نادر بيعاملهم وحش، وإن الرجالة مش طايقينه، وبيفكروا يسيبوه ويمشوا. ولو حصل ده والبعثة فشلت، هتبقى فضيحة مالهاش أول من آخر.

- زفر مسعود في ضيق قائلًا: مش هو ده اللي كانوا قارفينا بيه، وطالعين بيه السما!

- ارتسمت ابتسامة ساخرة على وجه فريد وهو يقول: أيوه هو ده، شوفت بأه إني كان عندي حق في كل اللي قولته لسعادتك.

- صمت مسعود مفكرًا، ثم سأله: بص يا فريد، أنا مش هاستنى لما الدنيا تخرب، إعمل حسابك بكره الصبح تكون هناك في الموقع.

- حاول فريد أن يعترض: بس يافندم...

- قاطعه مسعود في حدة: مفيش بس، اللي قولته يتنفذ.

- سأله فريد محاولًا أن يرسم الدهشة على وجهه: طيب ورئيس الهيئة؟

- أجابه في سرعة: ماله رئيس الهيئة؟ مش هو عايز نادر رئيس البعثة، وادي نادر رئيس البعثة.

- ارتسمت دهشة حقيقية على وجه فريد وهو يسأله: قائلًا: طيب وأنا هابقى إيه؟!

- ارتسمت ابتسامة على وجه مسعود وهو يجيبه في ثقة: هتبقى مساعد الوزير لشئون الآثار، يعني إنت ممثل الوزير هناك، وبالتالي نادر مالهوش لازمة.

- سأله فريد: مساعد وزير مرة واحدة! طيب إزاي؟!

- ابتسم مسعود وهو يقول: سيب الموضوع ده عليا أنا.

- جاهد فريد ليخفي ابتسامة كادت تطغى على ملامحه. صمت قليلًا كأنما يفكر، ثم تنهد قائلًا: اللي تشوفه سعادتك، زي ما حضرتك عايز.

- نهض مسعود من وراء مكتبه، وشد على يد فريد مصافحًا وهو يقول: بالتوفيق يا دكتور فريد، كل إمكانيات الهيئة تحت أمرك.

- لم تفارق الابتسامة وجهه وهو يقول: متشكر جدًا يا دكتور مسعود، وتأكد إني هاكون عند حسن ظن سعادتك. ثم ما لبث أن انصرف من المكتب وقلبه يرقص طربًا.

*****

- اصطدمت يد نادر بقاعدة التمثال المصمتة، لم يكن هناك وجود لأي فجوة بها، كاد أن يفقد عقله، مد يده إلى

الجهة اليسرى ثم تحسس جميع جوانب القاعدة، لم يكن هناك وجود لتلك الفجوة، حدّث نفسه قائلًا: هي دي كانت تهيوءات؟! ولا تكونش عفاريت زي ما سليمان بيقول؟ هز رأسه ينفض عنها تلك الأفكار، ثم استطرد قائلًا: لأ، أنا حاسس إن الموضوع كان حقيقي، أنا كنت موجود معاهم، وكنت مستخبي هنا عند التمثال ده!!.

نظر إلى التمثال الذي يقف بجواره، صمت قليلًا مفكرًا، ثم نظر إلى حيث كان يرقد الكاهن، توجه في سرعة إلى تلك البقعة، توقف هناك، ثم نظر ناحية الجانب الأيمن للممر إلى حيث اتجه الجندي «تاف» وبيده التمثال، تنقل ببصره بين تماثيل «ست» على ذلك الجانب، أخذ يقدح زناد فكره ثم حسم أمره واتجه في سرعة إلى أحد التماثيل، جثا على ركبتيه وتردد قليلًا ثم مد يده ببطء يتحسس جانب القاعدة الأيمن، تهلل وجهه فرحًا عندما أحس بوجود فراغ بتلك الجهة.

- تسارعت أنفاسه من فرط الإثارة ثم ما لبث أن أقحم يده في تلك الفجوة، انطلقت منه صرخة مكتومة عندما أحس بوخز في سبابته، سحب يده في سرعة، ليجد قطرات من الدم تتساقط من إصبعه، كان خائفًا من أن تكون عضة ثعبان أو لدغة عقرب. تناسى كل ذلك وغلبه الحماس، ولف يده بمنديل، ثم ما لبث أن غاص بها داخل تلك الفجوة وأخذ يتحسسها في بطء، اصطدمت يده بشيء صلب. تسارعت أنفاسه، وخُيل إليه أن ضربات قلبه تتردد في أرجاء المكان.

- قبض على ذلك الجسم، وسحب يده ببطء مسلطًا عليه ضوء الكشاف، اتسعت عيناه واختلطت مشاعره مابين الفرحة والذهول. جلس أرضًا غير مصدق، وأسند ظهره إلى الجدار. ثم ما لبث أن رفع يده أمام وجهه مدققًا النظر، فأمامه كان تمثال مصغر لرمز الشر»ست» فاغرًا فاه مكشرًا عن أنيابه المدببة، التي تغطي إحداها آثارٌ لدماءٍ طازجة.

الفصل الثاني

-

- ظل نادر على حالته هذه جالسًا على الأرض مشدوهًا، يتفحص التمثال غير مصدق، حدّث نفسه قائلًا: معقول هو ده التمثال اللي خباه «تاف»؟ شكله هو، نفس اللون والحجم و.. قطع كلامه فقد أحس برجفة غريبة تسري في جسده، فأردف قائلًا: والشكل المخيف. مد أصابعه يتحسس أنيابه الحادة وما عليها من آثار دماء. ودارت في رأسه عشرات الأسئلة، هل كان يحلم أم كان مستيقظاً؟ إن كان يحلم، فبِمَ يُفسر وجود هذا التمثال في نفس المكان الذي وضعه فيه تاف؟

- إيه اللي في إيدك ده يا نادر؟

- رفع نادر رأسه فوجد أمامه سليمان محدقًا في التمثال الذي في يده، ثم سأله بصوت لم يخلو من لهفة واضحة: إيه اللي معاك ده يا نادر؟ دقق النظر ولمعت عيناه فرحًا، ومد يده قائلًا: أيوه بأه، أخيرًا اكتشفنا حاجة عليها القيمة، جلس أرضًا ثم قال: وريني كده يا نادر.

- ناوله نادر التمثال بحرص وهو يقول: يعني كل التماثيل اللي حواليك دول مش عاجبينك، والصغير ده هو اللي عليه القيمة!

- أمسك سليمان بالتمثال يتفحصه وهو يقول: يا عم دول متلقحين هنا من الأول، المهم في الصغير حبيب بابا ده. ثم أخذ يهدهده كما يفعل بالطفل الرضيع.

- نظر إليه نادر في استهجان وهو يقول: متلقحين! بذمتك فيه دكتور يقول على الآثار متلقحين!

- توقف سليمان عن هدهدة التمثال. نظر إلى نادر وهز رأسه نفيًا وهو يقول: أكيد لأ، ثم انفجر ضاحكاً.

- ابتسم نادر بدوره ثم تذكر شيئًا فسأله: صحيح إنت إيه اللي صحاك؟ وبعدين مش إنت ماكونتش عايز تيجي هنا!

- ارتسمت الدهشة على ملامحه وهو يقول: لأ أبدًا، إيه اللي مش هايخليني آجي! توقف عن الكلام فجأة وكأنما تذكر شيئًا فاستطرد قائلًا: آآه، قصدك علشان اللي حصل إمبارح، ولا يهمني، ما إنت عارفني.

- ابتسم نادر وهمَّ بأن يقول شيئًا، إلا أن الإضاءة التي عمت المكان فجأة وصوت ماكينة الكهرباء التي شرعت في العمل، جعلته يتلفت حوله وهو يقول: الله ينور عليك يا عم سعيد، أيوه كده. نهض مسرعًا يتبعه سليمان إلى تلك البقعة من الحائط التي استرعت انتباهه سابقًا. توقف عندها وأشار لسعيد والعمال ليأتوا إليه.

- وقف سعيد بجواره تعلو وجهه ابتسامة عريضة وهو يقول: إيه رأيكوا يابهوات في النور كده؟

- ابتسم نادر وأومأ برأسه وهو يقول: الله ينور يا عم سعيد، أهو كده نعرف نشتغل.

- انفرجت أسارير سعيد، وبدت عليه علامات الرضا فوضع كفه على صدره كعادة أولاد البلد عندما تُمتَدح أعمالهم، وهو يقول: إنت تؤمر يا نادر بيه.

- أشار نادر إلى تلك البقعة من الحائط التي أظهرت الإضاءة مدى اختلافها عما يجاورها، ووجّه حديثه لسليمان قائلًا: إيه رأيك يا سليمان، مش شايف حاجة غريبة؟ الحتة دي مختلفة وشكلها نوعًا ما أجدد من بقية الحيطة، يعني الممر كله برسوماته وتماثيله حاجة، والحتة دي بالذات حاجة تانية خالص مالهاش علاقة بيهم، مع إن اللي بناها حاول يعملها بنفس الشكل واللون.

- أمعن سليمان النظر وتحسس الجدار، ثمالتفت إلى نادر قائلًا: آه طبعًا، الحتة دي مختلفة، شكله كان باب أو مدخل لحاجة وفيه حد قفله بالشكل ده علشان ماحدش يلاقيه.

- أومأ نادر برأسه وهو يقول: هو فعلًا كده، وما كُنَّاش هنلاقيه من غير الإضاءة دي. بس السؤال بأه، ليه عمل كده؟ إيه اللي موجود ورا الحيطة دي مش عايزنا نلاقيه؟

- رفع سليمان تمثال «ست» أمام وجهه وشرد بأفكاره وهو يغمغم: أو إيه اللي محبوس وراها ومش مفروض نفتح عليه.

- التفت إليه نادر متسائلًا: بتقول حاجة يا سليمان؟

- انتزعه السؤال من أفكاره، فقال: هه، لأ مفيش. نظر إليه

يسأله: تفتكر إيه اللي ورا الحيطة دي يا نادر؟

- صمت نادر قليلًا وهو يتذكر ما حدث معه منذ قليل، وكيف عبر الجنود أمامه خلال الحائط، ومن تلك البقعة على وجه التحديد. تردد للحظات هل يخبره بما رآه منذ قليل؟ إنه يعرفه حق المعرفة، ولكنه لا يمكنه أن يتوقع ردة فعله.

- بدت الحيرة على وجه نادر، فسأله سليمان: فيه إيه يا نادر؟؟، مالك بتفكر في إيه؟

- هز نادر رأسه نفيًا وهو يقول: لأ مفيش، ثم نهض واقفًا ينفض التراب عن ملابسه، وكذا فعل سليمان،التفت إلى سعيد الذي كان واقفًا ومعه العمال في انتظار التعليمات، أشار إلى تلك البقعة قائلًا: شايف الحتة دي يا عم سعيد؟

- أومأ سعيد برأسه إيجابًا وهو يقول: أيوه يا دكتور شايفها.

- استطرد نادر قائلًا: شكلها كانت فتحة وحد قفلها. المهم، بالعدة اللي معاكوا وبالراحة كده نكسر الحروف بتاعتها الـ...

- قاطعه عبد الحميد قائلًا: يعني نكسر المونة ومانجيش جنب الحجارة.

- رفع سليمان يديه وهو يهلل قائلًا: الله عليك يا عبد الحميد يا جامد، حلوة منك المونة دي.

- نظر سعيد إلى عبد الحميد، وهو يستشيط غضبًا قائلًا:

بتقاطع الدكتور ليه يا بغل إنت! يعني جبت التايهة ياخويا!

- ابتسم نادر وهو يقول: معلهش يا عم سعيد، الراجل بيساعد. ثم ما لبث أن رفع سبابته أمام وجهه وهو يقول: مش عايز حد من الرجالة تاخده الحماسة ويتعافى ويبوظ حاجة.

- ابتسم سعيد في ثقة وهو يقول: اطّمن يا بيه، دي مش أول مرة نشتغل الشغلانة دي.

- نظر سليمان إلى عبد الحميد قائلًا: وريني العدة اللي معاك دي يا عبد الحميد.

- ألقى سليمان نظرة على العدة التي ناوله إياها عبد الحميد، كانت عدة بسيطة كالتي يستخدمها عمال التراحيل، عبارة عن شاكوش وأزميل. ثم ما لبث أن شرع في استخدامهما بحرص لإزالة ما أطلق عليه عبد الحميد «المونة»، لحظات ثم نظر إلى سعيد قائلًا: بص يا عم سعيد، هي دي الطريقة اللي عايزينكوا تشتغلوا بيها، مش عايزين خبط ورزع، إحنا يا دوب هنكسر بالراحة الحدود بتاعة الفتحة دي، ثمالتفت لعبد الحميد مبتسمًا وتابع قائلًا: اللي هي «المونة» يا عبد الحميد، ماشي؟

- ارتسمت ابتسامة عريضة على وجه عبد الحميد وهو يقول: ماشي يا بيه.

- وجّه نادر حديثه لسعيد قائلًا: ياللا يا عم سعيد، عايز الرجالة يشتغلوا بنفس الطريقة اللي اشتغل بيها الدكتور سليمان، ماشي؟

- أومأ سعيد برأسه إيجابًا وهو يقول: حاضر يا بيه، ثم قام بتوزيع العمل على الرجال، وسرعان ما دبت الحياة في الممر ما بين أصوات الطرق، وأحاديث العمال.

- التفت سليمان إلى نادر يسأله: تفتكر هياخدوا وقت قد إيه ويخلصوا؟

- نظر في ساعته، ثم قال: الساعة دلوقت 12:30، وزي ما أنا شايف كده ممكن ياخدولهم ساعتين تلاتة، يعني إن شاء الله هانكون شيلنا الحجارة وفتحنا المدخل قبل الجو ما يليل.

- أشار سليمان لدرجات السلم قائلًا: طيب ما تيجي نطلع فوق، ونقعد في الهواء شوية لحسن أنا صدعت من صوت الخبط ده

- ابتسم نادر قائلًا: ماشي كلامك، ثم وجّه حديثه لسعيد قائلًا: عم سعيد خلّي بالك من الرجالة، إحنا هانطلع نقعد فوق شوية، بعد ما الرجالة تخلص تكسير، ما حدش يشيل طوبة من مكانها، ماشي يا عم سعيد؟

- أومأ سعيد برأسه إيجابًا وهو يقول: ماشي يا دكتور، ما

تقلقش حضرتك، وأول ما نشيل الـ... الـ...، صمت يفكر في كلمة أخرى بدلًا من كلمة «المونة» التي ذكرها عبد الحميد.

- ضحك نادر فقد فهم ما يدور في خلده، فقال له: مشيها «المونة» يا عم سعيد.

- مط سعيد شفتيه ثم تنهد قائلًا: ماشي يا بيه، علشان خاطرك إنت بس.

*****

- جلس الدكتور فريد خلف مكتبه مزهوًا بنفسه، ولم لا وقد أتت خطته بثمارها، وأصبح رئيسًا للبعثة كما كان يتمنى. أمسك بهاتفه المحمول وقام ب الاتصال بزوجته.

- مضت لحظات حتى آتاه صوتها ناعسًا وهي تقول: ألو.

- أيوه يا رانيا، أخبارك إيه؟

- تنهدت، وبصوت لم يفارقه النعاس سألته: هي الساعة كام دلوقتي؟

- طقطق بلسانه وتجاهل سؤالها وهو يقول: إصحي كده وفوقي يا رانيا، جوزك بقى رئيس البعثة اللي كنت باكلمك عنها.

- تمطت في فراشها وتثاءبت قائلة: ألف مبروك، يعني فيها زيادة في المرتب؟

- صمت قليلاً محاولًا تمالك أعصابه ثم قال: مرتب إيه دلوقتي! بقولك بقيت رئيس البعثة تقوليلي مرتب!

- اعتدلت جالسة في فراشها وبدأ صوتها يعلو: أمال أقولك إيه؟ مصحيني من النوم علشان تقولّي بقيت رئيس بعثة، طيب ألف مبروك يا سيدي.

- كاد أن ينفجر غيظًا، إلا أنه ضغط على أسنانه قائلًا: يا بنتي ركزي معايا، مش عايز أتكلم في التليفون. بس كل اللي أقدر أقولهولك إن فيه خير كتير جاي. لما آجي هافهمك.

- زفرت قائلة: طيب ماشي، هتيجي في معادك ولا هتتأخر؟

- أجابها في سرعة: لأ مش هتأخر، احتمال آجي بدري، سلام دلوقتي علشان عندي اجتماع، بعدين نتكلم، قالها وأنهى المكالمة. هز رأسه في أسى قائلًا: مش ممكن الست دي، قفلتني. أرجَعَ رأسه للخلف وأغمض عينيه، ثم تنهد محاولًا الاسترخاء. دارت فكرة بذهنه فلمعت عيناه وحدّث نفسه قائلًا: الواحد لو طلعله بكام حتة من هناك يبقى عدى خلاص. ربنا يسهل.

- قبل أن يغادر المكتب، استدعى سكرتيرته مريم وأبلغها الخبر السعيد، وأنه سيتغيب لعدة أيام أو ربما أسابيع، لحين انتهاء البعثة من مهمتها.

*****

- مضى الوقت سريعًا والرجال منهمكون في العمل، بينما نادر وسليمان يجلسان في الهواء الطلق بجوار مدخل الممر، ويترددان عليهم بين الحين والآخر ليتأكدا من أن العمل يسير طبقًا لما هو متفق عليه.

- أوشكت الشمس على المغيب، ارتشف نادر رشفة من كوب الشاي الذي أعده له سليمان ثم التفت إليه قائلًا: تسلم إيدك يا سليمان، كوباية الشاي دي جت في وقتها.

- رشف سليمان رشفة من كوب الشاي خاصته في تلذذ، ثم قال: بالهنا والشفا يا باشا.

- ألقى نظرة على ساعته ونظر لسليمان قائلًا: سعيد والرجالة خدوا وقت طويل أوي، لو ما كونَّاش بنبُص عليهم كل شوية كنت قولت إنهم ناموا.

- مط سليمان شفتيه قائلًا: ناموا إيه بس! ده كل اللي ريحوه ساعة إتغدوا فيها، ده حتى الشاي بيشربوه وهمَّ شغالين. والله الناس دي بتتعب.

- أومأ نادر برأسه موافقًا وهو يقول: على رأيك، هم فعلًا تعبوا جدًا معانا، ربنا يكون في عونهم.

- أشعل سليمان سيجارة ونفث دخانها قائلًا: بس إنت برِنس إنك فكرت تجيب مَكَنِة الكهرباء الكبيرة هنا، يعني من غيرها عمرنا ما كُنَّا هنشوف الحتة اللي في الحيطة، سحب

نفس آخر من سيجارته ثم نفثه قائلًا: بس السؤال باه، يا ترى هنلاقي حاجة هناك ولا لأ؟

- مط نادر شفتيه وبدا شارد الذهن وهو يغمغم قائلًا: هنلاقي، متقلقش.

- نظر إليه في دهشة يسأله: إيه اللي مخليك متأكد كده؟ صمت قليلًا، ونظر لنادر الذي بدا مترددًا في قول شيء ما، فسأله: مالك يا نادر؟ شكلك عايز تقول حاجة.

- نظر للتمثال في يده، وأطلق زفرة حارة وكأنما قرر أن يزيح حملًا ثقيلًا عن كاهله، قال: بص يا سليمان، أنا حصلتلي حاجة بعد ما سبتك نايم في الكارافان، وبدأ يحكي. ... وسليمان تتسع عيناه ذهولًا بينما يشحب وجهه أكثر فأكثر.

- و ما إن أنهى نادر قصته حتى رفع التمثال أمام وجهه قائلًا: وادي التمثال أهوه. إيه رأيك بأه؟

- بدا وجه سليمان شاحبًا فيما تسارعت أنفاسه وهو يتذكر ما حدث معه في نفس المكان في الليلة الماضية. منذ أن استيقظ من نومه وهو يحاول إقناع نفسه أن ما حدث معه ما هو إلا محض خيال. نظر إلى نادر وارتسمت على شفتيه ابتسامة متوتره، أشعل سيجارته بأصابع مرتعشة وهو يقول: دي ممكن تكون تهيوءات، صح؟!

- حرك نادر التمثال أمام وجهه وهو يقول: طيب وده

معناه إيه؟!

- ابتلع سليمان ريقه فيما تنقلت نظراته مابين وجه نادر والتمثال، ثم قال: لأ، يبقى كده مش تهيوءات. عارف ده معناه إيه؟

- نظر له نادر مستفسرًا وهو يقول: معناه إيه؟

- نهض واقفًا وهو يقول: معناه إني لازم أمشي من هنا، قالها وألقى سيجارته أرضًا.

- خلاص يا بيه، الرجالة خلَّصت الشغلانة.

- التفتا إلى سعيد الذي كان واقفًا إلى جوارهما، بدا مُجهَدًا وقد بلغ منه التعب مبلغه، وقف نادر ووضع يده على كتف سعيد قائلًا: الله ينور يا عم سعيد، طيب أقعد ريح شوية.

- جلس سعيد أرضًا وتناول إحدى زجاجات المياه، وأخذ يعب الماء عبًا. مسح فاه بيده ثم قال: الجو لَيِّل والرجالة تعبوا يابهوات، أنا شايف إننا نأجل شيل الحجارة للصبح، والنهار لُه عينين.

- هز نادر رأسه نفيًا قائلًا: لأ يا عم سعيد، مفيش وقت. وبعدين إحنا ما صدقنا نلاقي المدخل. ريَّح إنت، وأنا والدكتور سليمان هاننزل مع الرجالة.

- بدا التوتر على وجه سليمان الذي تنحنح قائلًا: إحم،

سليمان مين! أنا ماشي دلوقتي.

- نظر له سعيد قائلًا: ماشي ليه يادكتور؟! فيه حاجة كفا الله الشر؟

- قال نادر: لأ مفيش حاجة يا عم سعيد، ثم نظر لسليمان محذرًا، وضغط على أسنانه قائلًا: الدكتور سليمان بيحب يهزر.

- نظر إليه سليمان قائلًا: بُص، مبدئيًا كده، أنا مش نازل تحت بالليل. وده آخر كلام عندي. وبعدين أنا مع رأي عم سعيد، النهار لُه عينين.

- صمت نادر مفكرًا، هو لا يريد أن يُجهِد الرجال، فهم لم ينالوا قسطًا من الراحة منذ الصباح، كما أن سليمان لن ينزل معه الليلة على الأقل، علاوة على ما حدث معه هو الآخر. طقطق بلسانه وزفر في ضيق قائلًا: خلاص يا عم سعيد، على رأيك الجو لَيِّل. هتخلى مَكَنِة الكهرباء هنا ما حدش يحركها، وها نكمل شغل بكره أول ما الدنيا تنور، يعني على الساعة ستة كده.

- اعترض سليمان قائلًا: طيب خليها سبعة.

- هز رأسه نفيًا وقال ضاغطًا على مخارج الحروف: ستة.

- بدا الامتعاض على وجه سليمان فزفر قائلًا: ماشي، ستة ستة.

- التفت إلى سعيد قائلًا: ماشي يا عم سعيد؟

- أومأ سعيد برأسه إيجابًا وهو يقول: ماشي يا بيه، قبل ستة إن شاء الله.

- تابع نادر كلامه: ماشي يا عم سعيد، إطفي المَكَنَة، وخلِّى حد يحرس المدخل زي كل يوم، ثم رفع يده محييًا وهو يقول: سلام عليكم.

- رفع سعيد يده بدوره قائلًا: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

*****

اغتنم الدكتور نبيل فترة راحته بعد يوم من العمل الشاق بالمستشفى، وجلس في ڤيلته بالتجمع الخامس يتناول طعام العشاء مع زوجته السيدة أسماء وابنتهما ماهيتاب.

الدكتور نبيل زيدان واحد من أكبر جراحي المخ والأعصاب بمصر. يشهد له الجميع بالنزاهة وحسن الخلق. يرأس مجلس إدارة إحدى المستشفيات الخاصة التي يمتلك نسبة لا بأس بها من أسهمها. كانت فرحته عارمة عندما حصل ابنه نادر على مجموع يؤهله لدخول كلية الطب، فقد كان حلم حياته أن يسلك ابنه نفس الدرب، ومن ثَمَّ يساعده في إدارة المستشفى عقب تخرجه، أسوةً بشقيقته الكبرى ماهيتاب، التي ما إن تخرجت في كلية الطب حتى سارعت بالانضمام إليه. إلا أن أحلامه سرعان ما

تلاشت عندما أصر نادر على الالتحاق بكلية الآثار.

كانت الفيلا تدل على مدى ثراء مالكها، فقد كان تصميمها فريدًا يجذب أنظار كل من تقع عيناه عليها، علاوة على العربات الفارهة الموجودة أمامها، ناهيك عن وجود حراسة خاصة على مدار الساعة، أضف إلى ذلك كلبين للحراسة بحديقتها التي تحتوي على حمام سباحة متوسط الحجم.

- أُمال فين ميار يا ماهي؟

ماهيتاب، الشقيقة الكبرى لنادر، في العقد الرابع من العمر. انتقلت وابنتها الوحيدة ميار ليقيما مع والديها في الفيلا بعد انفصالها عن زوجها حسام، الذي جمعها به قصة حب منذ أيام الجامعة، تُوِجَت بزواجهما عقب التخرج. وأثمرت هذه الزيجة عن طفلتهما الوحيدة ميار

- ابتلعت ماهيتاب الطعام الذي كان في فمها ثم قالت: في التمرين يا بابي.

- رفع حاجبيه في دهشة وسألها: تمرين سباحة بالليل كده!

- ابتسمت قائلة: البطولة قربت ونفسها تعمل حاجة، وبعدين الساعة لسه سبعة.

- ألقى نظرة على ساعة يده ثم قال: آه صحيح، ده الساعة

لسه سبعة، أُمَّال الواحد حاسس إن الوقت إتأخر ليه! نظر إلى زوجته وأردف قائلًا: شكلى خلاص عجزت يا سيمو.

- ابتسمت أسماء قائلة: لأ طبعًا، إنت لسه شباب.

- أمسك بيدها قائلًا: ربنا مايحرمنيش منك أبدًا.

- توردت وجنتاها وردت قائلة: ومايحرمناش منك يا بيبو.

- تنحنحت ماهيتاب قائلة: إحم إحم، سيمو وبيبو! ياعيني على الدلع. طيب سيبولنا حاجة.

- نظر إليها نبيل وقال مازحًا: بس يا بنت، تناول قطعة من شريحة اللحم أمامه، لاكها في فمه ثم سأل زوجته: مفيش أخبار عن نادر؟

- مطت شفتيها قائلة: أنا كلمت ريم من شوية، قالتلي إنها اتصلت بيه الصبح وهو كويس بس ماقالَّهاش راجع إمتى. بس شكل الحمل تاعبها شوية.

- سألها: هي في الشهر الكام دلوقتي؟

- أجابته ماهيتاب: في آخر السابع يا بابي، خلاص هانت.

- هزت أسماء رأسها في أسى وهي تقول: ولسه نادر راكب دماغه.

- نظر إليها مستفسرًا: راكب دماغه في إيه بالظبط؟

- تنهدت أسماء قائلة: مارضيش ياخد فلوس، مع إن الولادة هَتتكلف كتير، ده غير مصاريف مدرسة حمادة اللي لازم يدفعها قبل آخر الشهر.

- أطلق نبيل زفرة حارة قائلًا: مفيش فايدة طول عمره دماغه ناشفة. صمت قليلًا يفكر ثم استطرد قائلًا: بصي سيبك منه، إحنا هانعمل الصح، هابعت بكره حد يدفع مصاريف المدرسة. وبالنسبة للولادة، إنتي عارفة الدكتور اللي ريم متابعه معاه؟

- أومأت برأسها إيجابًا وهي تقول: آه، الدكتور علاء زهران، ما إنت عارفه.

- آه طبعًا عارفه، طيب كويس، أنا هاكلمه بكره وأتفق معاه على كل حاجة، وما حدش يجيب سيرة لنادر.

- انفرجت أسارير أسماء وربتت على يده قائلة: ربنا يخليك لينا، وما يحرمناش منك أبداً.

*****

- أخذ سليمان يجفف وجهه ورأسه عقب خروجه من دورة المياه الملحقة بالكارافان، ونظر إلى نادر مبتسمًا وهو يقول: أما حتة دش، متشكرين يا سيدي إنك ماخلصتش الميه السخنة كلها وإنت بتستحمى.

- نهض نادر من على طرف فراشه ممسكًا بكوب من الشاي في يده، أشار إلى كوب آخر على المنضدة أمامه قائلًا: هات الشاي بتاعك وتعالى نقعد بره في الهوا.

- انفرجت أسارير سليمان قائلًا: وكمان عملتلي شاي! الله عليك يابو نادر يا جامد.

- جلسا سويًا في الهواء الطلق أمام الكارافان يحتسيان الشاي، كان الليل قد أسدل ستاره وساد هدوء لم يقطعه سوى نباح كلاب ضالة بين الفينة والأخرى، رفع سليمان بصره إلى السماء الصافية التي بدت بنجومها وكأنها قطعة مخملية مرصعة بالألماس.

- تَذَكَّر أيام الكشافة وكيف تعلم التعرف على مجموعات النجوم، وكز نادر في كتفه، وهو يشير إلى النجوم قائلًا: بص يا سيدي دي مجموعة كاثيوبيا، وده النجم القطبي، ثم أخذ يجول ببصره في السماء باحثًا عن شيء آخر، إلى أن هتف: أهيه، ودي بأه مجموعة الدب الأكبر، نظر إلى نادر وتابع قائلًا: طبعًا هاتسألني وعرفت منـ... قطع كلامه عندما لاحظ أن نادر شارد الذهن ولا يعيره انتباهًا، فسأله: مالك يا نادر في إيه؟

- زفر نادر في ضيق قائلًا: وإنت في الحمام جاتلي مكالمة من مريم سكرتيرة الدكتور فريد، قالتلي إنه جاي بكره الصبح هنا.

- حرك يديه مستفسرًا وهو يقول: جاي يعمل إيه؟

- أطرق برأسه قائلًا: جاي يضُم علينا، ويبقى رئيس البعثة.

- بدت على ملامحه الدهشة وهو يقول: إيه الهبل ده، وهي جابت الكلام ده منين؟

- بدا الضيق على وجه نادر وأشاح بيده قائلًا: هو اللي قالها بنفسه، وقالها كمان إنه إتعين مساعد الوزير لشئون الآثار.

- ارتفع حاجباه وفغر فاه مندهشًا: يانهار إسود، إدوا القط مفتاح الكرار، مالاقوش غير ده يعينوه مساعد وزير! طيب والحل؟

- هز رأسه في أسى قائلًا: مفيش حل، هانقوله إيه! مش عايزينك تيجي!

- هز سليمان رأسه نفيًا وهو يقول: لأ طبعًا، نبلغ الوزير، ونعرفه إن فريد ده شخص انتهازي وبتاع حوارات، وإن في عليه علامات استفهام كتير.

- مط شفتيه قائلًا: ما اعتقدش إن كلامنا ها يفرق معاه، صمت قليلًا ثم تذكر شيئًا فعض على شفته السفلى وأسرع يمسك بهاتفه المحمول.

- لاحظ سليمان ما حدث فسأله: فيه حاجة يا نادر؟

- نظر لساعة يده وطقطق بلسانه قائلًا: ياه، كنت

المفروض أكلم ريم من الصبح بس اللي حصل خلاني نسيت، اتصل بيها، وما إن سمع صوتها حتى قال: ألو، أيوه يا رُوما، إزيك يا حبيبتي.

- وبنبرة صوت امتزج فيها القلق بالعتاب قالت: حبيبتك! يعني سايبني من الصبح ودلوقتي تقولِّي حبيبتك!

- كان يعتريه الكثير من التوتر نتيجة ما مر به. حاول أن يبدو هادئًا وهو يقول: آه طبعًا حبيبتي، هو فيه حد غيرك!

- مطت شفتيها قائلة: الله أعلم، شوف إنت بأه.

- فهم ما ترمي إليه فابتسم قائلًا: أشوف إيه بس! يا بنتي بطلي الكلام ده. كل الحكاية إني مشغول جدًا، وأول ماجت فرصة كلمتك على طول.

- أطلقت زفرة حارة وقالت: مشغول بتدور في المقابر، مش كده! يعني ضحكت عليا يا نادر وقولتلي إنك بترمم آثار وطلعت بتدور في المقابر، إنت مش خايف من لعنة الفراعنة؟!

- تنهد قائلًا: أولًا أنا ما قولتلكيش علشان كُنتي هتخافي، ثانيًا مفيش حاجة اسمها لعنة الفراعنة، دي كلها خرافات. سيبك إنتي من كل ده، المهم أخبارك إيه؟ لسه الحمل تاعبك برضه؟

- تنهدت قائلة: الحمد لله، أهي عماله تشوط برجليها جوه بطني، تقولش محمد صلاح!

- قهقه ضاحكًا ثم قال: بكره تيجي وتصحينا طول الليل. صمت قليلًا ثم سألها: أخبار حمادة إيه؟ أكيد نام.

- ابتسمت قائلة: أكيد طبعًا، ما إنت عارف إنه بينام من المغرب. صمتت قليلًا ثم استطردت قائلة: بص يا نادر مش هاتحوَر في الكلام وتنسيني اللي إنت عامله، مش خايف يحصلك حاجة؟

- تنهد قليلًا ثم قال: يا ستي مفيش حاجة إن شاء الله، لما آجي هاقولك على كل حاجة.

- قالت في استسلام: ماشي يا نادر، ربنا يستر. خد بالك من نفسك.

- ابتسم قائلًا: ماشي ياحبيبتي، باي.

- أغلق الهاتف وجلس مع سليمان يتجاذبان أطراف الحديث، إلى أن نظر إلى ساعة يده ثم قال: ياه، الساعة جت 11 بسرعة كده!التفت إلى سليمان وتابع قائلًا: تصبح على خير يا سُلْم، أنا داخل أنام، عندنا شغل بكره بدري.

- تنهد سليمان قائلًا: وإنت من أهله ياباشا، ياللا بينا.

نهضا سويًا، لحظات وكان كلٌ منهما في فراشه، انتظر نادر

حتى نام سليمان وأطفأ النور، وما هي إلا لحظات حتى غطَّ نادر في النوم، راودته أحلام أو بالأحرى كوابيس عن الدكتور فريد، تارةً واقفًا أمامه وعلى وجهه ابتسامة متشفية، وتارةً أخرى يبدو وجهه وقد استحال لوجه شيطان مريد. تسارعت أنفاسه وأخذ يتقلب في فراشه إلى أن ساد الهدوء أحلامه فجأة ووجد نفسه واقفًا في مكان يعرفه جيدًا، تلفت حوله ليتأكد مما يرى، نعم إنه هو ذات الممر بتماثيله ورسوماته و.... والكاهن.

كان يشعر وكأن كل شيء حقيقي لدرجة مخيفه، هل مازال يحلم، أم أنه قد استيقظ وذهب للممر دون أن يشعر به أحد؟ تمنى في أعماقه أن يكون هذا مجرد حلم، وأنه سيستيقظ منه بطريقة أو بأخرى. وقعت عيناه على الدرج فخطر بباله أن يقطع المسافة ركضًا ويصعد الدرج إلى خارج الممر، ولكن قدميه أبتا أن تطيعا أوامره.

- تردد صوت في المكان وكأنه قادمٌ من أعماق سحيقة، قائلًا: لم أنت خائف يا نادر؟!

- التفت إلى مصدر الصوت وسأله بنبرة متوتره: إنت مين؟؟، وعايز مني إيه؟

- أجابه في هدوء: إن اسمي هو «خارو ست»، وأنا هنا لأساعدك.

- أمعن نادر النظر إلى الكاهن الذي بدا على نفس هيئته

المخيفة، نظر إلى عينيه المشتعلتين، والعجيب أنه ولأول مرة لم يشعر بالخوف من النظر إليهما، فسأله: تساعدني في إيه؟

- خُيل إليه أنه يبتسم وهو يقول: في أي شيء يخطُر على بالك.

- أجابه في سرعة: بس أنا مش عايز حاجة.

- قال الكاهن: أشك في هذا. رفع يده وبدأت تتكون بجواره سحابة سرعان ما بدأ يتشكل داخلها صورة لشخص يعرفه نادر جيدًا، فأردف الكاهن قائلًا: وما قولك في هذا؟

- نظر نادر إلى تلك الصورة التي بدت بما لا يدع مجالًا للشك، أنها للدكتور فريد علّام. صمت قليلًا ثم قال: ماله الدكتور فريد؟

- اكتسى صوت الكاهن برنة ساخرة وهو يقول: غريبٌ أمرك، كنت أعتقد أنك لا تريده أن يأتي ويأخد مكانك.

- أطرق نادر برأسه مفكرًا قبل أن يقول: ماينفعش يبقى هو رئيس البعثة، علشان.... علشان هو مش كويس.

- ترددت ضحكة ساخرة في المكان ثم قال الكاهن: حقاً! أهذا هو السبب؟ لم ينتظر إجابة نادر، بل بادره بقوله: أظنني وإياك نعرف السبب الحقيقي، السبب هو طموحك، إنك ترفض وبشدة أن يأتي ليسرق منك الأضواء.

صمت قليلًا ليرى وقع كلماته على نادر، ثم أردف قائلًا: كشف أثري مثل هذا، ستكتب عنه الصحف بالتأكيد، بل إن وسائل الإعلام جميعها سوف تلهث وراء رئيس البعثة لتفوز بالسبق الإعلامي، وبالطبع أنت لا تريد لفريد أن يأتي وينسب الفضل لنفسه وأنت الأحق به.

- انتفخت أوداج نادر ثم ما لبث أن انفجر قائلًا: أيوه ماينفعش ييجي وياخد تعبي ومجهودي، أيوه مش عايزه يبقى رئيس البعثة.

- خُيل لنادر أن عينيّ الكاهن قد ازدداد وهيجهما. وهو يشير ليد نادر قائلًا: إن أمنيتك ستتحقق، لكن ضع في حسبانك، أن الأمنية لها ثمن. .. الأمنية تتحقق بالدم.

شعر نادر بأنه يقبض على شيء ما، اتسعت عيناه رعبًا عندما نظر إلى يده فوجد فيها تمثالًا مصغرًا لرمز الشر «ست» فاغرًا فاه وقطرات من الدم تسيل من أحد أنيابه، رفع بصره تجاه الكاهن فوجد صورة فريد قد اختفت، وبدا وكأن السحابة تزداد كثافة فيما تقترب من الكاهن أكثر فأكثر، وأمام عينيه بدأت تتشكل لتتخذ هيئة بشرية، أمعن النظر إلى ملامح ذلك الشخص التي بدأت تتضح شيئًا فشيئًا، فإذا بها ميار ابنة شقيقته التي بدت زائغة النظرات تتلفت حولها، أحاط الكاهن كتفيها بذراعه وهو يقول: الأمنية لها ثمن. .. الأمنية تتحقق بالدم.

- صاح نادر بعلو صوته في لوعة: مياااااار.

- انتفض جسد نادر عندما وضع سليمان يده على كتفه بغية إيقاظه قائلًا: نادر، إصحى، مالك فيه إيه؟

- فتح نادر عينيه ليجد سليمان جالسًا على طرف فراشه يهزه في رفق محاولًا إيقاظه، اعتدل نادر جالسًا وهو يتصبب عرقًا، محاولًا التقاط أنفاسه، رفع يده اليمنى ببطء فوجدها خالية، فنظر إلى سليمان يسأله في لهفة: هو فين التمثال؟

- نظر إليه سليمان في دهشة وهو يقول: تمثال إيه؟

- أجابه في سرعة: التمثال الصغير بتاع «ست»، هو فين؟

- أشار سليمان إلى المنضدة الملاصقة لفراش نادر قائلًا: أهوه جنبك يا نادر على الترابيزة، إهدى بس فيه إيه؟

- مد نادر يده ليقبض على التمثال إلا أن يده توقفت في منتصف المسافة، تسارعت أنفاسه وبدا مترددًا، ثم ما لبث أن حسم أمره والتقط التمثال وأخذ يتلفت حوله كمن يتوقع حدوث شيء ما، تفحص التمثال وخاصة أنيابه، لكن لم يكن هناك ما يدعو للريبة.

- أخذ سليمان يتطلع إليه مندهشًا مما يفعل، فسأله: فيه إيه يا نادر؟! إيه اللي حصل؟

- هز نادر رأسه وتنهد قائلًا: أما حتة كابوس، بس كان شكله حقيقي فعلاً.

- أحضر سليمان كوبًا من الماء لنادر وناوله له قائلًا: نفس الكابوس بتاع كل مرة؟

- جرع نادر كوب الماء دفعة واحدة، ثم تطلع إليه وهو يحاول أن يسترجع تفاصيل الكابوس. لم يبذل جهدًا يُذكر، فقد كانت التفاصيل محفورة في ذاكرته، وكأنه قد عاش هذه اللحظات وهو في كامل وعيه. قص على سليمان ما رآه في منامه من ظهور الكاهن والدكتور فريد وابنة شقيقته التي عشقها وكأنها ابنته هو، انتهاء بالتمثال.

- هز سليمان رأسه وهو يقول: آآه، علشان كده كنت بتسأل على التمثال.

- أومأ نادر برأسه وهو يقول: كنت مرعوب يكون فيه دم سايل على أسنانه زي اللي شوفته في الكابوس.

- نظر سليمان إلى ساعته ثم قال: الساعة لسه 2:15، أنا بقول نحاول ننام تاني علشان لسه بدري، كلها ساعتين تلاته ونصحى.

- أومأ نادر برأسه موافقًا: تمدد في فراشه ثم سحب الغطاء عليه، وهو يقول لسليمان ماشي كلامك، طيب إطفي النور ونام.

- رد سليمان في ثقة: لأ، أنا لسه هأقرا شوية.

- ابتسم نادر رغمًا عنه ولم يجادله، بل اكتفى بقوله: تصبح على خير.

- أجابه سليمان: وإنت من أهله. انتظر قليلًا حتى نام نادر، ومن ثَمَّ تمدد في فراشه وقام بسحب الغطاء، وما هي إلا لحظات حتى ملأ صوت شخيره أرجاء الكارافان.

لم ينعم نادر بالنوم الذي كان ينشده، فأخذ يتقلب في فراشه. اعتدل جالسًا، ونظر إلى سليمان الذي بدا وكأنه قد غرق في سباتٍ عميق. كانت الساعة قد جاوزت الثالثة بقليل، نهض من فراشه وأعد لنفسه كوبًا من الشاي. أخذ حاسبه المحمول وجلس خارج الكارافان يفكر في كل ما مر به منذ أن وطأت قدماه ذلك الممر.

كان يشعر بأن هناك شيئًا غامضًا يحدث. تزاحمت التساؤلات في رأسه، هل ما يحدث لا يتعدى كونه كابوسًا، أم أنه شيء آخر؟ هل ما حدث في الممر هو كابوس آخر؟ وإذا كان كذلك فكيف يفسر وجود التمثال في نفس المكان الذي خبأه فيه الجندي «تاف»؟ هل ما رآه منذ لحظات لا يتعدى كونه أضغاث أحلام؟ والأهم من ذلك كله ابنة شقيقته ميار ذات العشرة أعوام والتي تحتل مكانة خاصة في قلبه، هل هي بخير؟

- أمسك هاتفه وأراد الاتصال بشقيقته، ولكنه تراجع عن ذلك، فكيف سيفسر لها اتصاله في ذلك الوقت للاطمئنان على ابنتها؟ تنهد ونفض عن رأسه تلك الأفكار، وحدّث نفسه

قائلًا: إهدى يا عم نادر، مفيش حاجة إن شاء الله، ده كابوس مش أكتر.

ألحت عليه فكرة أن يذهب لموقع التنقيب ليتفقد الرجال هناك، ولكنه عدل عنها، فتجربته هناك لا تشجعه على الذهاب وحيدًا، خاصة في هذا الوقت. فتح حاسبه المحمول وأخذ يبحث على الإنترنت عن حالات أحلام يقظة مشابهة لما مر به في ذلك الممر، وجد حالات يَدَّعِي أصحابها أنهم مروا بتجارب مشابهة، ولكن بالطبع ليس هناك دليل علمي واحد على صدق ما يدَّعونه، وهناك تجارب أخرى شبيهة بخروج الروح من الجسد، كالتي مر بها الراحل الدكتور مصطفى محمود في تجربته الشهيرة التي تحدث عنها في إحدى كتاباته.

- وبينما هو منهمك في البحث إذ بمن يقول له: صباح الخير يا دكتور نادر، إيه اللي مصحيك بدري كده؟!

- رفع بصره ليرى سعيد واقفًا أمامه وعلى وجهه ابتسامته المعهودة، تلفت نادر حوله ليجد أنه مع انشغاله لم يلاحظ أن الشمس قد بدأت في الشروق، ابتسم نادر بدوره قائلًا: صباح الخير يا عم سعيد، أنا ما نمتش أصلاً.

- رفع سعيد حاجبيه قائلًا: ليه يا بيه إيه اللي حصل؟

- بدا على وجهه الإجهاد وهو يقول: مفيش يا عم سعيد، ماجاليش نوم، المهم إيه الأخبار؟؟، فيه أي مشاكل؟

- هز سعيد رأسه نفيًا قائلًا: لأ يا بيه كله تمام، أنا كنت بَمُر على الرجالة أصحيهم لاقيتك قاعد قولت آجي أصبح عليك.

- ابتسم نادر قائلًا: صباح الفل يا عم سعيد.

- بدا التردد واضحًا على وجه سعيد، سرعان ما حسم أمره قائلًا: معلهش يا بيه ما تآخذنيش، عندي سؤال.

- أشار له نادر بالجلوس قائلًا: طيب أقعد الأول يا عم سعيد، سؤال إيه؟

- جلس سعيد وهو يقول: أنا سمعت إمبارح من الرجالة كلام عن لعنة الفراعنة، صحيح يا بيه المكان ده فيه لعنة فراعنة؟

- طقطق نادر بلسانه وهز رأسه نفيًا قائلًا: إيه يا عم سعيد الكلام الغريب ده! لعنة فراعنة إيه اللي بتتكلموا عنها! مفيش حاجة اسمها لعنة الفراعنة، دي كلها تخاريف.

- حرك سعيد كفه مستفسرًا وهو يقول: طيب والناس اللي ماتوا بعد ما فتحوا مقابر بتاعة فراعنة؟

- أجابه نادر: يا سيدي الأعمار بيد الله، الكلام ده غلط، الوفيات دي كلها نتيجة بكتيريا وفيروسات كانت موجودة في المقابر دي، يعني اللي ماتوا دول، ماتوا بأمراض جت لهم من المقابر، ما حدش قتلهم يعني، وبعدين أنا عايزك تتطمن يا

عم سعيد، إحنا هناخد كل احتياطاتنا وإحنا بنفتح أي حاجة نلاقيها علشان مفيش حد يحصله حاجة.

- تنهد سعيد ونظر إليه قائلًا: ربنا يكرمك يا بيه، ثم استطرد قائلًا: بس المهم إن موضوع لعنة الفراعنة ده مش حقيقي.

- هز نادر رأسه نفيًا وهو يقول: لأ مش حقيقي.

- انفرجت أسارير سعيد قائلًا: الله يطمنك يا بيه، الواحد كان بدأ يصدق في التخاريف دي.

- ألقى نادر نظرة على ساعة يده ثم ما لبث أن نهض واقفًا وهو يقول: ماشي يا عم سعيد، أنا هادخل أصحي الدكتور سليمان ونجهز ونيجي على الموقع.

- نهض سعيد بدوره وهو يقول: ماشي يا بيه، وأنا هاطمن الرجالة بالكلام اللي قولتهولي.

- ابتسم نادر قائلًا: ماشي يا عم سعيد.

*****

- استيقظ الدكتور فريد علّام من نومه مبكرًا على غير عادته، وأيقظ زوجته لتساعده في تجهيز حقيبته وإعداد طعام الإفطار. وما إن إن أنهى حمامه حتى انطلق جرس جهاز الاتصال الداخلى بالشقة التي يقطنها بحي مصر الجديدة، رفع السماعة قائلًا: أيوه، نعم؟

- آتاه صوت عباس السائق خاصته وهو يقول: صباح الخير يا دكتور، أنا موجود تحت.

- زفر فريد في ضيق وهو يقول: إنت بتضرب الإنتركوم ليه يا بني آدم! ما أنا عارف إنك مرزوع تحت.

- ابتلع عباس ريقه وهو يقول: أصل حضرتك إتأخرت فخفت تكون فاكرني لسه ماجيتش.

- صاح فيه قائلًا: إتأخرت! ماتيجي ترتبلي يومي أحسن. خليك تحت لحد ما أنزلك. لم ينتظر رد عباس، بل وضع السماعة وذهب ليتناول إفطاره على المائدة الموجودة بالمطبخ.

- و ما إن جلس حتى تفحص الأطباق التي أمامه وسأل زوجته: إيه يا رانيا! ما عملتيش أومليت ليه؟

- كان الاستيقاظ مبكرًا هو أكثر ما تكرهه رانيا في حياتها، زفرت في ضيق قائلة: يمكن علشان البيض خلص!

- نظر إليها مندهشًا: وإيه اللي خلصه؟

- همهمت قائلة: أمي.

- لم يسمعها جيدًا فسألها: بتقولي حاجة؟

- تنهدت قائلة: خِلِص في البيت بالهنا والشفا، صمتت قليلًا وهي تنظر إليه، ثم ما لبثت أن قالت: هاتصل بالسوبر ماركت يجيب، عايز حاجة تاني غير البيض؟

- نهض واقفًا وفمه مملوء بالطعام يحاول أن يبتلعه بسرعة وهو يقول: لأ أنا خلاص ماشي دلوقتي، كلمي البواب خليه يطلع ياخد الشنطة عقبال ما أكمل لبس. لحظات وكان جالسًا في السيارة في طريقه إلى منطقة الأهرامات.

*****

- ما إن وصل نادر وسليمان إلى الموقع حتى وجدا سعيد واقفًا، والرجال يشكلون دائرة من حوله فيما علا صوته وهو يقول: صدقتوا بأه إن مفيش حاجة اسمها لعنة الفراعنة، دي ناس ماتت بأمراض.. مش مقتولين يعني.

- صاح عبد الحميد قائلًا: وإشمعنى يعني اللي فتحوا المقابر هم اللي يموتوا، هه؟!

- نهره سعيد قائلًا: عمرهم كده ياخويا، اعترض بأه على أمر ربنا.

- تنحنح عبد الحميد وقال: مش قصدي يا عم سعيد، أنا قصـ...

- قاطعه نادر قائلًا: خلاص ياعبد الحميد، زي ما قال عم سعيد، الناس دي ماتت موته طبيعية نتيجة نوع معين من البكتيريا كان موجود في المقابر، ولما ظهرت عليهم أعراض المرض، الطب أيامها ماكانش زي دلوقت، فماحدش عرف يعملهم حاجة.

- أضاف سليمان: زي ما قال كده الدكتور نادر، الطب اليومين دول إتقدم كتير، وإن شاء الله هانلحقكم.

- وكزه نادر بكوعه ونظر إليه معاتبًا ثم قال: قصد الدكتور سليمان إن ما حدش يقلق من حاجة، إحنا موجودين معاكم، ورجلنا على رجلكوا. صمت قليلًا ينظر لوقع كلماته عليهم، ثم أردف قائلًا: ياللا يا عم سعيد مش عايزين نضيّع اليوم.

- دقائق معدودة وكانت الإضاءة تغمر الممر والجميع يتعاون لإزالة الحجارة بتلك البقعة. تعالت صيحات نادر قائلًا: بالراحة يا رجال خدوا بالكوا، مش عايزين نبَوَظ حاجة.

- ما إن انتهى العمال من إزالة الحجارة بالجزء العلوي حتى أسرع نادر بإلقاء نظرة خلال تلك الفتحة وبدا له أن هناك قاعة يغلفها الظلام الدامس خلف هذا الحائط، جذبه سليمان خلفًا في قوة وهمس له قائلًا: إيه يا نادر إنت إتجننت! يعني عمال تكلم الرجالة على بكتيريا وفيروسات ممكن تكون موجودة، ومش قادر تصبر لغاية ما ننوَر ونشوف إيه اللي ورا الحيطة دي! أو على الأقل الهواء يتجدد.

- نظر إليه نادر، وتنهد قائلًا: عندك حق، تلفت حوله يبحث عن سعيد، ثم نادى عليه قائلًا: هات البلادوس اللي معاك يا عم سعيد.

- أمسك نادر بالمصباح الكهربائي في يده ووضعه أعلى

فجوة الجدار محاولًا استكشاف ماهية تلك الغرفة، حال الظلام الدامس دون ذلك، زفر في ضيق ونظر إلى سليمان قائلًا: مش شايف كويس، بس شكلها مش مقبرة، على الأقل ضمنًّا إن مفيش مومياوات علشان اللعنة والهبل ده.

- تنهد سليمان الصعداء، ونظر لسعيد قائلًا: أهوه يا عم سعيد، مفيش مقبرة ولا حاجة، ياللا بأه عايزين نخلص.

- بدت علامات الارتياح على وجه سعيد، الذي سارع بشحذ همم العمال قائلًا: سمعتوا يا رجاله؟ ياللا توكلنا على الله.

زاد الحماس بين الرجال الذين لم يشعروا بمضي الوقت، وهم منهمكون في إزالة الحجارة المتبقية، وسرعان ما بدا المدخل واضحًا أمامهم. كاد الفضول أن يقتل نادر، فهو يريد أن يقتحم الغرفة ليعرف ما تخفيه بين جنباتها، إلا أنه آثر التريث لبعض الوقت لالتقاط الأنفاس وإعطاء الفرصة لتجدد الهواء بداخلها.

مضى بعض الوقت قام الرجال خلاله بتجهيز الوصلات الكهربائية لإضاءة الغرفة، دلف نادر وسليمان أولًا ومع كل منهما مصباح كهربائي، ومن ثمَّ تبعهما سعيد، كانت تعليمات نادر لطاقم العمل ألا يخطو أحد إلى الغرفة إلا بعد أن يأذن لهم بذلك، وبعد أن يتفقدها هو وسليمان ومعهم سعيد، لم يرغب في حدوث مفاجآت من أي نوع، كأن يخطو أحدهم على قطعة من الآثار أو تسول له نفسه أن يحتفظ بواحدة.

ما إن إن دلفوا إلى الغرفة حتى وقف ثلاثتهم يتلفتون حولهم يعاينونها، كانت أقرب إلى قاعة منها إلى غرفة، ضخمة الحجم ذات شكل مستطيل، يتجاوز طولها العشرين مترًا، بينما يقترب عرضها من العشرة أمتار، ذات سقف مرتفع، يتراوح ارتفاعه مابين الخمسة والستة أمتار، يحمله عددٌ من الأعمدة التي نقشت عليها والجدران رسومات فرعونية ذات ألوان داكنة، بدت مماثلة لتلك التي تزين الممر.

تجولوا في القاعة التي بدت خالية إلا من بعض المقاعد المتناثرة التي نُحِتَ على أرجلها رمز الشر «ست»، كما تناثرت قطع بالية من القماش، فيما يبدو أنها كانت ملابس أو ما تبقى منها، بعد أن تآكل معظمها بفعل الزمن. وقف نادر وبجواره سليمان يمعنان النظر إلى صخرة مسطحة أشبه بطاولة بيضاوية الشكل، تتناثر عليها آثارٌ لدماءٍ جافة.

- نظر سليمان إلى نادر الذي بدا شارد الذهن، تلفت حوله قائلًا: المكان ده شكله عبارة عن. ...

- قاطعه نادر قائلًا: معبد.

- نظر إليه سليمان وأومأ برأسه موافقًا وهو يقول: بالظبط كده. أشار إلى الصخرة المسطحة قائلًا: أما دي بأه، زي ما يكونوا. ...

- قاطعه نادر مرة أخرى قائلًا: بيدبحوا عليها القرابين.

- لم يملك سليمان إلا أن يومئ برأسه مرة أخرى موافقًا وهو يقول: بالظبط كده، ثم ما لبث أن هز رأسه وكأن هناك مالفت انتباهه، فنظر إلى نادر قائلًا: هو فيه إيه يا نادر؟! ده زي ما تكون بتقرا أفكاري، أو زي ما تكون شوفت المعبد ده قبل كده!!

- نظر إليه نادر، وبوجهٍ خالٍ من التعبير قال: أيوه شوفت المعبد ده بتفاصيله قبل كده.

- ارتفع حاجبا سليمان واقترب بوجهه من نادر وهو يقول بصوت مرتعش: شوفته قبل كده؟!! إوعى يكون هو بتاع الكابوس؟

- أومأ نادر برأسه إيجابًا وهو يقول: بالظبط كده.

- قاطعهم سعيد قائلًا: معبد إيه وكابوس إيه يا بيه؟!!، أنا مش فاهم حاجة!!

- تنهد نادر قائلًا: ما تشغلش بالك يا عم سعيد، الموضوع ما يستاهلش.

- حرّك سعيد يديه مستفسرًا: ما يستاهلش إزاي يابيه! ده إنت شكلك ما دُقتِش طعم النوم.

- ابتسم نادر ثم قال: ما تاخدش في بالك يا عم سعيد، نقل نظره بينهم وهو يقول: بصوا، الإضاءة اللي معانا معقولة،

عايزين نفتش المكان كويس على قد ما نقدر، وبعد كده ندخل الرجالة تنور المكان علشان نكمل شغل، ماشي يا عم سعيد؟

- أومأ سعيد برأسه قائلًا: ماشي يا بيه.

- تفرق ثلاثتهم داخل المعبد يفتشون عن أية آثار، مضى بعض الوقت ولم يجد أيٌ منهم ما كان يصبوا إليه. بدأ الإحباط يتسرب إلى نفوسهم، فقد بدا لهم أن المعبد خالٍ، وأن كل مجهوداتهم ذهبت أدراج الرياح، إلى أن صاح سليمان فرحًا وهو يشير إلى شيء ما تحت الصخرة البيضاوية الشكل قائلًا: نادر، تعال بسرعة فيه صندوق تحت الحجر بتاع القرابين ده. قالها وجثا على ركبتيه يسحب الصندوق من أسفل الصخرة.

ما إن سمع نادر ذلك، حتى جاءه يعدو بأقصى سرعة حتى بدا وكأنه عداءٌ يسعى لتحقيق رقم أوليمبي جديد. جثا نادر على ركبتيه بجوار سليمان، وأمسك بالصندوق يتفحصه. كان واحدًا من تلك الصناديق الخشبية التي تستخدم في حفظ المجوهرات والأشياء الثمينة فيما مضى، والذي كان يطلق عليه «شكمجية». بُنِّيّ اللون، ذا حجم متوسط لا يزيد طوله على ثلاثين سنتيمترًا، بينما يبلغ عرضه عشرين سنتيمترًا، فيما كان غطاؤه يتخذ شكلًا منحنيًا.

- التفت نادر لسليمان قائلًا: الصندوق ده شكله غريب عن هنا؟

- أمسك سليمان بالصندوق يتفحصه ثم قال: معاك حق، الصندوق ده مالهوش دعوة بالفراعنة، تلفت حوله ثم استطرد قائلًا: يعني المعبد ده فرعوني، مفيش شك في كده، ثم نظر للصندوق قائلًا: لكن الصندوق ده مالهوش علاقة بالمكان ده، طيب إيه اللي جابه هنا؟!

- نظر إليه نادر وهو يفكر ثم ما لبث أن أخذ منه الصندوق ليحاول فتح غطائه، كان الغطاء مغلقًا بواسطة قفل حديدي يعلوه الصدأ. أمسك نادر بالقفل يسحبه لأسفل لعله يستجيب له فيُفتَح. ولكن أَبَى القفل أن يطاوعه.

- التفت إلى سعيد بجواره قائلًا: عم سعيد، تعرف تفتح القفل ده؟

- أمسك سعيد بالقفل يتفحصه، مط شفتاه قائلًا: ممكن لو خدله خبطتين يفتح.

- طقطق نادر بلسانه قائلًا: مش عايزين نبوظ حاجة يا عم سعيد، ده صندوق أثري.

- نهض سعيد وهو يقول: ماتخافش يا بيه، هاروح أجيب شاكوش خفيف ولَّا أزميل من العدة اللي مع الرجالة وآجي، قالها وأسرع يغادر المعبد.

- نظر سليمان لنادر قائلًا: أنا عارف إنك نفسك تفتح الصندوق وتعرف إيه اللي جواه، بس أنا شايف إننا نحاول

نفتحه من غير خبط ولا الكلام ده!

- أطرق نادر برأسه مفكرًا، ثم ما لبث أن تنهد قائلًا: كلامك صح، كل الحكاية إن أنا عايز أفتحه وأعرف اللي جواه قبل ما ييجي فريد، إنت عارف هو ممكن يعمل إيه.

- صمت سليمان مفكرًا ثم قال: طيب، ممكن نشوف حد من الرجالة عنده خبرة في فتح أقفال من النوع ده.

- سأله في تهكم: تفتكر فيه حد ها يقول على نفسه حرامي!

- تنهد سليمان قائلًا: يا سيدي مش كده، سيبني أنا هاتصرف. قالها وهمَّ بالذهاب لسؤال العمال فإذ به يجد سعيد قادمًا في خطوات مسرعة تجاهه وبيده شاكوش، وقف أمامه قائلًا: إستنى يا عم سعيد، مش عايزين الشاكوش دلوقتي.

- علت الفرحة قسمات وجهه وهو يقول: ليه يا بيه، فتحتوه خلاص؟

- هز سليمان رأسه نفيًا وهو يقول: لأ، بس ها نجرب حاجة تانية الأول،

- ظهرت خيبة الأمل على وجه سعيد وهو يقول: حاجة تانية إزاي يعني؟

- ظهر التردد على وجه سليمان، ثم ما لبث أن سأله: فيه

حد من الرجالة كان شغال في محل كوالين أو أقفال أو حاجة زي كده؟

- صمت قليلًا مفكرًا ثم قال: لا يا بيه مافتكر... استدرك سريعًا قائلًا: بس الواد سيد يا بيه كان شغال في شركة أمن قبل ما ييجي معانا، وكان بيقول إنه مرة طَفِش دولاب المشرف بتاعه علشان كان شاكك إنه سارق موبايله، وفعلًا لقاه في الدولاب، راح الواد سيد قايل لزمايله على الحرامي ده، ومسكوه رنوه علقة سخنة.

- مط سليمان شفتيه وهو يقول: طيب مش هانخسر حاجة، هاته نشوفه.

- جلس سيد أرضًا ممسكًا بالصندوق يتفحص القفل، رفع بصره لنادر قائلًا: الموضوع سهل يا بيه، نهض واقفًا يهم بالانصراف.

- أمسك نادر بمعصمه قائلًا: إنت رايح فين يا سيد؟! مافتحتهوش ليه؟

- أجابه سيد: يا بيه أروح أجيب شوية زيت من الجركن بتاع المَكَنَة وأشوف مفك صغير في صندوق العدة وآجي.

وما هي إلا لحظات حتى سكب سيد قليلًا من الزيت داخل ثقب المفتاح الموجود في مقدمة القفل وأدخل المفك في ذاك الثقب، وأخذ يحركه ببطءيمينًا ويسارًا والجميع يترقب في

صمت، كادت قلوبهم أن تتوقف من فرط الإثارة مع صوت القفل وهو يفتح، نظر إليهم سيد وعلت وجهه فرحة النصر فيما اتسعت ابتسامته لتكشف عن أسنان صفراء تميل إلى اللون البني من فرط التدخين.

أمسك نادر بالصندوق وفتح الغطاء في لهفة وتكالب الجميع على الصندوق لمعرفة ما بداخله.

سرعان ما بدت خيبة الأمل على الوجوه وهم يتطلعون للصندوق الفارغ إلا من ورقة قديمة مهترئة، ملفوفة على شكل أسطوانة ومربوطة بشريط في منتصفها.

نهض سعيد وسيد واقفين لم تفارق ملامحهما خيبة الأمل، وغادرا القاعة ليلحقا بزملائهما الذين جلسوا في الممر، وبدأوا في تناول طعام الغذاء، بينما ظل نادر وسليمان في مكانيهما، أخرج نادر الورقة وفردها في حرص ليقرأ ما بها. كان لديه فضول لمعرفة سبب وجود صندوق فارغ في هذا المكان، وليس هذا فحسب، بل إنه من عصر آخر يختلف تمامًا عن هذا المعبد.

كانت الورقة عبارة عن رسالة من رجلٍ يُدعى الأمير أحمد بن عبد الله، يقول فيها:

(الثاني من صفر عام 445هـ..

أنا الأمير أحمد بن عبد الله بن عبد النور شيخ الباحثين، أكتب هذه الرسالة محذرًا أيًّا من كان من مغبة فتح المعبد.

وبما أنك تقرأ هذه الرسالة، فهذا يعني أنه قد فات الأوان، وأن كل ما فعلته لإخفاء هذا المعبد الملعون لم يجدِ نفعًا، وأنك قد جلبت الخراب والدمار، ليس لنفسك فحسب، بل للبلاد والعباد كافة.

عندما عثرت على المعبد ظننت أنني قد وجدت كنز الكنوز، ولكن سرعان ما أدركت جُرمَ فعلتي، فما إن وطأته قدماي حتى زارني الكاهن الأسود، وبدأت الأمنيات المشئومة وفقدت أقرب الناس إلى قلبي.

ليس هذا فحسب، بل ضربت المجاعة مصر وأتت على الأخضر واليابس، وأكل الناس بعضهم بعضًا كالسباع الضارية. أرسلت سبعة من أقوى الرجال لإضرام النيران في المعبد لعل اللعنة تزول، ولكن المعبد ظل قائمًا في تحدٍ سافر، وبالطبع لم يعد من الرجال إلا واحدًا، عاد مجذوبًا يهذي، ولا يُفهم منه شيء، وتوفى في اليوم التالي.

أحضرت أمهر السحرة، قرءوا التعاويذ، وأشاروا عليّ بأن أعيد كل شيء كما كان داخل المعبد، وقد فعلت. أرجو من الله أن يكون هذا كافيًا لإيقاف اللعنة، وأن يغفر لي ما اقترفت يداي،

وها أنا ذا أضع هذه الرسالة داخل المعبد، وكلى أمل ألا يجدها أحدهم يومًا ما.)

الأمير أحمد بن عبد الله

الثاني من صفر عام 445هـ

من الأمير أحمد بن عبد الله بن عبد النور شيخ الباحثين إلى قارئ هذه الرسالة. بما أنك تقرأ رسالتي هذه، فهذا يعني أحد أمرين لا ثالث لهما.

أما الأول فهو أنك لم تعثر على رسالتي الأولى قط. وأما الثاني فهو أنك قد قرأتها ولم تأخذ ما فيها على محمل الجد. في كلتا الحالتين فأن فإن الأوان قد فات.

لا أدري ما ألمّ بك؟، والإكم عزيزًا فقدت؟. ولكن سيأتي يوم عاجل غير آجل، ستتمنى فيه أن تغلق هذا المعبد الملعون لتوقف هذه اللعنة.

فإن كان الأمر كذلك، فستجد في هذا الصندوق ورقة أخرى تحوي التعويذة التي إستخدمتها استخدمتها.

إنها كفيلة بإيقاف هذا الشيطان وحبسه داخل المعبد. وهو سبيلك الوحيد لتنقذ نفسك والبلاد من الهلاك القادم لا محالة.

وإعلموا اعلم يا هذا أنني قد برأت ذمتي أمام الله.

الأمير أحمد بن عبد الله

- ما إن انتهى نادر من قراءة الرسالة حتى وضعها في الصندوق وحمله في يده، ثم نظر إلى سليمان قائلًا: أنا طالع بره أشم شوية هوا.

- زفر سليمان قائلًا: أنا جاي معاك.

*****

- انتهى الرجال من تناول طعامهم وظلوا في أماكنهم في انتظار عودة نادر وسليمان. نظر سعيد لعبد الحميد الذي بدا شارد الذهن مستغرقًا في التفكير، فبادره بالسؤال قائلًا: مالك يا واد يا عبد الحميد سرحان في إيه؟

- انتزعه صوت سعيد من شروده، فرفع بصره إليه مستفسرًا: هه، بتقول حاجة يا عم سعيد؟

- ضحك سعيد قائلًا: اللي واخد عقلك!

- تدخل سيد في الحديث وغمز بعينه قائلًا: يمكن بيحب جديد.

- ظهرت علامات الامتعاض على وجه عبد الحميد وهو ينظر لسيد، همَّ بالرد إلا أنه تراجع عن ذلك ولم يُعَلِّق.

- أمعن سعيد النظر إليه محاولًا سبر أغواره، ثم ما لبث أن سأله: مالك يا عبد الحميد؟ العيال كويسين؟

- أومأ برأسه قائلًا: الحمد لله كويسين، أطلق تنهيدة ثم أردف قائلًا: عايزك في كلمتين يا عم سعيد.

- نهضا سويًا ثم صعدا الدرج، وما إن صارا خارج المعبد حتى سمعا من يقول: على فين يا عم سعيد إنت وعبد الحميد؟

- التفتا ناحية اليمين ليجدا نادر وسليمان يجلسان تحت المظلة التي أعدها الرجال لتقيهم أشعة الشمس الحارقة أثناء فترة الراحة، ظهرت علامات الارتباك على وجه عبد الحميد فلم ينبس ببنت شفه، فيما تنحنح سعيد قائلًا: إحم، عبد الحميد رايح يفك ميه يا دكتور، وأنا قولت أروح أتوضى بالمرة علشان ألحق الظهر.

- ابتسم سليمان وهو يقول: براحتك يا عم سعيد إحنا بنهزر معاك. فيه حد تحت مع الرجالة؟

- ارتسمت ابتسامة عريضة على وجه سعيد وهو يقول: ودي تفوتني برضه يا دكتور! الواد سيد معاهم وواخد أوامر ماحدش يهوِّب ناحية الأوضة الكبيرة. ثم وضع راحته على صدره قائلًا: ماتخافش يا دكتور معاك رجالة.

- ظهرت علامات الرضا على وجه نادر وهو يقول: الله ينور يا عم سعيد، إحنا شوية كده وهاننزلهم.

- أومأ سعيد برأسه وهو يقول: ماشي يا دكتور، هنكون موجودين معاكوا إن شاء الله، بعد إذنكوا يا بهوات. قالها ثم انطلق هو وعبد الحميد مبتعدين عنهما.

*****

- تحت المظلة أشعل سليمان سيجارة وأخذ ينفث دخانها محاولًا طرد الأفكار السيئة عن رأسه، ثم سأل نادر: تفتكر يا نادر الكلام اللي مكتوب في الرسالة حقيقي؟

- لم يجاوبه وظل مطأطئ الرأس يفكر، همَّ بالإجابة إلا أن رنين هاتفه المحمول منعه من ذلك، نظر إلى الشاشة وضغط زر الإجابة، نهض واقفًا فجأة واتسعت عيناه في دهشة وهو يستمع لصوت محدثه.

- أغلق الخط وظل فاغرًا فاه محدقًا إلى سليمان الذي بدا عليه الانزعاج وسأله في توتر: مالك يا نادر، فيه إيه؟

- أجابه: الدكتور فريد.

- حرك يديه مستفسرًا وهو يقول: ماله، هيتأخر؟

- هز رأسه نفيًا دون أن ينظر إليه ثم قال: لأ مش هاييجي.

- مط شفتيه قائلًا: ليه إتنقل؟

- أغمض عينيه وضرب بكفه على جبهته قائلًا: لأ، الدكتور فريد. .. مات.

الفصل الثالث

- حدَّق سليمان في نادر غير مصدق، تمالك نفسه وارتسمت على شفتيه ابتسامة متوترة وهو يقول: إنت بتهزر يا نادر، مش كده؟

- جلس نادر أرضًا، وبنظرات زائغة وصوت مختنق أجابه: لأ يا سليمان، المكالمة دي كانت من مريم، الدكتور فريد عمل حادثة بالعربية النهاردة الصبح وهو جاي على هنا.

- بدا عليه الذهول وهو يقف فاغرًا فاه يتطلع لنادر، ثم ما لبث أن أخرج هاتفه المحمول من جيبه وأسرع يتصل بمريم، وما إن أجابت حتى اندفعت الكلمات من بين شفتيه قائلًا: أيوه يا مريم، إيه اللي حصل؟ إمتى وإزاي؟

- جاءه صوتها يحمل في طياته الكثير من الحزن وهي تقول: الدكتور فريد...الله يرحمه... لم تتمالك نفسها وأجهشت بالبكاء.

- حاول تهدءتها قائلًا: البقاء لله يا مريم، ممكن تهدي شوية وتحكيلي اللي حصل.

- صمتت قليلًا لتستجمع شتات نفسها، ثم قالت: الدكتور فريد الله يرحمه... لم تستطع إكمال جملتها وأخذت تنتحب.

- كاد سليمان أن يفقد أعصابه وهو يقول: يا ستي إهدي شوية، تمتم قائلًا: استغفر الله العظيم.

- تمالكت أعصابها وقالت: معلهش يا دكتور سليمان، أصل الصدمة كانت جامدة. صمتت قليلًا واستطردت: الدكتور فريد...

- قاطعها وهو يكزّ على أسنانه قائلًا: يا ستي الله يرحمه، هاه؟

- بدا له وكأنها تغالب دموعها قائلة: نزل من البيت الصبح بدري جايلكم ومعاه عباس السواق...

- زفر قائلًا: الله يرحمه.

- قاطعته قائلة: لأ مش الله يرحمه.

- رفع حاجبيه في دهشة قائلًا: ليه بتقولي كده! حرام عليكي ده كان راجل طيب.

- طقطقت بلسانها وزفرت قائلة: مش قصدي، أنا قصدي إن عباس لسه عايش ما ماتش، عنده كدمات بسيطة، ده هو اللي اتصل بالإسعاف وبعدين كلمني وقالّي على اللي حصل، بيقول إن كان فيه شبورة جامدة على الطريق الدائري، عربية "تريللا" خبطتهم من ورا، نص العربية الوراني إتعجن. عباس عنده كدمات بسيطة لكن الدكتور...

- قاطعها سليمان في سرعة قائلًا: ماشي يا مريم، شدي حيلك، أنا معايا نمرة عباس هابقى أكلمه أطّمن عليه. قالها

وأنهى المكالمة، حدّث نفسه قائلًا: يا ساتر على الناس، إيه ده! مانتي ماكونتيش طايقاه وهو عايش، جايه تعيطي دلوقتي!

- جلس أرضًا بجوار نادر وقص عليه ما دار بينه وبين مريم،التفت إليه نادر وبدت على ملامحه الدهشة وهو يقول: يعني الدكتور فريد بس هو اللي مات وعباس سليم مفيش فيه حاجة؟!

- مط سليمان شفتيه قائلًا: فيه شوية كدمات بسيطة.

- سأله في لهفة: معاك نمرة عباس؟ عايز أكلمه. وما إن أعطاه سليمان رقم الهاتف حتى سارع بالاتصال به، أتته رسالة صوتية تفيد بأن الهاتف مغلقًا، طقطق نادر بلسانه وزفر في ضيق وهو ينظر لشاشة هاتفه، ثم نهض واقفًا وبدا عليه التوتر وهو يتحرك جيئة وذهاباً.

- سأله سليمان: إيه يا نادر؟! مابيردش؟

- تنهد نادر ونظر إليه قائلًا: لأ، التليفون مقفول، تفتكر فيه حاجة؟

- هز سليمان رأسه نفيًا وهو يقول: مفيش حاجة إن شاء الله، ممكن يكون في حتة مفيهاش شبكة، جرَّب تاني.

- أعاد نادر المحاولة مرة أخرى دون جدوى، كاد أن يجرح شفته السفلى وهو يعض عليها بأسنانه، انتظر لحظات ثم

حاول مرة أخرى، انفرجت أساريرهما إن سمع صوت رنين هاتف عباس، مضى بعض الوقت حتى آتاه صوته قائلًا: ألو.

- ما إن سمع نادر صوت عباس حتى أسرع يسأله في لهفة: إزيك يا عباس؟ عامل إيه، إنت كويس؟

- وبصوت لا يخلو من لمحة حزنٍ أجابه عباس قائلًا: الحمد لله، مين معايا؟

- أجابه قائلًا: أنا الدكتور نادر نبيل يا عباس.

- تنهد عباس ثم قال: إزيك يا دكتور، أخبار حضرتك إيه؟ كنا جاينلكوا أنا والدكتور فريد، صمت قليلًا يغالب دمعة انسابت على خده فمسحها بيده وأردف قائلًا: الله يرحمه بأه، مايجوزش عليه غير الرحمة.

- كان نادر يعرف جيدًا ما عاناه عباس من فريد، ولذلك لم يُعَلِّق على ما قاله، بل أردف قائلًا: المهم حمدًا لله على سلامتك.

- أجابه: الله يسلمك يا دكتور.

- بدا نادر مترددًا قبل أن يسأله: عباس، أنا عارف إن الوقت مش مناسب بس ممكن تحكيلي اللي حصل؟

- تنهد عباس قبل أن يقول: والله يا دكتور أنا بقالي ثلاثين سنة. ...

- تناهت إلى أسماع نادر أصوات صراخ وعويل، فلم يسمع حرفًا مما قاله عباس، زفر في ضيق قائلًا: معلهش يا عباس أنا مش سامع حاجة، ممكن تبعد شوية عن الدوشة اللي حواليك دي؟

- لحظات وهدأت الأصوات بجوار عباس الذي قال: كده كويس يا دكتور؟ أنا خرجت بره، معلهش أصل أنا في المشرحة مع مدام المرحوم بنستلم الجثة، إنت عارف إن ما عندهُمش أولاد فطلبت مني أساعدها.

- ابتسم نادر وهو يقول: ربنا يكرمك يا عباس، المهم عايزك تحكيلي اللي حصل بالظبط.

- أجابه قائلًا: حاضر يا دكتور، إحنا إتحركنا بدري علشان نلحق الطريق قبل الزحمة، المرحوم كان قاعد ورا في العربية بيقرا الجورنان كالعادة، وكنت ناوي آخد طريق صلاح سالم وبعدين...

*****

- رفع الدكتور فريد بصره عن الجريدة ونظر إلى عباس عبر مرآة السيارة الداخلية وهو يقول مستنكرًا: إيه اللي موَدِّيك من هنا يا بني آدم؟!

- تنهد عباس قائلًا: أنا قولت إن الطريق ده أحسن حضر تك .

- هز رأسه قائلًا في تهكم: قولت يعني إيه؟! ثم ما لبث أن علا صوته وبنبرة آمره قال: أنا هنا اللي أقول، فاهم؟

- أضطرب صوت عباس وهو يقول: حاضر يا بيه، طيب أُؤمر سيادتك.

- نظر فريد إلى جريدته مرة أخرى وهو يقول لعباس في لهجة آمرة: لف وإرجع، خد الدائري.

- حاول عباس أن يعترض قائلًا: بس يا بيه الدائر...

- قاطعه فريد في صرامة: سمعت أنا قولت إيه؟

- أومأ عباس برأسه إيجابًا وهو يقول: حاضر يا بيه، هاطلع على الدائري.

لحظات وكانا على الطريق الدائري. كان الجو مبكرًا وضوء الشمس قد نجح في مهمته التي حملها على عاتقه منذ نشأة الكون، وشَق طريقه عبر ظلام الليل الذي أخذ يجمع شتات نفسه، ويبحث عن بقعة أخرى يستحوذ عليها.

- رفع فريد بصره عن الجريدة ونظر عبر نافذة السيارة يتفقد ما حوله، حدث نفسه قائلًا: كويس، مفيش زحمة والجو حلو النهاردة، بيتهيألي مش هناخد وقت على ما نوصل. تابع تصفحه للجريدة ثم ما لبث أن سأل عباس دون أن ينظر إليه: قدامنا قد إيه على ما نوصل؟

- نظر إليه عباس عبر المرآة وهو يقول: إن شاء الله، بالكتير ساعة ونص يا بيه، السكة سالكة والجو كويس..... قطع كلامه وخفض سرعته وهو يتلفت حوله متمتمًا في دهشة: غريبة!

- لفت انتباه فريد انخفاض سرعة العربة فنظر إلى عباس وسأله: هديت السرعة ليه!

- زادت كثافة الشبورة وازداد معها تعجبه فخرجت كلماته بطيئة وهو يقول: الشبورة حضرتك.

- سأله فريد: شبورة إيه! نظر عبر النافذة بجواره ثم ما لبث أن رفع حاجبيه في دهشة قائلًا: شبورة دلوقتي! ما الجو كان لسه كويس!

- بدا التوتر جليًا على وجه عباس وهو يقول في صوت منخفض: الجو صيف، يعني المفروض مفيش شبورة!!، وكمان الشبورة بتبدأ بالليل!!، مش الصبح والشمس طالعة!!

لحظات قليلة وكانت الشبورة قد ازدادت كثافة على نحو يصعب معه متابعة الطريق أمامهم، قام عباس بتشغيل أضواء الشبورة وكذا إشارات الانتظار، كما قام بخفض سرعة السيارة.

- وضع الدكتور فريد الجريدة جانبًا وأخذ يتابع الطريق في قلق، إلى أن خاطب عباس قائلًا: فيه حد واقف قدامك بيشاور، أوقف ليكون فيه حاجة.

- مط عباس شفتيه قائلًا: أنا مش شايف حد يا بيه.

- زفر فريد في ضيق وهو يقول: مش شايف حد إزاي يعني! اقترب للإمام ثم وضع يده اليسرى على كتف عباس وفرد ذراعه اليمنى بعصبية مشيرًا للأمام وهو يصيح: أهوه، الراجل اللي لابس إسود هناك ده، إنت إتعميت!

- مال عباس برأسه ناحية الزجاج الأمامي مدققًا النظر فيما أمامه وهو يقول: مفيش حاجة يا بيه.

- لم يتمالك فريد أعصابه وانفجر فيه صائحًا: أوقف... بقولك أوقف. وعلى الفور قام عباس بإيقاف السيارة وهو ينظر عبر زجاجها الأمامي لعله يرى ذلك الشخص.

- قطب فريد جبينه وهو ينظر حيث كان الرجل واقفًا يشير إليهما، وسأل عباس قائلًا: هو الراجل راح فين؟!

- مط عباس شفتيه ثم قال: ماعرفش سعادتك.

- زفر فريد في ضيق وهو يقول: طيب إطلع، هو اليوم باين من أو...

قطع كلامه صوت آلة تنبيه من تلك التي تستخدمها عربات النقل الضخمة، وفجأة غمره ضوء قوي، فاستدار بجسده للخلف في سرعة واتسعت عيناه في رعب وهو يرى إحدى تلك العربات التي يطلق عليها "التريللا" تشق الضباب بسرعتها العالية، وكأنما

قد ظهرت من العدم، وسائقها يطلق آلة التنبيه محاولًا تحذير السيارة المتوقفة أمامه.

*****

- أردف عباس قائلًا: بس يا بيه، راحت "التريللا" راكبة على ضهر العربية وحصل اللي حصل.

- سأله نادر: يعني إنت يا عباس ماشوفتش الراجل اللي كان قدام العربية؟

- طقطق عباس بلسانه وهو يقول: لأ يا بيه، ما شوفتش حد، الدكتور كان بيتهيأله، ثم ما لبث أن تنهد وهو يقول: لو ماكُونَّاش وقفنا يمكن ما كانش. .. صمت قليلًا ثم استدرك قائلًا: ياللا، عُمرُه بأه.

- أومأ نادر برأسه موافقًا وهو يقول: عُمرُه، الله يرحمه. صمت قليلًا ثم أردف قائلًا: متشكر جدًا يا عباس وحمد الله على سلامتك، أنهى المكالمة وأطرق إلى الأرض مفكرًا ثم ما لبث أن رفع رأسه فجأة واتسعت عيناه في ذعر ثم ما لبث أن صاح: ميار.

- نظر إليه سليمان مندهشًا وهو يسأله: مالك يا نادر فيه إيه؟ مالها ميار؟

- تجاهل نادر سؤاله، وبيد مرتعشة قام بالاتصال بشقيقته ماهيتاب، طال رنين الهاتف دون رد. ازداد توتره وأخذ يقطع

المسافة القليلة التي تفصله عن المدخل جيئة وذهابًا، ثم ما لبث أن حسم أمره ونظر إلى سليمان قائلًا: محدش بيرد، أنا ماشي، لازم أروح البيت عند بابا دلوقتي.

- أمسك سليمان بذراعه وهو يقول: تروح فين يا نادر! استهدى بالله.

- نظر إليه قائلًا: إنت مش شايف اللي حصل! الكابوس اللي شفته بيتحقق.

- نظر إليه سليمان متعجبًا وهو يقول: يا عم كابوس إيه بس اللي بيتحقق! هو علشان حلمت بفريد وميار، وهو مات، يبقى هي كمان لازم تموت! دي صدفة مش أكتر، إهدى كده وسيبك من الأفكار السودة اللي في دماغك دي.

صمت قليلًا ثم أردف قائلًا: ومش معقول كمان علشان ما حدش رد على الموبايل، تاخد بعضك وتروحلهم! طيب يا سيدي حاول تاني يمكن ما سمعوش أول مرة.

- نظر إليه نادر مطولًا ثم ما لبث أن عاود الاتصال بشقيقته مرة أخرى، طال رنين الهاتف وازداد توتره. تطلع إلى الشاشة وكاد أن يضغط زر إنهاء المكالمة، إلا أنه سمع صوت شقيقته تجيب، فأسرع يرفع الهاتف إلى أذنه مرة أخرى قائلًا في لهفة: ألو، أيوه يا ماهيتاب. تسلل القلق إليه عندما لم يتلق أية إجابة. أصاخ السمع، فترامى إلى أسماعه صوتٌ لم تخطئه

أذناه. اختلج قلبه بين ضلوعه واتسعت عيناه في ذهول، وبحركة لا إرادية ضغط على زر إنهاء المكالمة. فما سمعه كان. ... صوت تلاوة آيات من القرآن الكريم.

*****

- ما إن ابتعدا مسافة كافية حتى تلفت عبد الحميد حوله ليتأكد من عدم وجود أحد بجوارهما، وقف مواجهًا سعيد، وتغيرت قسمات وجهه ونظر إليه قائلًا: أديني سمعت كلامك أهوه يا سعيد بعد ما عشمتني إننا هنلاقي كنز هنا، وادي نقبنا طلع على شونة.

- تغيرت قسمات وجه سعيد وتبدلت ملامح الطيبة على وجهه بأخرى صارمة، فيما تطاير الشرر من عينيه. وهو ينظر إلى عبد الحميد شذرًا، ثم ما لبث أن أمسك بتلابيبه وجذبه إليه قائلًا: سعيد حاف كده! إنت نسيت نفسك يابن نعيمة الدلالة!

- قبض عبد الحميد على يد سعيد وضغط عليها بشيء من القوة وهو يدفعها بعيدًا عنه، قبل أن ينظر إليه في حِدَّة قائلًا: بتعايرني بأمي يا عم سعيد! هي دي أخلاق ولاد البلد!

شعر سعيد بأن الأمور قد تخرج عن سيطرته إذا ما استمر في إهانته لعبد الحميد بهذه الطريقة، فهذه هي المرة الأولى التي يتجرأ فيها ويمسك يده ويدفعها بهذه الطريقة، كان لديه من الحنكة ما يجعله يعرف متى يكون حازمًا، وبالطبع متى يجب أن

يُظهِر بعض اللين، وخاصةً مع ضخامة جسد عبد الحميد وصغر عقله، مما يصعب معه تَوَقُّع رد فعله.

فهو يعرفه جيدًا، ويعرف أيضًا أنه بالرغم من كبر حجم عائلته ببلدتهم مقارنة بعائلة عبد الحميد، فإن ذلك لن يمنع هذا الأخير من الفتك به دون حساب للعواقب.

- صمت قليلًا مفكرًا ثم أشاح بيده في حركة مسرحية قائلًا: ما إنت اللي عصبتني، ده أنا في مقام أخوك الكبير أو يمكن أكون في سن أبوك يا عبد الحميد.

- نظر إليه عبد الحميد مطولًا قبل أن يتنهد قائلًا: طيب ماتزعلش، ثم ما لبث أن قطب حاجبيه قائلًا: بس إنت برضه ماكانش المفروض تجيب سيرة أمي.

- وضع سعيد يده على كتف عبد الحميد وهو يقول: طيب يا سيدي حقك عليا. المهم إنت كنت بتقول إيه؟

- أشاح عبد الحميد بيده قائلًا: كنت باقول إننا مالقيناش حاجة لحد دلوقت، مفيش غير التمثال الصغير اللي البهوات شايلينه معاهم والصندوق اللي الواد سيد فتحه.

- هَرَشَ سعيد رأسه مفكرًا ثم قال: عندك حق، موضوع الكنز ده طلع فشنك، سيبك من الصندوق ده فاضي وشكله كده ما يساويش حاجة. لمعت عيناه وأردف قائلًا: لكن التمثال ممكن يساوي كتير.

- نظر إليه عبد الحميد قائلًا: يبقى ناخد التمثال ونخلع من هنا.

- راقت الفكرة لسعيد الذي شرد بذهنه وهو يحدث نفسه بصوت مسموع متسائلًا: أيوه بس ناخده إزاي؟

- ارتسمت إمارات الدهشة على وجه عبد الحميد وسأله متعجبًا: أنا اللي هاقولك ناخده إزاي يا عم سعيد!

- تجاهل سعيد ما قاله عبد الحميد واستمر يحدث نفسه قائلًا: الموضوع ده محتاج شوية تخطيط، ربنا يسهل.

*****

- لاحظ سليمان علامات الذهول التي ارتسمت على وجه نادر، فنظر إليه يسأله: مالك يا نادر في إيه؟

- بنظرات زائغة،التفت إليه نادر في بطء لا يدري ما يقول، تماسك وكاد يجيبه إلا أن رنين هاتفه المحمول استوقفه فنظر إلى شاشته ليجد أنها ماهيتاب، ضغط زر الإجابة في لهفة ورفع الهاتف إلى أذنه وبصوت متهدج أجاب: ألو، ماهيتاب؟

- أجابته: أيوه يا نادر، الخط قطع معلهش. بدا صوته مختلفًا عما اعتادت عليه، فسألته: مال صوتك، إنت تعبان؟

- تجاهل سؤالها عندما انتبه إلى صوتها الذي بدا مرحًا كعادتها، فسألها في لهفة: فين ميار؟

- بصوت غلفته الدهشة قالت: ميار جنبي أهيه، مالك يا نادر فيه إيه؟

- اختطفت ميار الهاتف من يد ماهيتاب وهي تقول ضاحكة: إزيك يا خالو، عامل إيه؟ وحشتني قوي.

- تنفس الصعداء عندما آتاه صوتها، فقال: إزيك يا حبيبتي، إنتي كمان وحشتيني جدًا جداً.

- قالت في مرح: أنا حلمت بيك إمبارح على فكرة.

- ابتسم وهو يقول: حلمتي بيا؟!

- أجابته في سرعة: أيوه طبعًا، بس كان حلم غريب شوية، كنا في مكان فيه تماثيل فراعنة، وبعدين إنت كنت واقف قدامي، وأنا كان فيه واحد شكله وحش جدًا واقف جنبي و...

- قاطعها قائلًا: وحاطط إيده على كتفك.

- علت قسمات وجهها الرقيقة الدهشة وهي تقول: عرفت منين؟! إنت كنت معايا في الحلم! بدا أنها قد تذكرت شيئًا فاستطردت قائلة: آه صح، ده إنت كنت معايا في الحلم. ثم ما لبثت أن التفتت إلى أمها وهي تقول بصوت لا يخلو من الدهشة: مامي ده خالو عارف الحلم، إنتي قولتيله؟

- ابتسمت ماهيتاب قائلة: لأ يا حبيبتي مقولتلوش، ثم مدت يدها تجاهها وهي تقول:هاتي بقى علشان عايزه أكلمه، ياللا قوليله باي.

- ودعت ميار خالها ثم أعطت الهاتف لماهيتاب التي قالت: أيوه يا نادر، إنت. ..

- قاطعها نادر وهو يسألها: إنتوا كويسين؟ كنتوا مشغلين قرآن ليه، فيه حاجة؟

- طقطقت بلسانها قائلة: لأ يا سيدي مفيش حاجة، الحمد لله كلنا كويسين. كل الموضوع إن ميار حلمت بكابوس وقامت مفزوعة في نص الليل، والصبح حكت لماما على اللي شافته، فماما كالعادة قالتلها دي عين وإنتي إتحسدتي، وراحت مولعة بخور في أوضة ميار، وقالتلي أشغلّها قرآن. ولما إنت اتصلت كنت قاعدة مع ميار في الأوضة شغلتلها "السي دي" وأهوه رايحة دلوقتي على الشغل. بس إنت قولّي عرفت منين موضوع الكابوس ده، ماما قالتلك؟

- صمت قليلًا لعله يجد إجابة مقنعة، لم يسعفه تفكيره فقال: لأ خالص، أنا كنت بهزر مع ميار. على العموم الحمد لله إني إطّمنت عليكم، أسيبك بأه دلوقتي علشان الشغل. سلمي على بابا وماما لغاية ما أكلمهم، سلام. قالها وأنهى المكالمة.

- نظر إليه سليمان قائلًا: هاه يا سيدي، إطّمنت؟

- أومأ نادر برأسه إيجابًا وهو يقول: الحمد لله، بس فيه حاجة مش فاهمها.

- سأله سليمان: حاجة إيه؟

- بدت على وجه نادر الحيرة وهو يقول: ميار شافت نفس الحلم اللي شفته وبكل تفاصيله، إزاي؟

- هرش سليمان في رأسه مفكرًا ثم قال: صدفة، توارد خواطر يا سيدي. صمت قليلًا يفكر في شيء يقوله ليريح به قلب نادر، وبعد برهة قال: فيه حالات كتير فيها توارد خواطر ومثبتة علميًا، وممكن تراجعها على النت، يعني بتحصل يا نادر، ما تحبكهاش قوي كده.

- نظر إلى سليمان متسائلًا: أنا كنت مزودها شوية، مش كده؟

- ابتسم سليمان وهو يقول: بصراحة آه، ده أنا قلبي وقع في رجليا. تنهد قائلًا: وبعدين الحمد لله إنها جت سليمة. جلس تحت المظلة وأشار إليه قائلًا: ياللا بأه إعملنا كوبايتين شاي.

- ارتسمت على وجه نادر علامات الاستنكار وهو يقول: ما تقوم تعمل إنت!

- رفع سليمان حاجبيه في دهشة مصطنعة وهز رأسه قائلًا: يعني مستخسر فيا كوباية شاي بعد اللي عملته! ده إنت نشفت دمي يا راجل.

- جلس نادر أرضًا بجواره وهو يبتسم قائلًا: قوم يا سليمان خليك جدع، أنا اللي عملت آخر مرة. وبسرعة شوية علشان ورانا شغل.

- نهض سليمان وأطلق زفرة حارة قائلًا: ماشي يا نادر هاعمل الشاي علشان الشغل اللي ورانا اللي مش عارف هو إيه!

- ارتسمت على وجه نادر إمارات عدم الفهم وهو يقول: يعني إيه؟!

- نظر إليه سليمان قائلًا: يا بني مش خلاص لَقينا المعبد، فيه إيه تاني؟

- نظر إليه نادر مطولًا قبل أن يقول: ما تستعجلش على رزقك.

- أشاح سليمان بيده وذهب لإحضار الشاي فيما بدا نادر مستغرقًا في التفكير، وبعينين مجهدتين من قلة النوم ألقى نظرة جانبيه إلى الصندوق وحدّث نفسه قائلًا: معقول يكون سليمان بيتكلم صح؟!

- أمسك بالصندوق يتفحصه، سمع من يناديه فأجاب بصوت مرتفع دون أن يرفع عينيه: أيوه. لحظات قليلة وتردد الصوت آتيًا من أمامه مناديًا، نظر إلى الظل على الأرض أمامه الذي بدأ يقترب منه، فرفع رأسه قائلًا: أيوه، نعـ... قطع كلامه ودقق النظر جيدًا فلم يكن هناك أحدٌ.

- انتفض واقفًا وتلفت حوله باحثًا عن ذاك الشخص، ولكن دون جدوى، نظر إلى مدخل المعبد بجواره وحدّث نفسه قائلًا: مش ناقصة هزارك يا سليمان دلوقتي، اقترب في هدوء من

المدخل وهو على يقين أنه سيجد سليمان مختبئًا هناك محاولًا إخافته. وما إن وصل إلى المدخل حتى نظر إلى الداخل فوجد أن الضوء يغمر أرجاء المكان فقد كانت ماكينة الكهرباء تعمل بكفاءة، ولا يوجد لسليمان أدنى أثر.

- وبينما هو كذلك إذ غمره ظلٌ آتيًا من خلفه، وصوت كأنه يأتي من أعماق القبور قائلًا: نادر. انتفض نادر والتفت للخلف في سرعة، وما إن وقعت عيناه على صاحب الظل حتى اختل توازنه وسقط جالسًا على مؤخرته. اتسعت عيناه في رعب وأخذ يتراجع للخلف في سرعة، فأمامه وعلى بعد خطوات قليلة كان يقف ذلك الكاهن بعباءته السوداء وعينيه المشتعلتين تحدقان إليه في ثبات.

- حاول نادر استعادة رباطة جأشه، تنفس ببطء وهو يزفر بصوت مسموع، محاولًا تهدئة نفسه، أمعن النظر إلى الكاهن محاولًا تبين ملامحه، إلا أن وجود قرص الشمس خلف ذلك الكيان حال دون ذلك، وبصوته العميق قال: لقد تحققت أمنيتك، أليس كذلك؟

- انتفض نادر واقفًا وبصوت متهدج قال: إتحققت!! إنت... إنت قتلت الراجل، هو أنا قولتلك إقتله؟

- أجابه في غلظة: لقد قُلت أنك لا تريده أن يأتي، وهذا ما حدث، أليس كذلك؟

- كاد أن يفقد أعصابه وهو يصيح قائلًا: أيوه مش عايزه ييجي، بس مش بالطريقة دي. خبط براحته على جبهته وأطرق برأسه أرضًا وهو يعض على شفتيه، فقد كان كلام الكاهن يعني أنه هو السبب في مقتل الدكتور فريد. تذكر ميار فهتف في لوعة قائلًا: طيب وميار هيحصلها إيه؟

- تجاهل سؤاله وهو يقول في برود: لك عندي ثلاث أمنيات، تحققت واحدة ويتبقى لك اثنتان. ما هي أمنيتك الثانية؟

- نظر إليه نادر في دهشة قائلًا: أمنيات إيه اللي بتتكلم عنها؟! أنا مش عايز حاجة، تغور الأمنيات اللي بالشكل ده. وبعدين إشمعنى أنا؟

- ترددت ضحكة عجيبة في أرجاء المكان، ثم ما لبث أن قال: لأنك من فتحت المعبد، ودماؤك اختلطت بكياني.

- طغت الحيرة على ملامح نادر وهو يقول: دمي! كيانك! تذكر نادر أنه عندما دخل إلى الممر وأمسك بذاك التمثال الصغير الحجم، شعر بوخزة في إصبعه، وأنه قد وجد قطرات من دمائه تغطي أحد أنياب هذا التمثال.

- أخذ يحدث نفسه قائلًا: هو ممكن تكون روح الكاهن في التمثال ده؟ طيب إزاي! مش مهم إزاي، المهم إني لو دمرت التمثال ده، يبقى هاينتهي؟ طيب وطالما الموضوع سهل كده، ليه الراجل اللي كتب الرسالة ماعملهوش؟

- انتزعه من أفكاره صوت الكاهن وهو يقول: لم يفعل ذلك لأنه دون فائدة.

- اتسعت عينا نادر في دهشة ممزوجة بالرعب وهو يقول متلعثمًا: إزاي... إنت... إنت... قريت...

- قاطعه الكاهن ساخرًا: أظننت أنني لا أعرف فيما تفكر! أنت هنا في عالمي الخاص، أنا الذي أضع القواعد والقوانين، أنا من أقول إن كان هذا يصلح أم لا. ولكي تتأكد من أنني أعرف فيما تفكر، سأقول لك ما تتمناه.

- وقف نادر مشدوهًا يراقب الكاهن وهو يرفع يديه في الهواء، بينما تتشكل سحابة بينهما وبداخلها فيما يبدو كأنه شريط سينمائي يعرض صورًا متتابعة لمدرسة ابنه أحمد وكذا إحدى المستشفيات الخاصة، تبعتها صورة لفيلا يعرفها نادر جيدًا، إنها الفيلا التي كان يحلم باقتنائها بالتجمع الخامس.

- وبصوت يبعث الرعب في الأوصال قال: أنت تريد نقودًا، أليس كذلك؟

- وبحركة غريزية ودون أن ينبس ببنت شفه أومأ نادر برأسه إيجابًا.

- وما إن أجابه نادر، حتى بدأت السحابة تزداد كثافة فيما تقترب من الكاهن أكثر فأكثر، وأمام عينيه بدأت تتشكل لتتخذ هيئة يعرفها جيدًا، الدكتور نبيل زيدان والده الذي بدا زائغ النظرات وهو ينقل بصره بينه وبين الكاهن.

- صرخ نادر بعلو صوته مناديًا على والده ولكن بدا له وكأن الصرخة لم تغادر حلقه قط، حاول أن يركض نحو والده إلا أن قدميه أبتا أن تطاوعاه، وكأنهما قد التصقتا بالأرض.

- وضع الكاهن يده على كتف والده وازداد وهج عينيه وهو يقول: الأمنية لها ثمن.. الأمنية تتحقق بالدم.

- تلاقت عيون نادر ووالده الذي مد يده إليه وكأنما يطلب منه المساعدة، مد نادر يده إليه بدوره وهو يصرخ بعلو صوته: بابااااا.

*****

- على طاولة أمام حمام السباحة بأحد النوادي العريقة بحي مصر الجديدة، جلست ريم مع فريدة صديقة الطفولة تتجاذبان أطراف الحديث وهما تتابعان ابنيهما أحمد وآدم اللذين انهمكا في اللعب بجوارهما. بدت ريم شاردة الذهن وأن هناك ما يشغل بالها.

- نفثت فريدة دخان سيجارتها وهي تنظر إلى ريم قائلة: مالك يا روما؟؟، إيه اللي شاغل بالك؟

- التفتت إليها ريم متسائلة: هه، بتقولي حاجة يا فريدة؟

- ارتشف رشفة من فنجان القهوة ثم وضعته على المنضدة وهي تضحك قائلة: اللي واخد عقلك! ثم غمزت بعينها وأردفت قائلة: يا بختك يا سي نادر.

- مطت ريم شفتيها قبل أن تطلق زفرة حارة وهي تقول: ما نادر ده هو اللي مجنني، صمتت قليلًا وبدا وكأنها تهم بقول شيء ما، إلا أنها تراجعت عن ذلك.

- استرعى ترددها انتباه فريدة فسألتها: مالك يا روما فيه إيه؟ ماله نادر؟

- تطلعت إلى وجهها ثم ما لبثت أن اكتست ملامحها بنظرة غاضبة وهي تشهق واضعة كفها على فمها وهي تقول: نهار إسود، إوعي يا ريم يكون اللي في بالي. لم تتمالك أعصابها وهي تقول: قفشتيه مع حد؟

- هزت ريم رأسها نفيًا وهي تقول بلهجة مستنكرة: قفشته إيه بس! صمتت قليلًا ثم تنهدت قائلة: كل الحكاية إنه أول مرة يكدب عليا. يومين ما عرفش عنه حاجة لحد ما اتصل أخيرًا. بعد ما كان بيقولي إنه بيرمم مجموعة تماثيل لقيته وقع في الكلام وقال إنه بينقب عن الآثار.

بدا القلق على ملامحها وهو تتابع قائلة: يعني الموضوع ممكن يطلع فيه مومياء ولا حاجة من الحاجات بتاعة لعنة الفراعنة دي. صمتت قليلًا قبل أن تستطرد: أو حتى ممكن يكون فيه واحدة تانية.

- طقطقت فريدة بلسانها وتنهدت وهي تنظر لريم قائلة: إيه يا بنتي الهبل اللي بتقوليه ده! واحدة تانية إيه بس! أنا عارفة

نادر كويس، وعارفة قد إيه هو بيحبك. أكيد مارضيش يقولك علشان عارف إنك هاتترعبي لو عرفتي موضوع الآثار ده.

- أطرقت ريم برأسها مفكرة، ثم ما لبثت أن نظرت لفريدة تسألها: يعني إنتي شايفة إن الموضوع بس كده ومافيهوش واحدة تانية؟

- هزت فريدة رأسها نفيًا وهي تقول: لا تانية ولا تالتة، دي كلها أوهام.

- تنهدت ريم وانفرجت أساريرها وهي تقول: ماشي يا ديدي، مش عارفة الأفكار دي بتجيلي منين؟! ثم ما لبثت أن أطلقت تنهيدة وهي تحدث نفسها قائلة: بس برضه مش عارفة قلقانة ليه! ربنا يستر.

*****

- انتفض جسد نادر عندما أحس بيد توضع على كتفه ورائحة نفاذة تزكم أنفه، بينما صوت سليمان يأتي من بعيد مناديًا: نادر... نادر... إصحى... فوق.

- فتح نادر عينيه ببطء وتلفت حوله، كان جالسًا تحت المظلة بجوار المدخل والصندوق ملقًا بجانبه، هز رأسه في قوةما إن ملأت تلك الرائحة النفاذة خياشيمه، فعن يمينه كان سعيد مرتكزًا على ركبتيه وبيده بصلة مدشوشة واضعًا إياها أسفل أنفه، كانت رائحتها من القوة بحيث خيل إليه أنها تنفذ

إلى عقله مباشرة، بينما أمسك سليمان بكتفيه يهزهما برفق، فيما وقف عبد الحميد على مقربة يراقب الموقف.

- وما إن فتح نادر عينيه حتى تنفس سليمان الصعداء وهو يقول: حرام عليك يا أخي سيّبت ركبي، بحاول أفوقك مش عارف.

- أزاح سعيد البصلة جانبًا وابتسم قائلًا: حمد الله على السلامة يا بيه. إنت بخير؟

- اعتدل نادر جالسًا، بدا ذهنه مشوشًا وهو يتلفتيمينًا ويسارًا محاولًا أن يستوعب ما حدث، نظر إلى سليمان قائلًا: هو إيه اللي حصل؟!

- تنهد سليمان وجلس بجواره وهو يقول: ده إنت خضتني حتة خضة. كنت جايب الشاي وجاي، لَقيتك قاعد مكان ماسيبتك مغمض عينيك وشكلك نايم، كنت متردد أصحيك ولا لأ، ما أنا عارف إنك مانمتش كويس إمبارح، لسه بأفكر... رحت مادد إيدك فجأة، زي ما تكون عايز تمسك حاجة، وقعدت تصرخ "بابا... بابا"، قعدت أهز فيك علشان تصحى، مفيش فايدة. لَقيت عم سعيد وعبد الحميد جايين جري على صوت الصريـخ.

- صمت قليلًا يلتقط أنفاسه، ثم أردف قائلًا: إنت كان مغمى عليك، عم سعيد قعد يقرا قرآن وبعت عبد الحميد جري

يجيب بصل علشان يفوقك. والحمد لله أديك فوقت. حمدًا لله على السلامة.

- نظر إليه نادر وعلت قسمات وجهه الدهشة وهو يقول: يعني أنا كان مغمى عليا؟

- رفع سليمان حاجبيه وهو يمط شفتيه قائلًا: بصراحة مش عارف أقولك إيه! موضوع غريب. أول مرة أشوف حد مغمى عليه وعمال يصرخ. أنا أعرف اللي بيغمى بيبقى زي اللي نايم ومش دريان بحاجة. لا بيحرك جسمه ولا بينطق.

- التفت لسعيد ليدلي بدلوه قائلًا: ولا إيه رأيك يا عم سعيد ؟

- أخذ سعيد يداعب شعر لحيته وهو يفكر، ثم نظر لنادر قائلًا: أنا هأقولك رأيي يا دكتور بس ما تخافش.

- علت الدهشة وجه نادر الذي قال مستفسرًا: أخاف من إيه يا عم سعيد؟

- تنهد سعيد قائلًا: اللي حصل ده يا بيه معناه حاجة واحدة بس... صمت قليلًا ليتأكد أنه قد جذب انتباه الجميع، ثم قال: إنك... إنك ملبوس.

- ما إن سمع سليمان ما قاله سعيد، حتى انتفض واقفًا وهو يقول محتدًا: ملبوس؟! إيه اللي بتقوله ده يا عم سعيد!

- مط سعيد شفتيه قائلًا: إنتوا اللي سألتوني، إحنا ياما عدت علينا حاجات زي دي في البلد.

- بدا أن نادر يصغي جيدًا لما يقوله سعيد، ثم ما لبث أن سأله في هدوء: وعملتوا إيه معاهم يا عم سعيد؟

- أجاب في سرعة: فيه عندنا واحد اسمه الشيخ صلاح، راجل بركة. بنوديله العيان، وإذا كان مش قادر يروحله، الشيخ بييجي بنفسه لغاية عنده. وكلها جلسة ولا إتنين بالكتير وبيطلع العفريت اللي عليه.

- تابع نادر باهتمام ما قاله سعيد ثم قال: ماشي يا عم سعيد، احتمال نخليك تجيبهولنا.

- كاد سعيد يرقص طربًا حينما أدرك أن هذه ربما تكون هي الفرصة التي ستأتي له بالتمثال على طبق من فضة، حاول جاهدًا ألّا تعكس ملامحه ما يدور بخلده وهو يومئ برأسه قائلًا: إنت تؤمر يا بيه.

- ارتفع حاجبا سليمان وبصوت مذعور صاح قائلًا: يجيب مين! إحنا ناقصين! وحياة أبوك يا شيخ بلاش السيرة دي.

- ابتسم نارد قائلًا: ما تقلقش يا سليمان، أنا قولت احتمال. يعني يا سيدي يمكن مانحتاجلهوش.

- غمغم سليمان قائلًا: هي ناقصة كمان بتوع عفاريت!

- سأله نادر: هه، بتقول حاجة يا سليمان؟

- تحاشى سليمان النظر إليه وهو يقول: بأقول ييجي أهلًا وسهلاً.

- التقط سعيد قدحين فارغين من على الأرض بجوار نادر ثم نهض قائلًا: هاعملكم كوبايتين شاي بدل اللي إتدلقوا دول.

- نظر سليمان للأقداح الفارغة التي انسكبت أثناء محاولتهم إفاقة نادر وابتسم قائلًا: أيوه بأه، هو ده الكلام. رفع يده محييًا سعيد وهو يقول: متشكرين يا عم سعيد.

*****

- ما إن ابتعد سعيد وعبد الحميد، حتى بادر الأخير بالسؤال: مين الشيخ صلاح ده يا عم سعيد؟ وعفاريت إيه اللي هايطلعها؟

- ابتسم سعيد ابتسامة خبيثة وهو يقول: الشيخ صلاح الحاوي. ما إنت عارفه.

- توقف عبد الحميد ونظر إلى سعيد في دهشة قائلًا: هو صلاح الحاوي بقى شيخ! حرك رأسه يمينًا ويسارًا وهو يخبط كفًا بكف وصاح قائلًا: إنت فاكره بتاع فك سحر والكلام ده؟ ده ابن كلب نصاب.

- توقف سعيد والتفت لعبد الحميد قائلًا: أُمَّال عايزني أجيب مين! صلاح ده عز الطلب. هو اللي هايجيبلنا التمثال.

- بدا على عبد الحميد أنه لم يفهم ما يرمي إليه سعيد فسأله: يجيبه إزاي؟

- بدت الجدية على قسمات وجهه وهو يقول: بص يا سيدي، الأول نتفق مع صلاح على كل حاجة، وبعدين أكلم الدكتور نادر وأقنعه يجيب صلاح هنا علشان نطَّمِّن عليه. ولما ييجي، يعمل الشويتين بتوعه، ويقول إن التمثال مسكون وهو سبب المشكلة دي، ولازم نتخلص منه.

- بلهجة لا تخلو من التهكم قال: يا سلام! وإنت فاكر الدكتور نادر بالسذاجة دي وهايديهوله!

- هز رأسه نفيًا وهو يقول: أكيد لأ، هما مش هايصدقوا طبعًا. رفع أحد حاجبيه وأردف قائلًا: بس لما التمثال وصلاح الإثنين يختفوا، يبقى إيه؟

- اتسعت عينا عبد الحميد إعجابًا وهو يقول: يبقى صلاح هو اللي سرق التمثال وطار. تذكر شيئًا فنظر إلى سعيد وطقطق بلسانه ثم قال: طيب ما أكيد هايجيبوا البوليس، وساعتها البوليس هايمسك فينا علشان إحنا اللي جايبينه.

- هز رأسه نفيًا ثم قال: أولًا.. مش هايجيبوا البوليس، هايخافوا من الفضيحة. إزاي إتنين دكاترة متعلمين يمشوا ورا شغل الدجل والشعوذة. أما بأه لو جابوا البوليس.. هانقول إننا مالناش علاقة بصلاح، إحنا جيبنا نمرته وكلمناه بناءً على طلب

الدكتور نادر. علشان كده عايزك تكلم حد من صحابك في البلد وتجيب منه النمرة.

- ابتسم عبد الحميد في ثقة وهو يقول: ماتقلقش النمرة معايا.

- ظهرت خيبة الأمل على وجه سعيد فنظر إلى عبد الحميد وهز رأسه في أسى، ثم ما لبث أن صاح فيه قائلًا: يا بني ما أنا عارف إنها معاك، أنا عايزك تكلم حد تجيب منه النمرة، علشان لو حصل والبوليس حقق في الموضوع، تروح مديهم اسم صاحبك اللي جبتها منه.

- تمالك أعصابه وتابع قائلًا: أكيد هايسألوه علشان يتأكدوا، وبكده يبقى إحنا بنبعد عن نفسنا شبهة أي علاقة معاه. صمت قليلًا وداعب شعر لحيته وهو يفكر قائلًا: بس صلاح لازم يختفي بعدها علشان ما نروحش كلنا في داهية.

- مط عبد الحميد شفتيه وقال في لا مبالاة: بسيطة، نقتله .

- رفع سعيد حاجبيه في دهشة وقال مستنكرًا: تقتله!

- اكتست ملامح عبد الحميد بصرامة وهو يكز على أسنانه قائلًا: وأقتل أبوه كمان لو حبيت.

نظر سعيد في عيني عبد الحميد مطولًا، وبذل الكثير من الجهد حتى لا تعكس ملامحه ما يجول في خاطره. كان قلبه يرقص

طربًا، ولم لا! فإذا سارت الأمور كما يريد، فسيكون قد اصطاد عصفورين بحجر واحد. سيتخلص من صلاح دون أن يكون له يد في ذلك، وعندما يعلم أهل صلاح أن عبد الحميد هو قاتله، سيطاردونه من أجل الثأر. وعندها يصبح التمثال له. .. له وحده.

وفي أعماقه ترددت ضحكة شيطانية.

*****

- مط سليمان شفتيه وقال مستنكرًا: تاني يا نادر! أشاح سليمان بيده وأردف قائلًا: قولت كده برضه على ميار، والحمد لله البنت سليمة ومفيهاش حاجة. دلوقتي بتقول أبوك!

- قال له معاتبًا: يعني أنا غلطان إني حكيتلك؟

- هز سليمان رأسه نفيًا قائلًا: يا سيدي لأ، إنت بس اللي مكبر الموضوع. أنا شايف إن جو الآثار اللي إحنا فيه وقلقك على أهلك هو اللي عامل كده.

- شبك نادر أصابعه وأسند ذقنه إلى كفيه وهو يسأله: طيب والدكتور فريد، كان من أهلي برضه!

- طقطق سليمان بلسانه وهو يقول: صدفة مش أكتر. ساعات الواحد بيحلم بناس ويتفاجئ إنهم ماتوا أو حصَلُّهم حاجة. أنا مثلًا حلمت بجدي إنه مسافر وكان لابس جلابية بيضاء.

- سأله نادر في اهتمام: ومات بعدها؟

- هز سليمان كتفيه وهو يقول: لأ... هو كان ميت من زمان. بس مش مهم، المهم إني حلمت بيه.

- ابتسم نادر رغمًا عنه ثم قال: يا عم ارحمنا وحياة أبوك.

كان نادر يعرف سليمان حق المعرفة، ويعرف أنه يحاول أن يبدو متماسكًا أمامه، ولكن الحقيقة عكس ذلك تمامًا. تكاد الدماء تتجمد في عروقه من شدة الخوف، وقد ظهر ذلك جليًا على قسمات وجهه عندما قص عليه الكوابيس التي رآها.

- قطع عليه سليمان حبل أفكاره قائلًا: عايزين بكره الصبح نبلغ الهيئة بنتايج التنقيب، ونعمل حصر بكل اللي لقيناه ونسجله علشان التقرير.

- نظر إليه نادر متعجبًا وهو يقول: تقرير إيه؟! هو إحنا خلصنا ؟ !

- رفع سليمان حاجبيه في دهشة وهو يقول: مش إحنا لقينا الأثر خلاص! فيه إيه تاني؟

- هز نادر رأسه نفيًا وهو يقول: مش ممكن يكون ده بس الأثر، أكيد فيه حاجة تاني.

- عدل سليمان نظارته على وجهه وهو يسأله: حاجة تاني إيه! إحنا لقينا الممر والمعبد نفسه. فاضل إيه تاني؟

- نظر نادر في عيني سليمان وهو يقول: إنت أخدت بالك من الرسالة اللي لقيناها في الصندوق؟

- حرك سليمان يده مستفسرًا وهو يقول: آه، مالها؟؟

- تلفت نادر حوله يبحث عن الصندوق، وجده بجانبه فالتقطه وأخرج منه الرسالة وقرأها بعينيه في سرعة وهو يهمهم حتى وصل إلى الجملة المطلوبة، فنظر إلى سليمان قائلًا: ركز معايا، بص الأمير بيقول إيه " أحضرت أمهر السحرة، قرءوا التعاويذ، وأشاروا عليّ بأن أعيد كل شيء كما كان داخل المعبد، وقد فعلت".

رفع بصره لسليمان وأردف قائلًا: سمعت؟ قالوله يرجع كل حاجة مكانها. إحنا مالقيناش حاجة تنفع تتنقل من مكانها غير التمثال الصغير والصندوق. أكيد مابيتكلمش عن الصندوق، علشان الصندوق ده هو اللي حَاطُّه في المكان ده.

- نظر له سليمان مطولًا يفكر فيما قيل، قبل أن يزفر قائلًا: طيب لو افترضنا إن الكلام ده صح، فين الحاجات دي؟

- أطرق نادر برأسه مفكرًا وهو يقول: أكيد موجودة في غرفة سرية. إحنا لازم ندور تاني في المعبد، يمكن نلاقيلها مدخل. رفع رأسه ونظر إلى سليمان قائلًا: ولا إنت إيه رأيك؟

- حمل صوته رنة استسلام وهو يتنهد قائلًا: أعمل إيه؟! أمري لله، ندوَّر تاني. لمح سعيد وعبد الحميد قادمين تجاههما

ومعهما أقداح الشاي، فقال محدثًا نادر: عم سعيد وعبد الحميد جايين أهم، نقولهم بأه علشان يجهزوا بالرجالة.

- خفض نادر صوته وهو يقول: لأ إستنى، ماتقولش حاجة دلوقت.

- سأله متعجبًا: أستنى ليه، فيه حاجة؟

- تابع نادر قائلًا: بعدين هأقولك، ثم ما لبث أن رفع يديه محييًا سعيد وعبد الحميد وهو يقول: الله عليك يا عم سعيد، جيت في وقتك.

- ناول سعيد كل منهما قدحًا من الشاي، فقال له سليمان: ألف شكر يا عم سعيد، تعبناك معانا.

- ابتسم سعيد وهو يقول: تعبكوا راحة يا بهوات، ثم أردف قائلًا: هانزل أنا وعبد الحميد نشوف الرجالة.

- ما إن انصرفا حتى أشعل سليمان سيجارة والتفت إلى نادر يسأله: قولتلي أستنى ليه! إيه الموضوع؟

- مط نادر شفتيه ثم تنهد قائلًا: بص يا سليمان، أنا مش مقتنع بموضوع اللعنة ده والكلام اللي مكتوب في الرسالة، بس فيه احتمال ولو واحد في المية إن الكلام يكون صح. لو طلع صح، يبقى لازم المعبد يتقفل وكل حاجة ترجع زي ما كانت.

علشان كده بأفكر نوقف الشغل النهاردة والرجالة تاخد بقية اليوم راحة ونكمل بكره الصبح.

- أومأ سليمان برأسه وهو يقول: ماشي، فرصة إحنا كمان نريـح شوية، صمت قليلًا ثم نظر إلى نادر واستدرك قائلًا: بس غريبة، إنت كنت مستعجل جدًا.إيه اللي حصل؟ كل ده علشان شوية كوابيس!

- بدا نادر مترددًا ثم ما لبث أن قال: بص يا سليمان، بالرغم من إن عمري ما كنت بأصدق في اللعنة والهبل ده، بس مش عارف قلبي مقبوض كده ليه!

- طقطق سليمان بلسانه وبدا متوترًا وهو ينفث دخان سيجارته قائلًا: وحياة أبوك يا شيخ بلاش السيرة دي، أنا جتتي مش خالصة. نهض واقفًا وألقى بعقب سيجارته أرضًا، ثم وطأ عليها بقدمه وهو يقول: بما إن مفيش شغل النهاردة، هاروح الكارافان أشوف حاجة ناكلها، وبالمرة أدخل الحمام.

- أومأ نادر برأسه موافقًا ثم قال: وأنا هابلغالرجالة و أ حصلك .

*****

- اتصلت ميار بوالدتها التي كانت في طريقها لعملها بالمستشفى قائلة: ألو، إزيك يا مامي يا حبيبتي وحشتيني قوي.

- ابتسمت ماهيتاب وقد أدركت أن هناك شيئًا ما تريده: وإنتي كمان وحشتيني يا ميرو. اللي بعده؟

- غالبت ميار الضحك وهي تقول: بعده إيه!

- لم تفارق الابتسامة وجه ماهيتاب وهي تقول: يا بنتي أنا حافظاكي صم، هاه عايزه إيه؟

- ضحكت ميار وهي تقول: عايزه أروح عند "هَنَا" صاحبتي، هالعب معاها شوية صغيرة.

- سألتها ماهيتاب: "هَنَا" مين؟

- أجابتها في سرعة: "هَنَا" صاحبتي يامامي اللي في الفيلا اللي قدامنا، ما إنتي عارفاها.

- تقلصت قسمات وجه ماهيتاب فجأة وضغطت مكابح السيارة وهي تصيح: يا حيوانة.

- سألتها مندهشة: بتكلمي مين يا مامي؟

- زفرت ماهيتاب ثم قالت: سوري يا ميرو، فيه واحدة كسرت عليا فجأة كانت هتخبطني.

- وبنبرة لا تخلو من رجاء قالت: هاه يا مامي، قولتي إيه؟

- ابتسمت ماهيتاب قائلة: ماشي يا ميرو، ساعة واحدة وترجعي.

- كادت تقفز من الفرحة وهي تقول: ميرسي يا مامي يا حبيبتي، با...

- قاطعتها ماهيتاب قائلة: إستني، قولي لتيتا إن أنا وافقت، وبعدين خلى أشرف بتاع الأمن يوصلك عندها.

- بدا صوتها ممتعضًا وهي تقول: مامي بليز، أنا ما بقيتش صغيرة ،ولو هنا شافت حد بيوصلني هتضحك عليا.

- صمتت قليلًا ثم تنهدت قائلة: أمري لله، طيب بصي يمين وشمال وإتأكدي إن مفيش عربيات جاية قبل ما تعدي الشارع.

- ضحكت ميار وهي تقول: عربيات إيه يا مامي، هو الشارع بتاعنا بتعدي فيه عربيات؟! ده فين وفين لما تيجي عربية.

- طقطقت بلسانها وهي تقول: ولو، برضه تبصي وتتأكدي.

- أذعنت ميار لما تقوله ماهيتاب، وبدا عليها الاستسلام وهي تقول: حاضر يا مامي.

- وعلى وجهها ابتسامة انتصار قالت: اتفقنا، إبقي طمنيني. ثم أردفت قائلة: باي بأه علشان وصلت.

- أومأت برأسها قائلة: حاضر يا مامي، باي.

- وما إن أغلقت الهاتف حتى أسرعت تبلغ جدتها، ومن ثَمَّ اتصلت بصديقتها "هَنَا" تخبرها بأنها قادمة. لحظات وكانت خارج بوابة الفيلا، حيث كان أشرف حارس الأمن جالسًا في الكُشك المخصص له، ما إن رآها حتى وقف مبتسمًا ورفع يده محييًا.

ابتسمت ميار وهي ترد عليه التحية. توقفت بجواره ونظرتيمينًا ويسارًا للتأكد من خلو الشارع من العربات، كما أكدت عليها والدتها. همَّت بالعبور إلا أن رنين هاتفها المحمول جعلها تتوقف.

- أخرجته من جيبها، ضغطت زر الإجابة فآتاها صوت صديقتها "هَنَا" تضحك قائلة: يا بنتي عدي بأه وإرحمينا، بقالك ساعة عماله تبصي يمين وشمال.

- نظرت ميار إلى الفيلا المقابلة حيث وقفت صديقتها في الشرفة تلوح لها، ابتسمت في سعادة ولوحت بدورها. وما إن همَّت بعبور الطريق حتى شعرَت بأن هناك من يقف خلفها ويمتد ظله على الأرض بجوارها، ثم سمعت صوتًا أشبه بالفحيح يهمس باسمها قائلًا: مياااار.

علت الحيرة ملامحها الرقيقة حين التفتت إلى الخلف ولم تجد إلا حارس الأمن جالسًا في مكانه على بعد خطوات منها. اكتست ملامحها بمزيـج من الدهشة والتوتر، ثم ما لبثت أن مطت شفتيها وحدثت نفسها قائلة: مفيش حاجة يا ميرو، جمدي قلبك.

- نظرت لصديقتها ومن ثَمَّ استعادت ابتسامتها قبل أن تتجه إليها.ما إن خطت بضع خطوات حتى صمَّ أذنيها صوتٌ تعرفه جيدًا، تسمرت في مكانها وهي تنظر في رعب إلى يسارها في اتجاه ذلك الصوت الذي لم يكن إلا صرير عجلات سيارة يحاول

قائدها في استماتة إيقافها قبل الارتطام. .. دون جدوى.

*****

- في غرفة مكتبه بالمستشفى التي يرأس مجلس إدارتها، جلس الدكتور نبيل زيدان محاولًا الاسترخاء على كرسيه، أغمض عينيه وشبَّكَ أصابع يديه فوق رأسه، مسندًا إياها إلى الحائط من خلفه، كان يحاول الاسترخاء بعد أن بلغ منه الإجهاد مبلغه، فهو لم ينل قسطًا كافيًا من النوم الليلة الماضية فقد جلس في مكتبه بالفيلا يطالع بعض الأبحاث، ولم يشعر بمرور الوقت حتى فوجئ بضوء الشمس يملأ المكان. أغلق أبحاثه وقصد غرفة نومه، وما هي إلا لحظات حتى كان في فراشه يحاول النوم.

لم تمض بضعة ساعات حتى قض مضجعه ذلك الكابوس الذي رأى فيه ابنه نادر واقفًا على مقربة منه يمد يده إليه وكأنما يستغيث به، بينما يقف هو بجانب شخصٍ متشحٍ بالسواد من رأسه حتى أخمص قدميه. على الرغم من أنه لم يتبين ملامحه، فقد كان هناك شيء ما يبعث الرعب في أوصاله.

بالطبع لم يتذكر الكابوس بكل تفاصيله، إلا أنه شعر وقتها أن كل شيء حقيقي، ربما حقيقي. .. أكثر من اللازم. كما أن الغريب في الأمر، أن ذاك الشخص يشبه في ملابسه ذاك الذي أقتحم أحلام حفيدته ميار كما وصفته لجدتها. حاول إقناع نفسه أن الأمر لا يعدو كونه كابوسًا، وأنه ربما تأثر بما أخبرته به زوجته أسماء عندما قصت عليه ما حلُمَت به ميار.

وبينما هو مغمض العينين مسترسلًا في أفكاره، سمع من يناديه بصوت منخفض، تبادر إلى ذهنه أنه بالطبع أحد أصدقائه، فلم يكن هناك من طاقم المستشفى من هو قريب منه لدرجة أن يناديه باسمه مجردًا. لم يفتح عينيه، بل اكتفى بأن قال: أيوه.

لم يتلق إجابة، ثم ما لبث أن سمع اسمه يتردد مرة أخرى بصوت أقرب إلى الهمس، وهذه المرة كان صاحب الصوت قريبًا لدرجة يكاد يجزم معها بأنه قد شعر بأنفاسه الحارة على جانب وجهه وهو يهمس باسمه... في أذنه مباشرة.

فتح عينيه و اعتدل في جلسته وهو ينظر إلى يساره في حدة، كان على وشك أن يثور في وجه ذلك الشخص أيًا كان هو، ولكن سرعان ما تبدلت ملامحه من الغضب إلى الدهشة عندما لم يجد هناك أحدًا.

تلفت حوله ربما يجد أحد أصدقائه يمازحه، إلا أنه كان وحيدًا بالغرفة. استعاذ بالله ثم استند بمرفقيه إلى سطح مكتبه وأطرق برأسه مفكرًا، هز رأسه ينفض عنها أية هواجس وعزا الأمر إلى التوتر نتيجة ضغوط العمل.

- ضغط زر استدعاء السكرتيرة، سرعان ما طرقت الباب ودلفت إلى المكتب، وعلى وجهها رسمت ابتسامة بسيطة وهي تقول: تحت أمر حضرتك يا دكتور.

- نظر إليها قائلًا: آية، لو عندي أي مواعيد أجليها لبكره،

ولو فيه حالة مستعجلة خلى الدكتور سامح يشوفها.

- أومأت برأسها قائلة: حاضر يا دكتور، ثم استطردت تسأله: فيه حاجة حضرتك؟

- هز رأسه نفيًا وهو يقول: لأ مفيش، تعبان شوية.

- بدا عليها الانزعاج وبنبرة قلقة قالت: سلامة حضرتك يا دكتور، طيب أجيب لحضرتك حد من الدكاترة؟

- تنهد قائلًا: لأ مفيش داعي، ده شوية إجهاد علشان ما نمتش كويس إمبارح، خلى بس السواق يجهز العربية.

- أومأت برأسها قائلة: تحت أمر حضرتك يا دكتور.

- انصرفت آية لتنفيذ ما أمرها به، بينما بقي هو في مكتبه لحين وصول السيارة. تذكر الكابوس وكيف رأى ابنه نادر مذعورًا يمد يده إليه وكأنما يستنجد به. التقط هاتفه المحمول من على المكتب، نظر إلى شاشته وغمغم قائلًا: يا ترى فيه إيه يا نادر؟

*****

جلس كلٌ من نادر وسليمان في الكارافان خاصتهما يتناولان الطعام، كان يمضغ طعامه ببطء، فلم تكن لديه رغبة في الأكل على أية حال، كانت (نفسه مصدودة) كما يقولون. نظر إلى سليمان وابتسم رغمًا عنه، فقد كان يلوك الطعام بسرعة، ويضع اللقمة تلو الأخرى في فمه قبل أن يبتلع ما في فيه.

- نظر إليه وهمَّ بالتعليق إلا أن رنين هاتفه المحمول استوقفه فتناوله من على المنضدة أمامه، ونظر إلى شاشته فإذا به والده، ضغط زر الإجابة ورفع الهاتف قائلًا: ألو.

- أتاه صوت والده قائلًا: أيوه يا نادر أخبارك إيه؟

- تنهد نادر في ارتياح عندما سمع صوت والده فقال: الحمد لله يا بابا، أخبار حضرتك إيه؟

- بصوته الرخيم أجاب: الحمد لله تمام، ثم ما لبث أن سأله في لهفة: إنت كويس يا بني؟

- ابتسم نادر وهو يقول: كله تمام يا بابا، أخبار ماما وماهيتاب وميار إيه؟

- أجابه في هدوء: الحمد لله كلنا كويسين يا نادر، ثم قال في حماسة: أنا حلمت بيك على فكرة.

- وقعت الكلمات على أسماعه وقع الصاعقة، فسأله في حذر: حلمت بيا؟!

- أيوه يا سيدي حلمت بيك، بس كان كابو... قطع كلامه وصمت قليلًا وبدا مترددًا ثم ما لبث أن قال: المهم الحمد لله إني إطمنت عليك. جاي إمتى إن شاء الله؟

- لاحظ نادر عدم رغبة والده في الحديث عن الحلم، فلم يُلِحّ عليه، واكتفى بأن يجيبه في صوت جاهد أن يبدوا طبيعيًا:

لسه والله يا بابا مش عارف. دعواتك بأه يا دكتور.

- تنهد الدكتور نبيل قائلًا: ربنا يسترها معاك يا بني، عايز حاجة ؟

- هز رأسه نفيًا وهو يقول: متشكر يا بابا.

- وما إن أنهى نادر المكالمة حتى بدا شاحب الوجه وهو ينظر لسليمان قائلًا في توتر: بابا شاف نفس الحلم، يعني زي ميار. صدفة دي كمان؟!

- مط سليمان شفتيه قائلًا: مش عارف أقولك إيه! صمت قليلًا يفكر ثم استطرد قائلًا: بس ميار كويسة الحمد لله ومفيش حاجة حصلت.

- بلهجة مستنكرة صاح قائلًا: يعني أستنى لما حاجة تحصل !

- طقطق بلسانه وتنهد قائلًا: يا سيدي مش قصدي، أنا أقصد إن أكيد فيه تفسير تاني.

- نهض واقفًا وهو يقول في عصبية: لا تاني ولا تالت، أنا رايح البيت دلوقتي.

*****

تسمرت ميار وهي تنظر إلى السيارة التي تقترب منها في سرعة وصرير عجلاتها يصم الآذان في تلك المنطقة الهادئة، وبدا أنه لا مفر من تفادي تلك الكارثة. وفجأة إذ بيد تقبض على كتف الفتاة

وتجذبها للخلف في قوة بعيدًا عن السيارة، لتجد نفسها بين ذراعي أشرف حارس الأمن، الذيما إن رأى السيارة المسرعة حتى قفز من مكانه وجذب ميار للخلف بعيدًا عنها.

توقفت السيارة ولم يغادر سائقها كرسيه، بدا عليه الارتباك وهو ينظر إلى أشرف الذي بادله النظرات بأخرى غاضبة ليكتشف أنه فتى لا يتجاوز عمره الثامنة عشرة على أقصى تقدير. لم يكلف الفتى نفسه عناء الاطمئنان على الفتاة، بل أسرع هاربًا قبل أن يحدث له ما لا يحمد عقباه.

- وما هي إلا لحظات حتى كانت ميار بداخل فيلتها ترتجف في أحضان جدتها أسماء، التي مسحت على رأسها في حنان وهي تُقَبّلها قائلة: كده برضه يا ميرو، مش تاخدي بالك! نظرت لأشرف في امتنان وهي تقول: مش عارفه أشكرك إزاي يا أشرف.

- حاولت أن تمنحه مكافأة نقدية إلا أنه أبى أن يأخذها قائلًا: أنا ماعملتش حاجة حضرتك، وكفاية إن خيركم علينا، ثم ما لبث أن استأذن في الانصراف.

- في غرفتها، جلست ميار على فراشها وبجوارها صديقتها "هنا" التي أتت لتطمئن عليها بعدما رأت ما حدث، نظرت لميار قائلة: ربنا ستر.

- تنهدت ميار وهي تقول: أنا مش عارفة إيه اللي حصل! أنا بصيت كويس يمين وشمال قبل ما أعدي. مامي لما تعرف مش هاتخليني أخرج لوحدي تاني.

- ربتت "هنا" على كتفها وهي تقول في نبرة حانية: معلهش يا ميرو، صمتت قليلًا ثم لمعت عيناها وهي تقول: عندي فكرة حلوة ومن غير ما نخرج من الفيلا.

- نظرت إليها ميار وسألتها: فكرة إيه؟

- ابتسمت وهي تقول في حماسة: إيه رأيك لما ننزل البسين؟ لم تنتظر ردها، بل نهضت واقفة وفتحت باب الغرفة وهي تقول: هاروح البيت بسرعة أجيب المايوه بتاعي وأجيلك. وإنتي ماتنسيش تجيبي الصَّن بلوك، ماشي؟

- ابتسمت ميار وأومأت برأسها قائلة: ماشي، هأسبقك أنا على البسين لحد ما تيجي، ثم ما لبثت أن نهضت وأخرجت زي السباحة وشرعت في ارتدائه.

- لحظات وكانت أمام حمام السباحة، قامت بفرد منشفة على أحد المقاعد، ثم جلست تدهن وجهها وكتفيها بكريم الحماية من الشمس، وما إن انتهت حتى قامت واقفة ووضعت الأنبوب على المقعد. أمسكت في درابزين السلم الحديدي ونزلت إلى المياه في هدوء. سرعان ما غمرت المياه جسدها قبل أن تستلقي على ظهرها وتغمض عينيها محاولة الاسترخاء بعد ما مرت به منذ قليل.

وبينما هي كذلك إذ هبت نسمة خفيفة أوقعت المنشفة أرضًا ومعها أنبوب الكريم الذي تدحرج بفعل الهواء إلى حافة حمام السباحة.

أحست ميار بأن هناك من يراقبها، فتحت عينيها واعتدلت واقفة. تلفتت حولها فإذ بها تجد جدها الذي عاد من المستشفى واقفًا ينظر إليها مبتسمًا، وما إن رأته حتى ضحكت وأسرعت تصعد السلم الحديدي لتهرع إليه.

ما إن خرجت من الماء حتى وطأت بقدمها دون قصد على أنبوب الكريم الذي أفرغ ما بداخله على الأرض، توقفت ونظرت إلى الأنبوب وطقطقت بلسانها ثم ما لبثت أن تجاهلته وأسرعت نحو جدها تحتضنه

- احتضنها بدوره وداعبها قائلًا: كد برضه يا ميرو بوظتيلي الهدوم!

- مطت شفتيها وهي تنظر إليه، وبلهجة مستنكرة قالت: يعني أنا ولا الهدوم يا جدو؟

- ابتسم وهو يطبع قُبلة على جبينها قائلًا: فداكي أنا والهدوم يا ستي.

- ارتسمت ابتسامة عريضة على شفتيها، ثم قالت: طيب ماتيجي تنزل معايا يا جدو، الميه حلوة قوي.

- ابتسم الدكتور نبيل قائلًا: معلهش يا ميرو تعبان شوية، هاخد دش وأقعد أستريح. ثم استطرد قائلًا: بس لو لقيت نفسي كويس هأجيلك. قالها واتجه إلى داخل الفيلا.

- لم يخلو صوتها من المرح وهي تصيح بعلو صوتها: مستنياك، إوعى تتأخر. تابعته بنظراتها إلى أن غاب داخل الفيلا. نظرت إلى حمام السباحة ثم ما لبثت أن ركضت في اتجاهه تريد أن تقفز إلى المياه. وما إن بلغت حافة الحمام حتى انزلقت على بقعة الكريم التي أُفرِغَت من الأنبوب لترتفع قدماها في الهواء ويرتطم مؤخر رأسها بدرابزين السلم الحديدي.

- سقطت في الحمام بجوار حافته، وسرعان ما تشكلت بقعة من الدماء حولها وهي تطفو على سطح الماء... دون حراك

*****

- ما إن دخل الدكتور نبيل للفيلا حتى ملأت أنفه رائحة طيبة، أغمض عينيه وملأ رئتيه بها قائلًا: الله عليكي يا سيمو. توجه من فوره إلى المطبخ، حيث كانت زوجته تعد طعام الغذاء، طبع على وجنتها قُبلة حانية قبل أن يقول: إيه الريحة الحلوة دي يا سيمو؟!

- ضحكت قائلة: طيب ياللا غير هدومك علشان قربت أخلص.

- أومأ برأسه وهو يقول: هآخد دش الأول عقبال ما تكون ميار طلعت من البِسِين. نظر إلى السخان ليتأكد من أنه يعمل قبل أن يتوجه للحمام الملحق بغرفة نومه.

في الحمام خلع ملابسه ودلف إلى حوض الاستحمام. فتح

صنبور الماء وما هي إلا لحظات حتى انسابت المياه الدافئة على جسده وتصاعدت الأبخرة. أغمض عينيه وتنهد وكأنما يزيح حملًا ثقيلًا عن عاتقه.

- أمام حوض غسيل الأطباق بالمطبخ، فتحت السيدة أسماء الصنبور لتغسل يدها،ما إن لامست المياه الدافئة يدها حتى أطلقت صرخة وانتفض جسدها وهي ترتد للخلف في عنف لترتطم بالمنضدة التي خلفها. وضعت يدها على صدرها وهي تلهث جراء الصدمة الكهربائية التي تلقتها، فقد كانت الكهرباء تسري في المياه المنسابة أمامها.

التفتت إلى السخان بجوارها لتجد ضوء زر التشغيل يتذبذب فأغلقت المفتاح لتقطع عنه الكهرباء وهي ترتجف. همَت بالجلوس على أحد المقاعد بجوارها إلا أنها تذكرت زوجها فهتفت في ذعر: نبيل! قالتها وركضت في اتجاه غرفة نومهما.

*****

- عادت "هنا" إلى الفيلا بعد ارتدت ملابس السباحة ووقفت تراقب صديقتها المستلقية على سطح الماء، استرعى انتباهها وجود بقعة داكنة اللون حول رأسها، فصاحت تناديها: ميار... مياارر.

- لم تتلقَ إجابة، أسرعت بالقفز إلى الماء لتقترب في سرعة من صديقتها التي لم تحرك ساكنًا، وضعت يدها عليها تهزها في

رفق، ولكن دون أدنى استجابة، وضعت يدها أسفل رأس ميار ترفعه عن الماء، وما إن فعلت ذلك حتى أحست بسائل دافئ ينساب على يدها. اكتست ملامحها بمزيـج من الرعب والقلق، وهي تنقل بصرها بين كفها الذي لطخته الدماء ووجه صديقتها الذي حاكي بلونه الشاحب وجوه الموتى، فصرخت بعلو صوتها: مياااار.

*****

وقفت أسماء أمام الحمام تلهث محاولة أن تلتقط أنفاسها وهي تطرق الباب على زوجها، زاد توترها عندما لم يرد لأسماعها أي رد. أصاخت السمع ولم يكن هناك إلا صوت انسياب المياه، قامت بالطرق عدة مرات وهي تنادي على زوجها. كاد قلبها أن يتوقف عندما لم تتلق إجابة.

سارعت بفتح الباب، وما إن دخلت حتى تسمرت في مكانها واتسعت عيناها في رعب فقد كان جسد زوجها ممدًا على الأرض دون حراك والمياه تنهمر على جسده، بينما يحدق إلى السقف بعينين مفتوحتين خاليتين من أي أثر للحياة... وترددت صرخاتها في أرجاء الفيلا.

الفصل الرابع

- صدق الله العظيم.

ترددت العبارة في الإذاعة الداخلية بإحدى دور المناسبات بمنطقة التجمع، ليعلن بها المُقرِئ انتهاء التلاوة. بدأ المعزون في الانصراف، ووقف نادر يصافحهم وهم يرددون عبارات العزاء التقليدية، بينما اكتفى هو بإيماءة بالرأس.

لحظات قليلة وخلت القاعة، وألقى نادر بجسده على أقرب المقاعد إليه. بدا على ملامحه الحزن، بينما يكاد شعورٌ بالذنب يعتصره من الداخل، فهو يُحَمِّل نفسه المسئولية بصورة أو بأخرى فيما آلت إليه الأمور.

لم يمضِ أكثر من ثلاثة أيام منذ أن تلقى مكالمة من حسام زوج أخته السابق، الذي مازالت تربطه به علاقة صداقة حتى بعد انفصاله عنها، كان حسام يحاول جاهدًا أن يستعيد زوجته ولعلها أحد الأسباب التي جعلته لا يريد أن يفقد التواصل معه.

تذكر تلقيه ذلك الاتصال من حسام يبلغه أن والده وميار قد تعرضا لحادث بالفيلا، وتم نقلهما إلى المستشفى الخاص بوالده. وكيف أنه ترك الموقع وهرع مباشرةً إلى هناك للاطمئنان عليهما. وما إن وصل إلى المستشفى حتى وجد شقيقته ووالدته، التي ما إن رأته حتى ارتمت بين ذراعيه وأجهشت بالبكاء.

سألها في فزع عن والده وميار، إلا أنها لم تجبه، بل علا صوت نحيبها، وبنظرات متسائلةالتفت إلى شقيقته التي لم تكن أحسن

حالًا منها، ووقفت تنتحب دون أن تنظر إليه. اختلج قلبه بين ضلوعه، ووقف لا يدري ماذا يفعل، وبينما هو كذلك إذ بيدٍ توضع على كتفه، نظر خلفه ليجد حسام، الذي بدا متماسكًا على الرغم من عينيه المغرورقتين بالدموع، وعلامات الأسى البادية على وجهه.

- أجلس والدته على أقرب المقاعد إليه، ونظر إلى حسام الذي بادره بقوله: البقاء لله يا نادر.

- حاول نادر أن يبدوا متماسكًا، ولكن خرج صوته متحشرجًا رغمًا عنه وهو يقول: الدوام لله.

- ربت حسام على كتفه وهو يقول: معلهش يا نادر شد حيلك، نظر إلى ساعة يده، ثم أردف قائلًا: زمان مكتب الصحة قفل، بكره الصبح هاروح هناك أخلص الإجراءات، وطلّع تصريح الدفن. صمت قليلًا ثم تنهد قائلًا: بيتهيألي الأحسن إنك تحضر إنت الغُسل.

- رفع نادر بصره إليه وبعينين حمراوين نظر إليه يسأله: هم فين؟ عايز أشوفهم.

- بدا حسام متأثرًا وهو يقول: الدكتور نبيل لسه منزلينه تلاجة المستشفى دلوقتي، ثم أشار إلى باب الغرفة التي على يساره وأردف قائلًا: وميار موجودة في الأوضه دي.

- التفت نادر حيث أشار حسام، ونظر إلى اللافتة الموجودة

على باب الغرفة التي كُتِبَ عليها "غرفة الرعاية المركزة". سأل حسام في لهفة: هي ميار هنا؟

- أومأ حسام برأسه إيجابًا وهو يقول: أيوه، من ساعة ما جابوها وهي في غيبوبة ولسه مافاقتش.

- وبصوت حمل مزيجًا من الدهشة والأمل سأله: غيبوبة! يعني ميار ما ما تتش!

- قطب حسام حاجبيه ونظر إليه متعجبًا وهو يقول: إيه اللي بتقوله ده يا نادر! بعد الشر عليها.

- قال نادر في سرعة: أكيد مش قصدي يا حسام، أطلق تنهيدة وهو يقول: الحمد لله إنها بخير.

- أومأ حسام برأسه وهو يقول: الحمد لله. فُتِحَ باب غرفة الرعاية، وخرجت منه ريم زوجة نادر التي ما إن رأته حتى اندفعت إليه تحتضنه وهي تواسيه. احتضنها بدوره دون أن ينبس ببنت شفه.

- وبعينين مغرورقتين بالدموع قالت: شد حيلك يا نادر.

- هز رأسه وهو يقول بصوت خرج متحشرجًا رغمًا عنه: الحمد لله على كل حال. حاول أن يبدو متماسكًا وهو يسألها: أُمَّال أحمد فين؟

- أجابته قائلة: أحمد سِبتُه عند فريدة، ما كانش ينفع ييجي معايا.

- أومأ برأسه وهو يقول: كويس إنك عملتي كده.

- نظر حسام إليه قائلًا: شوف يا نادر لو عايز تدخل تتطمن على ميار.

- أومأ نادر برأسه وهو يقول: آه طبعًا، وبعدين أروح أشوف بابا. وما إن دلف إلى الغرفة حتى وجد ماهيتاب قد سبقته، ووقفت بجوار فراش ابنتها وبعينين مغرورقتين بالدموع نظرت إليه قائلة: معرفش إيه اللي بيحصلنا ده يا نادر!

- لم يجد نادر ما يرد به عليها، مط شفتيه متأثرًا، ثم ما لبث أن سألها: هو إزاي ده حصل؟

- مسحت دموعها، ثم حكت له تفاصيل ما حدث والذي عرفته من كلٍ من والدتهما وصديقة ميار، إلى أن قالت: "هنا" لما شافت ميار في البسين والدم سايح منها راحت مصرخة، أشرف بتاع الأمن جه جري على الصوت. طلعها بره البسين وحط فوطة على رأسها علشان يوقف الدم وحاول يفوقها ما عرفش.

بصوت متهدج أردفت قائلة: ساب "هنا" مع ميار وجري على الفيلا علشان يندە بابا أو ماما. ولما ما حدش رد عليه راح داخل جوه، فسمع ماما بتصرخ وبتنده على بابا. طلع فوق على الصوت، وأول ما شاف المنظر راح مكلم الإسعاف وكلمني.

جبناهم هم الإتنين على هنا. تهدج صوتها وهي تقول: بس بابا كان خلاص. نظرت لابنتها وأمسكت بيدها، ثم ما لبثت أن

قَبَّلتها قائلة: وميار زي ما إنت شايف، غيبوبة كاملة ما حدش عارف سببها. كمية الدم اللي نزفتها مش كتيرة لدرجة إنها تعمل غيبوبة بالشكل ده.

- ربت نادر على كتفها وهو يقول: إن شاء الله تقوم بالسلامة، نظر إلى ميار مطولًا، ثم انحنى وطبع قُبلة على جبينها قبل أن يقول: أنا رايح أشوف بابا.

لحظات وكان يقف في غرفة الثلاجة بالمستشفى، وهي غرفة متوسطة الحجم، لا يزيد طولها على ستة أمتار، بينما لا يتجاوز عرضها الأمتار الأربعة. تحتوي على ثلاجة كبيرة الحجم في المواجهة، مقسمة إلى حجيرات صغيرة، لكل واحدة منها بابٌ معدني عليه لافتة مكتوب عليها اسم المتوفى الموجود بداخلها.

وعلى الجانب الأيمن من الغرفة يوجد مكتب صغير عليه أحد حراس الأمن، الذين يقومون بتسجيل تسلم وتسليم جثث المتوفين. وما إن دلف نادر إلى الغرفة حتى قام حارس الأمن من على مقعده وبدا عليه التأثر وهو يصافح نادر مرددًا بعض كلمات العزاء.

قام حارس الأمن بفتح باب إحدى الحجيرات، وسحب اللوح المنزلق المسجى عليه جثة الدكتور نبيل. ثم قال لنادر إنه سينتظر خارج الغرفة.

ما إن خرج الحارس حتى كشف نادر الغطاء عن وجه أبيه، الذي بدا وكأنه نائم، وضع يده عليه وهزه في رفق يناديه. لا

يدري لِمَ فعل ذلك؟؟، لربما خطر على باله أنه نائم بالفعل، وأنه حتمًا سيستيقظما إن يسمع صوته، أو أنه لا يتقبل حقيقة أن والده قد غادر بالفعل إلى غير رجعة.

- هز رأسه في أسى وهو ينظر إليه، وسرعان ما أطلق لدموعه العنان، وهو يقول بصوت منتحب: أنا آسف يا بابا، كل ده بسببي. والله ما كُنت أعرف، فداك الدنيا كلها. بس خلاص مفيش فايدة، مهما قولت فالكلام مش ها يرجعك تاني.

أنا بحبك قوي... كان نفسي أقولك كده وإنت عايش، بس المشكلة إن أنا نفسي ما كُنتش عارف، ما عرفتش قد إيه بحبك إلا بعد ما رُحت مني. الدنيا من غيرك ما تسواش... وأنا من غيرك ماسواش حاجة.

طول عمرك واقف جنبي... ولما إحتجتني ما كُنتش جنبك، أمسك يد والده، ولم يبالِ ببرودتها أو تيبسها، وشرع يقبلها ودموعه تسبق قبلاته.

*****

- انتزعه من أفكاره صوت سليمان الذي جلس على المقعد المجاور له في دار المناسبات وهو يقول: البقاء لله يا نادر.

- التفت إليه نادر ونظر إليه مطولًا قبل أن يقول بصوت واهن: الدوام لله، متشكر جدًا يا سليمان على تعبك معايا في الجنازة، والنهارده في العزاء.

- ربت سليمان على كتفه قائلًا: عيب يا نادر ما تقولش كده إحنا إخوات. صمت قليلًا ثم استطرد قائلًا: أخبار طنط إيه؟

- تنهد قائلًا: ماما... ربنا يكون في عونها، بابا كان كل حاجة في حياتها. أنا وريم وحمادة قاعدين معاها في الفيلا دلوقت، مش عايزين نسيبها لوحدها، وخصوصًا إن ماهيتاب طول اليوم مع ميار في المستشفى.

- سأله سليمان: لسه برضه مفيش تحسن في حالة ميار؟

- هز رأسه نفيًا وطقطق بلسانه قائلًا: للأسف لأ، لسه في غيبوبة. الله أعلم هاتفوق منها إمتى.

- بدا التأثر على قسمات وجه سليمان وهو يقول: ربنا يطمنكوا عليها. ثم ما لبث أن نهض واقفًا وهو يقول: أستأذن أنا يا نادر علشان بكره الصبح لازم أكون في الموقع.

- نهض نادر بدوره يصافحه وهو يقول: ماشي يا سليمان. ثم استطرد قائلًا: صحيح... أخبار الموقع إيه؟

- مط سليمان شفتيه قائلًا: مفيش... الرجالة خايفين يشتغلوا، وكل اللي طالع عليهم إن لعنة الفراعنة صابت الدكتور نادر.

- ابتسم في سخرية ثم تنهد قائلًا: والله الواحد خايف يصدق الهبل ده. على العموم ما تحطش الكلام ده في دماغك.

- أومأ سليمان برأسه قائلًا: ربنا يسترها. قالها ثم ودعه مغادرًا القاعة.

****

تخطت الساعة منتصف الليل بقليل واستلقى نادر في فراشه بجوار ريم في غرفته بفيلا والده، بينما نام ابنه أحمد في فراش جدته أسماء ليؤنسها. فيما كانت شقيقته ماهيتاب بجوار ابنتها بالمستشفى. كان يشعر بالإجهاد فهو لم يذق طعم النوم منذ وفاة والده، عدا بعض الغفوات القصيرة التي هاجمته رغمًا عنه عندما كان يجلس ليريح جسده بالمستشفى.

سرعان ما أسلم جفنيه للنوم، لم تمضِ إلا دقائق قليلة حتى فتح عينيه، وزفر في ضيق متسائلًا لم يجافيه النوم؟! اعتدل جالسًا في الفراش، بينما الظلام يجثم على الغرفة. مد يده يتحسس زر إضاءة المصباح على المنضدة بجواره، ولكن سقطت يده في الفراغ فلم تكن هناك أية منضدة.

بدت على ملامحه الدهشة، فهذه غرفته التي يحفظها عن ظهر قلب ويعرف جيدًا أن هناك منضدة بجواره، بل إنه قد وضع عليها هاتفه المحمول قبل قليل. مد يده إلى الحائط خلفه يتحسسه فوجد مجموعة من الأسلاك تتدلى بجواره.

اتسعت عيناه في دهشة فهو حتمًا لا يذكر وجود أية أسلاك هنا. وما هذه الرائحة القوية التي تتغلغل في خلايا مخه، ولِمَا

يخالجه شعور بأنه في غرفة بإحدى المستشفيات! اتسعت عيناه وفغر فاه عندما تذكرت خلايا مخه كنه هذه الرائحة. إنها حتمًا رائحة مطهر من تلك التي تستخدم في مستشفى والده.

نهض من فراشه وهو ينقل خطواته في حذر متحسسًا الحائط حتى ارتطمت يده بمفتاح الإضاءة ضغط عليه في لهفة، وإذ بضوء خافت ينبعث من أحد المصابيح، تلفت حوله ليجد نفسه في غرفة لا تشبه غرفته في شيء.

إنها بالقطع غرفة بإحدى المستشفيات. بها عدة أَسِرَّة كان يقف على مقربة من أحدها بينما هناك شخص آخر نائمٌ في الفراش المجاور له، ويتصل جسده بالعديد من الأجهزة التي تصدر صفارات متقطعة، وقد أغمض عينيه، مسلمًا جفنيه لنوم عميق.

- توجه في حذر ناحيته، وما إن دقق النظر في وجه الشخص المستلقي على الفراش حتى هتف في ذهول: ميار!!

- نعم إنها ميار يا نادر.

- ما إن سمع نادر ذلك الصوت الذي بدا وكأنه قادمٌ من أعماق القبور، حتالتفت في سرعة إلى مصدره ليجد الكاهن واقفًا في ركنٍ مظلمٍ من الغرفة على بعد خطوات منه.ما إن رآه حتى تغيّرت ملامح الدهشة على وجهه، ليحل محلها غضب عارم، وتطاير الشرر من عينيه وهو يضغط على أسنانه قائلًا: قتلت أبويا يابن الكلب، قالها واندفع ناحيته بكل قوته.

وقبل أن يصل إليه، فرد الكاهن ذراعه للأمام باسطًا كفه تجاهه، فتسمر في مكانه وكأن هناك شيئًا ما قد كَبَّله، ومن ثمَّ أشاح الكاهن بذراعه ناحية اليمين فوجد نفسه يطير في الهواء ليرتطم بالحائط بكل قوة. سقط أرضًا شاعرًا بآلام مبرحة في كامل جسده.

التقط أنفاسه و اعتدل جالسًا وهو ينظر إلى الكاهن في حنقٍ، وشعوره بالعجز يكاد أن يقتله. وفجأة اقترب منه الكاهن في سرعة وبدا له أنه لا يحرك قدميه، فقد كانتا لا تمسان الأرض من الأساس.

وما إن وقف الكاهن أمامه حتى حرك كفه لأعلى ببطء ومعها بدأ نادر يقف رغمًا عنه إلى أن فرد قامته، وأطراف أصابعه بالكاد تلامس الأرض، بينما ظهره ملتصقٌ بالحائط من خلفه.

- بدا على ملامحه مزيـج من التوتر والغضب، وهو ينظر إلى الكاهن الذي اقترب بوجهه منه محدقًا فيه بعينين مشتعلتين، وبصوته الغليظ قال: قُلت لك من قبل، هذا عالمي الخاص. أنت هنا تنفذ ما أريده فقط.

- تمالك نادر أعصابه وهو يصيح قائلًا: إنت قتلت أبويا. وميار في غيبوبة، الله أعلم هتفوق منها ولا لأ.

- طقطق الكاهن بلسانه في لا مبالاة ثم قال: أردت نقودًا وكان لك ما أردت. لقد ورثت وأصبحت ثريًا. ألم تكن تلك أمنيتك ؟

- هتف نادر مستنكرًا: أمنيتي إنك تقتل أبويا! وعلشان إيه؟ علشان الفلوس! أنا مش عايز فلوس... مش عايز زفت. هز رأسه في أسى ثم استطرد قائلًا: طيب وميار ذنبها إيه؟!

أشار الكاهن إلى الفراش حيث توجد ميار وهو يقول: وماذا بها! ومن قال إنها في غيبوبة! وما إن قال ذلك حتى أصدرت الأجهزة التي تقيس وظائفها الحيوية صفيرًا مرتفعًا. وفتحت ميار عينيها في وهن. وما إن أصدرت الأجهزة ذلك الصفير حتى فُتِح باب الغرفة ودلفت منه إحدى الممرضات مسرعة لتطمئن على ميار.

- نظر الكاهن إلى نادر قائلًا: أرأيت؟ يمكنني أن أجعلها تفيق في لحظة إذا ما أردت. ارتسمت على فمه ابتسامة ساخره وهو يستطرد قائلًا: كما يمكنني أن... صمت قليلًا وأردف قائلًا: أنت تعرف الباقي.

- بدا الانزعاج على وجه نادر وهو يقول: لأ.... بلاش ميار.

- اقترب الكاهن بوجهه من نادر أكثر فأكثر وازدادت عيناه اشتعالاً وهو يضغط على أسنانه قائلًا: إذن تمنَ أمنيتك الأخيرة.

اتسعت عينا نادر عن آخرهما وهو يرى لأول مرة وجه الكاهن، كان وجهًا بشعًا بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ. وجه طويل يكاد يخلو من اللحم، أفطس الأنف، ذو ذقن مدبب، تتراقص النيران في محجري عينيه اللتين فقدتا رموشهما، ناهيك عن أنه لا يوجد حاجبان يعلوهما، يمتلئ وجهه بالتقيحات، علاوة على

الرموز الغريبة الموشوم بها، والتي تغطي معظمه. كان وجهًا لم يرَ في بشاعته من قبل حتى في أسوأ كوابيسه.

- بدا نادر مضطربًا وهو يقول: أنا مش عايز أمنيات... مش عايز حاجة.

- شعر نادر بتموج الغرفة من حوله، وفجأة وجد نفسه واقفًا في مكان يعرفه جيدًا. المشاعل من حوله وصخرة القرابين. إنه بداخل المعبد مرة أخرى وعلى بعد خطوات منه وقف الكاهن يحدّق إليه ثم قال: لا، أنت ترغب في أمنية وبشدة، وأنا أعرف ما هي.

- صرخ نادر قائلًا: لأ مش عايز، ومش هاتمنى حاجة. وبدت في عينيه نظرة متحدية، وهو يحدق في الكاهن. صمت قليلًا ثم قال: بقولك مش عايز أمنيات... مش عايز حاجة. وبعدين أنا مش فاهم إنت عايز مني إيه؟ ليه لازم أتمنى؟!

- رد الكاهن: لأن تلك هي لعنتي، كان هذا ثمنًا بسيطًا أدفعه مقابل الخلود. يجب أن أحقق لك ثلاث أمنيات، بعدها ستُكسر تلك اللعنة، وأستطيع أن أتجسد مرة أخرى. لقد حاولت مرارًا قبل ذلك.

كنت على وشك كسر اللعنة في المرة الأخيرة، ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان. هذه المرة لن أسمح بهذا. لذا من الأفضل أن تفعل ما آمرك به وإلا ستكون العواقب وخيمة.

- ضغط نادر على أسنانه وهو يقول في لهجة صارمة: بقولك مش عايز حاجة.

- بلهجة متهكمة قال: لا تريد شيئاً! لم يكن هذا رأيك عندما أردت أن تنفرد بالمجد وحدك، بعيدًا عن الدكتور فريد. قالها وبدأت تتشكل أمامه سحابة تتابع بداخلها لقطات سريعة لعناوين العديد من الصحف، علاوة على بعض اللقاءات التليفزيونية، كان هو العامل المشترك فيها. كلها تتحدث عن الكشف الأثري الذي اكتشفه الدكتور نادر نبيل، والذي يعد واحدًا من أهم الاكتشافات الأثرية في القرن الحادي والعشرين.

وبصوته القادم من أعماق القبور سأله: ما رأيك؟

- ظهرت الدهشة على وجه نادر، فها هو يرى حلمه أمامه على بعد خطوات منه. كل ما عمل من أجل تحقيقه، كل ما تمناه. ولكن سرعان ما تذكر والده وميار و... الدكتور فريد. تبدلت ملامحه لتكتسي بالصرامة وهو يصيح قائلًا: لأ... برضه مش عايز، مش هاتمنى حاجة، أنا مش خايف منك.

- نظر إليه الكاهن مطولًا قبل أن يزداد وهيج عينيه، وهو يقترب منه في سرعة حتى توقف أمامه مباشرة واقترب بوجهه منه، وهو يكز على أسنانه قائلًا: الأولى بك أن تخاف. تراجع للخلف خطوة واحدة، ثم رفع يده اليمنى في الهواء، وإذ بعصاه الخشبية تندفع إليه من أحد أركان المعبد المظلمة لتستقر في كفه.

ما إن قبض عليها حتى تموجت في يده، وتحولت إلى حية ضخمة سوداء اللون تلتف بجسدها على ذراعه، بينما يتحرك رأسها في بطء يمينًا ويسارًا، وأنظارها مثبتة على وجه نادر في انتظار أوامر سيدها.

- تحدث الكاهن بصوت أشبه بالفحيح قائلًا: أظن أنك تعرف جيدًا ما يمكن أن تفعله بك هذه الحية. لقد قلت لك مرارًا وتكرارًا، أنت هنا في عالمي الخاص. لا تظن أنك تحلم، فإن هذا ليس حلمًا... بل هو أقرب إلى الواقع. إن ما سيحدث لك هنا سيكون له تأثير بالطبع على واقعك.

صمت قليلًا وهو يمسح بيده على رأس الحية التي سكنت في يده ما إن فعل ذلك، وأردف قائلًا:ما إن تنشب أنيابها في عنقك حتى يسري السم في عروقك، سمٌ ليس له علاج، ستتمنى الموت بعدها في كل لحظة. سيتحول جسدك إلى اللون الرمادي، فالأسود شيئًا فشيئًا، وفي غضون أسبوعٍ على الأكثر سيتعفن جسدك، وأنت على قيد الحياة إلى أن تتساقط أجزاء جسدك تباعًا.

لن أكتفي بهذا، بل سأزور كل من تحب، وسيلاقون مصيرًا أسوأ من ذلك بكثير. فمن الأفضل لك ولهم أن تنهي هذا العبث، وتتمنى أمنيتك الأخيرة.

صمت قليلًا ليرى وقع كلماته على نادر، ثم أردف قائلًا: وبما أنها أمنيتك الأخيرة، فسأعطيك الفرصة لتختار. وما إن قال ذلك حتى تكونت عن يمينه ويساره سحابتان من الدخان، بدأتا

تتشكلان لتتخذان شكل شخصين يعرفهما نادر جيدًا. كانتا نائمتين وهما معلقتان في الهواء في وضع أفقي، ولا تشعران بما يحدث من حولهما.

اتسعت عينا نادر في رعب وهو يراقب ما يحدث، سأله الكاهن: من منهما تختار؟ زوجتك التي تحمل طفلتك في أحشائها، أم أمك التي لم تتعافَ بعد من فقدان زوجها؟

- صرخ نادر في لوعة: لأاااه.

اعتدل نادر جالسًا وهو يلهث. تلفت حوله ليجد نفسه في فراشه وزوجته نائمة بجواره، وقد تدثرت بالغطاء من أعلى رأسها حتى أخمص قدميها. أطال النظر إليها فقد كان هناك شيء لا يبعث الطمأنينة في نفسه، هو يعرف زوجته جيدًا، ويعرف أنها تكره أن تغطي وجهها وهي نائمة.

- مد يده في حذر وكشف الغطاء عن وجهها وما إن فعل ذلك حتى فغر فاه وامتلأت ملامحه بالرعب. فعلى ضوء الغرفة الخافت تبين أن من يرقد بجواره لم تكن زوجته قط، بل كان والده الذيالتفت إليه وعيناه تحدقان فيه وهو يقول معاتبًا: ليه يا نادر؟!

- انتفض جسد نادر وهو يشعر بمن يهزه وينادي عليه قائلًا: نادر، إصحى يا نادر. فتح عينيه واعتدل جالسًا وأنفاسه تتلاحق في سرعة، وهو يتصبب عرقًا. تلفت حوله ليجد نفسه في فراشه وزوجته بجواره، وقد أضاءت المصباح بجانبها وهي تحاول إيقاظه.

- ناولته زجاجة من المياه كانت بجوارها، وهي تقول بصوت مشوب بالقلق: إشرب يا نادر وإستعيذ بالله، مالك فيه إيه؟

- شرب قليلًا من الماء، ثم نظر إلى زوجته واحتضنها، احتضنته ريم بدورها قائلة: إيه الموضوع يا نادر؟؟ فيه إيه؟

- ابتلع ريقه وهو يقول: مفيش حاجة... كان كابوس. التقط أنفاسه، ثم أردف قائلًا: الحمد لله.

- ربتت على كتفه قائلةً: طيب هّدِّي نفسك، إنت شوفت إيه؟

- نظر إلى ساعة الحائط التي قاربت على الواحدة صباحًا. تنهد وحاول أن يبدو متماسكًا وهو يقول: لسه الساعة ما جاتش واحده، كملي نوم وهابقى أحكيلك الصبح. نهض من فراشه متجهًا إلى باب الغرفة.

- نظرت إليه تسأله: رايح فين؟

- أجابها قائلًا: هابُص على أحمد وماما.

- ما إن فتح نادر باب غرفة والدته حتى فتحت عينيها تنظر إليه قائلة: عايز حاجة يا نادر؟

- ابتسم وهو يقول: سلامتك يا ماما، كنت بتطمن عليكي. صمت قليلًا ثم أردف قائلًا: تصبحي على خير يا ماما.

- ردت قائلة: وإنت من أهل الخير يا حبيبي.

أغلق نادر الباب وتوجه إلى غرفة مكتب أبيه. وتحت الإضاءة الخافتة، جلس على المقعد خلف المكتب. كان يريد أن يجلس وحده ليصفّي ذهنه. ففي أعماقه كان يشعر بأن هناك حتمًا وسيلة لإيقاف ذلك الكاهن، لا بد من إيقافه قبل أن تتطور الأمور إلى الأسوأ. ولكن كيف؟

لا بد أن يقضي على الكاهن حتى لو دفع حياته ثمنًا لذلك. حياته مقابل حياة كلٍ من زوجته ووالدته وابنة شقيقته، لن يتردد لحظة في بذل حياته مقابل حياتهم. أو يتجنب كل ذلك بأن يجد الوسيلة للقضاء على الكاهن.

تذكر الحلم أو بالأحرى الكابوس الذي راوده منذ قليل، وتساءل: هل حقًا استعادت ميار وعيها؟ أراد أن يتصل بشقيقته ليسألها، ولكنه عدل عن ذلك عندما نظر إلى شاشة هاتفه المحمول ليجد أن الساعة قد جاوزت الواحدة صباحًا بقليل. مط شفتيه وجال بخاطره أن الاطمئنان عليها هو أول ما سيفعله في الصباح الباكر.

اتكأ بمرفقيه إلى سطح المكتب مسندًا رأسه إلى كفيه واستغرق في تفكير عميق. كيف يقضي على الكاهن؟ كيف؟ كيف تمكن شيخ الباحثين من إيقافه قبل أن يغلق المعبد؟ جال بخاطره أن يعيد قراءة رسالة الأمير التي وجدها في ذلك الصندوق. لقد التقط لها صورة أو اثنتين على ما يذكر.

أمسك بهاتفه المحمول وتصفح الصور المخزنة عليه حتى وجدها. فتحها وأخذ يقرأها بتمعن، لم تحتوِ على ما يساعده في القضاء على الكاهن. فقد كان جُل ما تحتويه هو تحذيرات من مغبة فتح المعبد.

كاد شعور باليأس يتملكه، وبينما هو كذلك إذ به يتذكر الدكتور عبد الصبور، لا يدري لِمَ قفز هذا الاسم إلى ذهنه، فهو لم يكلمه منذ شهور. عزا ذلك إلى أنه كثيرًا ما كان يلجأ إليه طالبًا منه المشورة في أمور شخصية. فهو يعتبره بمثابة أبيه الروحي، وليس فقط أستاذه ومعلمه في كلية الآثار.

بحث عن رقم الدكتور عبد الصبور في هاتفه المحمول،ما إن وجده حتى تنفس الصعداء وإسترخى في مقعده مغمضًا عينيه، وسرعان ما أسلم جفنيه للنوم.

*****

جاوزت الساعة الثانية صباحًا، وخيم الهدوء على منطقة المعبد بقرية صان الحجر. تحرك شخصان في حذر، وقف أحدهما على بعد خطوات من الكارافان الخاص بنادر وسليمان ليراقب المكان، بينما أخذ الآخر يعالج قفل الباب في سرعة، وما هي إلا لحظات وانفتح الباب.

- دلف إلى الداخل، وعلى الإضاءة المنبعثة من الكشاف في يده، أخذ يفتش في أغراض كلٍ من نادر وسليمان، مضت أكثر من

عشرة دقائق ولم يخرج، تزايد القلق في نفس زميله الذي يقبع بالخارج، فأخذ ينادي بصوت منخفض قائلًا: عبد الحميد، يا عبد الحميد. إيه اللي مأخرك؟

- خرج عبد الحميد مسرعًا، واتجه صوب زميله الذيما إن رآه حتى سأله في لهفة: فين التمثال؟

- بدت على وجهه خيبة الأمل وهو يقول: مفيش تمثال يا عم سعيد، أنا قلبت الكارافان ومفيش له أثر.

- نظر له سعيد وقطب جبينه وهو يقول محتدًا: يعني إيه الكلام ده؟! أُمَّال راح فين! خدوه معاهم! نظر إلى عبد الحميد وأمسك بذراعه قائلًا: إوعى تكون بتعمل عليا ملعوب، وطمعت في التمثال لوحدك.

- دفع عبد الحميد يد سعيد بعيدًا عنه وهو يقول في حدة: عيب الكلام ده يا عم سعيد، إحنا متفقين على كل حاجة. وبعدين لو مش مصدقني... أنا قدامك أهوه... فتشني.

- نظر إليه سعيد بتمعن ثم ما لبث أن هز رأسه وهو يقول: لأ خلاص... أنا مصدقك. يالا بينا من هنا قبل ما حد ييجي.

انصرف الاثنان في سرعة مبتعدين عن الكارفان. وسرعان ما كانا يجلسان سويًا بعيدًا عن باقي العمال، وهما يشعلان النار في كومة من الحَطَب الذي جمعاه من حولهما، بعدما شعرا ببرودة الجو المعتادة في هذا الوقت من الليل.

- فرك سعيد كفيه فوق النار ملتمسًا بعض الدفء وهو ينظر لعبد الحميد قائلًا: رَجَّعت كل حاجة مكانها؟ مش عايزين سليمان يشك في حاجة لما ييجي الصبح.

- أومأ عبد الحميد برأسه إيجابًا وهو يقول: أيوه، كل حاجة في مكانها. وبعدين قلقان ليه؟! هي دي أول مرة نفتش فيها الكارافان!

- تنهد سعيد وهو يقول: على رأيك. تذكر شيئًا فطقطق بلسانه وزفر قائلًا: لو كان الدكتور سليمان وافق يجيب صلاح الحاوي كان زمنّا خلِصنا.

- بدا عبد الحميد متعجبًا وهو يقول: مش عارف هو رفض ليه؟!

- أشاح سعيد بيده في الهواء قائلًا: بيقول إن العمال بيتكلموا كتير عن لعنة الفراعنة، ومش ناقصة كمان نجيبلهم واحد بتاع عفاريت، كده هيطفشوا.

- ما إن ذكر سعيد لعنة الفراعنة حتى بدا التوتر على عبد الحميد وهو يقول: هو صحيح لعنة الفراعنة دي بجد يا عم سعيد.

- بدا الامتعاض على وجه سعيد وهو يقول: مفيش حاجة من الكلام ده، الدكتور نادر قالي كذا مرة إن الموضوع ده أونطة، وإن دي إشاعات علشان الناس اللي بتحاول تسرق المقابر ما تقربش منها.

- لم يبدُ على عبد الحميد الاقتناع فقال متهكمًا: طيب واللي حصل للدكتور نادر ده إيه؟! مش حاجة غريبة برضه؟!

- هز سعيد رأسه نفيًا وهو يقول: لأ... مش غريبة ولا حاجة، صدفة... مش أكتر من كده. يا ما ناس كتير بتموت... ومن غير سبب كمان.

- تململ عبد الحميد جالسًا وهو يحاول أن يقنع نفسه بما ذكره سعيد، زفر ثم قال: ماشي يا عم سعيد. صمت قليلًا ثم استطرد قائلًا: طيب وإيه العمل دلوقتي في موضوع التمثال؟

- حك سعيد ذقنه مفكرًا، ثم ما لبث أن قال: إحنا مضطرين نستنى لما ييجي الدكتور نادر والتمثال يظهر. ونحاول معاه إنه يجيب صلاح، والموضوع يمشي زي ما كنا راسمين.

- سأله عبد الحميد: طيب وإذا عمل زي الدكتور سليمان ورفض؟

- ضغط على أسنانه وهو يقول: يبقى جابه لنفسه، ساعتها تبقى لعنة الفراعنة تشتغل.

- بدا على وجه عبد الحميد إمارات عدم الفهم وهو يسأله: تشتغل إزاي يعني؟

- ارتسمت على جانب فم سعيد ابتسامة شيطانية وهو يقول: يعني نقتله.

- اتسعت عينا عبد الحميد في دهشة وهو يقول: نقتله!!

- أومأ سعيد برأسه إيجابًا وهو يقول: أيوه نقتله. هو وسليمان كمان لو حبيت. بس لازم الموته تبقى شكلها طبيعي، وساعتها يبقى السبب لعنة الفراعنة.

- حك عبد الحميد رأسه مفكرًا، ثم ما لبث أن سأله: مش إنت لسه قايلي إن مفيش حاجة اسمها لعنة الفراعنة!

كاد أن ينفجر في وجهه، إلا أنه عدل عن ذلك. نظر إليه متعجبًا، إنها لمعجزةٌ أن يجتمع كل هذا الغباء في رجلٍ واحد!

أطرق سعيد برأسه مفكرًا، ودار بخلده أنه إذا ما اضطر، فلن يتورع في قتل نادر... وسليمان...و... رفع بصره إلى عبد الحميد الذي يحدق فيه بنظرة بلهاء، هز رأسه مضيفًا: وحتمًا... عبد الحميد.

*****

أيقظه رنين هاتفه المحمول ففتح عينيه واعتدل في مقعده. حرك رأسهيمينًا ويسارًا ضاغطًا بيده على مؤخرة عنقه، فقد كان يعتريه بعض الألم جراء نومه جالسًا.

- التقط هاتفه ونظر إلى شاشته ليجد شقيقته ماهيتاب تتصل به. أسرع يضغط زر الإجابة في لهفة وهو يقول: صباح الخير يا ماهيتاب أخبارك إيه؟ وأخبار ميار؟

- اجابته في سرعة: الحمد لله يا نادر، كنت عايزه أكلمك من بدري.

- استرعت كلماتها انتباهه فسألها في حذر: ليه يا ماهيتاب؟ فيه حاجة حصلت؟

- جاء صوتها مفعمًا بالأمل وهي تقول: بالليل وأنا نايمة في المستشفى، لقيت واحدة من الممرضات بتصحيني وبتقولي ميار فتحت عينيها، روحت طالعة عليها جري و...

- نهض من مقعده وحملت قسمات وجهه مزيجًا من الفرحة والدهشة وهو يقاطعها قائلًا: بجد! ميار فاقت؟

- طقطقت بلسانها قائلة: مش بالظبط، أول ما وصلت عندها كان شكلها بتفوق، بصتلي وبعدين راحت مغمضة عينيها، ورجعت في غيبوبة تاني.

- ألقى بجسده على المقعد مرة أخرى، وزفر في ضيق قائلًا: غيبوبة تاني! صمت قليلًا ثم سألها: إنتي قولتي الكلام ده حصل الساعة كام؟

- فكرت قليلًا ثم قالت: إممم، تقريبًا كانت الساعة واحدة بالليل.

- كز على أسنانه في غيظ وهو يفكر، إن كل شيء يثبت أن ذلك الكاهن قادر على فعل الكثير، إن كل ما مر به ليس حلمًا، إنه عالم خاص بذلك الشيطان، وبداخله لا يستطيع هو أن يفعل ش...

- انتزعه صوت ماهيتاب من أفكاره وهي تقول: ألو نادر، إنت معايا؟ روحت فين؟

- أجابها في سرعة: أيوه يا ماهيتاب معاكي، تفتكري اللي حصل ده معناه إيه؟

- حمل صوتها مزيجًا من الحماس والتفاؤل وهي تقول: بيتهيألي ده مؤشر كويس، وإن فيه استجابة للعلاج. إن شاء الله هتتحسن وتفوق.

- أومأ برأسه وهو يقول: إن شاء الله، طيب إبقي عرفيني الأخبار أول بأول.

ما إن أنهت ماهيتاب المكالمة حتى ضرب نادر سطح المكتب بقبضته، كاد شعوره بالعجز أن يقتله، فها هو ذلك الكاهن يثبت بما لا يدع مجالًا للشك بأنه يمسك بجميع الخيوط في قبضته، ولن يستطيع التغلب عليه طالما يقبع في ذلك العالم خاصته.

- إذن الحل يكمن في إخراجه من عالمه، ولكن كيف؟ دار هذا التساؤل في رأسه، ثم قال محدثًا نفسه بصوت مسموع: أقوم أتشطف الأول، وأصلي وبعدين أكلم الدكتور عبد الصبور.

*****

وصل سليمان إلى الموقع وتوجه من فوره إلى الكارافان خاصته، دس المفتاح في قفل الباب، وحاول فتحه إلا أن القفل

أبى أن يستجيب له، تبادر إلى ذهنه أنه قد استخدم مفتاحًا خطأ، أخرج المفتاح من القفل وتفحصه إلا أنه كان المفتاح الصحيح. دسه مرة أخرى، وحاول عدة مرات إلى أن استجاب القفل. مط شفتيه وارتسمت على وجهه إمارات الدهشة، وهو ينقل بصره بين المفتاح وقفل الباب.

ما إن دلف إلى الكارافان حتى شعر بأن هناك شيئًا ليس على ما يرام. تلفت حوله ولأول وهلة خُيِلَ إليه أن كل شيء في مكانه، إلا أنه انتبه إلى أن حقيبة ملابسه التي وضعها أسفل فراشه لم تكن حيث تركها، بل كانت أسفل فراش نادر.

- حك رأسه مفكرًا، إن نوع الحقيبة المعروف وغلو ثمنها، لا يُعَد مبررًا كافيًا لتتجول وحدها في أرجاء الكارافان، زفر في ضيق، ثم فتح دولابه ونظر إلى ملابسه التي بدا واضحًا أن هناك من عبث بها. هز رأسه وتمتم قائلًا: يبقى أنا كان عندي حق لما خبيت التمثال.

جلس على فراشه، وأطرق برأسه مفكرًا، من لديه الجرأة ليفعل هذا؟! هل يخبر سعيد بأن هناك من اقتحم الكارافان وعبث بمحتوياته أم لا؟

قرر أن يؤجل الحديث في هذا الموضوع لحين عودة نادر، وسيتخذ كل الاحتياطات لعدم تكرار ذلك مستقبلًا، وربما تسنح له الفرصة لاكتشاف ذلك الشخص.

*****

- في أحد الأزقة بحي الجمالية العريق، وقف نادر أمام أحد الأبنية العتيقة يسأل أحدهم ليتأكد من صحة العنوان، وسرعان ما قرع جرس إحدى الشقق بالدور الأول. لحظات قليلة وانفتح الباب، ووقف أحدهم ينظر إلى نادر وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة عريضة، مد يده ليسحبه للداخل محتضنًا إياه. وهو يقول: إزيك يا نادر، فينك يا بني! شهور لا حس ولا خبر!

- احتضنه نادر بدوره قبل أن يقول: إزيك يا دكتور عبد الصبور، إنت كمان واحشني جدًا والله.

الدكتور عبد الصبور فراج، في السابعة والستين من عمره. متوسط القامة ذو جسد نحيف، ووجه يميل إلى الاستطالة، يعلوه شعرٌ كثيف رمادي اللون مصفف بعناية. تظن عندما تراه أنك أمام شخصية قد خرجت للتو من أحد أفلام الخمسينيات، بشاربه الرفيع وربطة عنقه التي تشبه الفراشة فيما يعرف بـ (البابيون).

حاد الذكاء، واسع الإطلاع والمعرفة، يعشق القراءة، وكثيرًا ما أدهش نادر بمدى ثقافته في مجالات شتى. لم يرث عن أبيه وجدوده عشقهم للآثار فحسب، بل ورث أيضًا شغفهم بعلوم الميتافيزيقا أو ما يعرف بالماورائيات.

كانت هذه هي المرة الأولى التي يزوره فيها نادر، الذيما إن دلف إلى الشقة حتى لفت انتباهه الطابع المعماري الذي امتازت به البيوت قديمًا في هذه المنطقة من مساحات واسعة وأسقف

مرتفعة. كانت العراقة تنضح من أرجاء المكان، وقد بدا ذلك جليًا من نوعية الأثاث التي اختيرت بعناية لتتماشى مع هذه الأجواء.

- في غرفة مكتب الدكتور عبد الصبور وقف نادر أمام المكتبة مشدوهًا، فبالرغم من كبر حجم الغرفة فإن المكتبة كانت من الضخامة بحيث شغلت معظم حوائطها. تضم بين جنباتها كمًا هائلاً من الكتب في شتى المجالات. ابتسم الدكتور عبد الصبور وهو يقول: أيوه يا سيدي.

- نظر إليه نادر متعجبًا وهو يقول: أيوه إيه؟!

- لم تغادر الابتسامة شفتيه وهو يقول: أيوه قريت كل الكتب دي، مش بس كده، أشار إلى مكتبه وأردف قائلًا: أنا مرقمها وعاملها فهرس على الكمبيوتر ده، علشان لما أحب أجيب كتاب أعرف أطلعه.

- التفت نادر إلى حيث أشار الدكتور عبد الصبور ليجد جهاز حاسب آلي من نوع حديث. فسأله والدهشة بادية على ملامحه: إنت اللي عملت كل ده يا دكتور؟!

- قهقه عبد الصبور ضاحكًا وهو يقول: عيب عليك، طبعًا مش أنا. أنا صحيح بأعرف أتعامل مع الكمبيوتر بس مش قوي كده. ده إبني رامي اللي ظبطلي كل حاجة ووراني أستخدمه إزاي. المهم إيه بأه الموضوع المهم اللي إنت عايزني فيه؟

- جلسا على مقعدين متقابلين، وقبل أن يبدأ نادر في

السرد، سمع صوت طرقات على الباب ثم دخلت فتاة في الثانية عشرة من عمرها، تحمل في يديها صينية عليها شاي، وبعض البسكويت،ما إن وضعت الصينية على المنضدة بينهما حتى ابتسم الدكتور عبد الصبور وربت على كتفها وهو يقول: سارة حفيدتي.

- ما إن خرجت من الغرفة بعد أن حَيَّت نادر، حتى بدأ يحكي ما حدث بكامل تفاصيله والدكتور عبد الصبور تزداد عيناه اتساعًا مما يسمعه، إلى أن قال: وميار دخلت في غيبوبة تاني.

- بدا التأثر على الدكتور عبد الصبور وهو يقول: ربنا يقومها بالسلامة. ثم ما لبث أن هز رأسه في أسى قائلًا: الدكتور نبيل ما يستاهلش كده، الله يرحمه. البقاء لله يا نادر، والله ما أعرف غير منك دلوقتي.

- تنهد نادر قائلًا: الدوام لله يا دكتور، أنا عارف إن ما حدِّش قالك.

- صمت الدكتور عبد الصبور قليلًا ثم قال: بص يا نادر، أولًا أنا مش عايزك تحمِّل نفسك المسئولية في اللي حصل، لإن ببساطة إنت ما كونتش تعرف اللي هايحصل، ثم إن مفيش حاجة كنت ممكن تعملها وتمنع بيها ده.

تنهد وأردف قائلًا: كفاية تلوم نفسك أكتر من كده. اللي إنت شوفته بيلومك في الحلم ده مش أبوك. ده عقلك الباطن اللي إنت أقنعته إنك السبب في اللي حصل. نظر إليه مطولًا قبل أن يسأله: تقدر تقولِّي كان في إيدك إيه تعمله وما عملتهوش؟

- نظر إليه نادر ولم يجد ما يقوله، فبالطبع لم يكن هناك ما يمكن فعله لتجنب ما حدث. اكتفى بهز كتفيه ولم يُعَلِق.

- تابع الدكتور عبد الصبور كلامه قائلًا: يبقى بطَّل تلوم نفسك. سيبك من اللي فات وخلينا في اللي جاي. إزاي نوقف الشيطان ده عند حده؟ نهض من مقعده وأخذ يقطع الغرفة جيئة وذهابًا وهو يقدح زناد فكره. توقف أمام نادر قائلًا: وريني الرسالة بتاعة الأمير.

- ناوله نادر الهاتف خاصته، فطقطق بلسانه قائلًا: مش هاعرف أشوفها كويس على الموبايل. أشار إلى الطابعة الموجودة على المكتب وهو يسأله: تعرف تطبعها؟

- أومأ نادر برأسه إيجابًا، لحظات وكانا يجلسان على مقعديهما وبيد الدكتور عبد الصبور نسخة مطبوعة من الرسالة، يقرؤها في تمعن بينما نادر ينظر إليه مترقبًا.

- مضى الوقت ثقيلًا إلى أن خلع الدكتور عبد الصبور نظارته الطبية، ونظر إلى نادر قائلًا: بص يا سيدي، أولًا معتقدش إن الكاهن ده هو سبب المجاعة اللي حصلت في مصر، زمان كان أي حاجة مش عارفين سببها، ينسبوها للجن والعفاريت.

ثانيًا هو بيقول إنه رَجَّع كل حاجة مكانها. وحسب كلامك يا نادر، إنت مالاقيتش غير التمثال الصغير بتاع "ست" والصندوق اللي كان فيه الرسالة، ده طبعًا غير التماثيل الكبيرة اللي صعب

تتحرك من مكانها بالمعدات اللي كانت موجودة على أيامهم. يبقى أكيد فيه مكان جوه المعبد لسه ما إكتشفتهوش.

ثالثًا بأه وده الأهم، هو مَقالش قضى عليه ولا لأ، هو قال إنه رجع كل حاجة مكانها وقرا تعاويذ وبعدين قفل المعبد، طيب فين التعاويذ دي؟ أعتقد إنه ماعرفش يقضي عليه، والدليل على كده إنه لسه موجود.

صمت قليلًا ثم أردف قائلًا: يبقى عندنا حاجة من إتنين... إننا ندور على التعاويذ دي ونعمل زي ما عمل ويا دار ما دخَلِك شر، يا إما نشوف طريقة نقضي بيها عليه علشان مفيش حد تاني يتئذي، ونشوف هنعمل إيه في المعبد.

- بدت الجدية على وجه نادر وهو يقول: لأ، نقضي عليه وبعدين نقفل المعبد. ضغط على أسنانه وأردف قائلًا: مفيش حاجة هتريحني غير لما أموته زي ما موت أبويا.

- نظر الدكتور عبد الصبور لنادر مشفقًا فهو يدرك تمامًا ما يعتريه، تنهد قائلًا: يبقى نروح المعبد وندور هناك. طالما الراجل ده ساب رسالة تحذير، يبقى عنده ضمير ومش عايز حد غيره يتئذي. كان ممكن بكل بساطة يقفل المعبد ومالهوش دعوة.

اللي يعمل كده ويسيب رسالة زي دي، لازم يكون سايب حاجة تانية تساعدنا نوقف الكاهن. هو أكيد عارف إن فيه احتمال حد يلاقي المعبد وما يشوفش الرسالة، أو يشوفها وما ياخدهاش على محمل الجد لغاية ما تحصله كارثة.

- سأله نادر في لهفة: يعني ممكن نلاقي التعاويذ دي في المعبد ؟

- مط الدكتور عبد الصبور شفتيه وهو يومئ برأسه قائلًا: احتمال كبير. بس أعتقد إن التعاويذ دي لوحدها مش كفاية.

- نظر له نادر مستفسرًا وهو يقول: قصدك إيه يا دكتور؟

- قصدي زي ما قولتلك، في الغالب التعاويذ دي ممكن توقف الكاهن لكن مش هاتقضي عليه. صمت قليلًا ثم استطرد قائلًا: لكن اللي أنا عارفه، إن فيه حاجات تانية ممكن تعمل ده.

- سأله نادر: حاجات تانية زي إيه؟

شرد بأفكاره قليلًا ثم جلس إلى مقعده أمام جهاز الحاسب الآلي، وشرع في البحث عن أحد الكتب في مكتبته وسرعان ما نهض متوجهًا إلى بقعة بعينها في مكتبته ليلتقط منها كتابًا يبدو عليه القدم بعنوان تاريخ السحر(*).

ابتسم ابتسامة رضا قبل أن يجلس إلى أحد المقاعد، بينما منع حب الاستطلاع نادر من الجلوس فوقف بجواره منحنيًا محاولًا أن يعرف كنه هذا الكتاب.

(*) كتاب تاريخ السحر عام ١٨٧٦م للكاتبة بوليا كريستينا التي عملت أمينة مكتبة مديرية التعليم العام لدى نابليون الثالث. أشار الكتاب إلى بعض أسرار علوم الحضارة المصرية وذكر من بينها معلومات عن كتاب تحوت.

أنهمك الدكتور عبد الصبور في تصفح الكتاب بحثًا عن جزئية بعينها. مضى بعض الوقت حتى تهلل وجهه فرحًا وهو يشير إلى فقرة في إحدى صفحات الكتاب. ما إن وقع بصر نادر عليها حتى طغت على ملامحه خيبة الأمل، وقد أدرك أن ما أشار إليه الدكتور... هو المستحيل بعينه.

*****

- أمام مدخل المعبد وتحت المظلة، جلس كلٌ من سليمان وسعيد يحتسيان الشاي الساخن، رشف سليمان رشفة، ثم نظر إلى سعيد قائلًا: يا عم سعيد لازم نشوف حل في المشكلة دي.

- تنهد سعيد قائلًا: يا بيه الرجالة رافضين يشتغلوا، خايفين من لعنة الفراعنة.

- طقطق بلسانه وزفر في ضيق: يا سيدي قولنا ميت مرة مفيش حاجة اسمها كده.

- رفع سعيد سبابته أمام وجهه وهو يقول: والله ولا ليك عليا حلفان، قولتلهم كده يا بيه، بس الكلام ده مش داخل دماغهم، اللي داير بينهم إن دي لعنة الفراعنة.

- بدا سليمان ممتعضًا وهو يقول: لعنة ولَّا بلا أزرق، والله اللي مش عايز يشتغل يمشي.

- اقترب سعيد بوجهه من سليمان وبصوت أقرب إلى الهمس قال: طيب بيني وبينك يا دكتور، موضوع اللعنة ده بجد ولا لأ؟ حلفتك بالغالي تقول.

- ابتسم سليمان قائلًا: يا عم سعيد مفيش حاجة من الكلام ده. وبعدين تقدر تقولّي إيه اللي حصل للدكتور نادر وخلى الرجالة تقول الكلام الفارغ ده؟

- أجابه في سرعة: أبوه مات.

- مط سليمان شفتيه قائلًا: شيء طبيعي، ناس كتير أبَّهَاتهَا ماتت. حاجة تاني؟

- رفع سعيد حاجبيه وهو يقول: طيب والدكتور فريد؟!

- هز سليمان كتفيه وهو يقول: الله يرحمه، ماله نادر ومال الدكتور فريد! هو كان من بقية أهله!

- رفع سعيد أحد حاجبيه وهو يقول: طيب وبنت أخته اللي في المستشفى؟

- قطب سليمان حاجبيه قائلًا: مالها؟ عايشة والحمد لله. راسها إتخبطت وهي بتعوم، بتحصل... عادي. نهض واقفًا قبل أن تعن لسعيد المزيد من الأسئلة وهو يقول: سيبك بأه من كل الكلام ده وخلّي حد يشغل مَكَنِة الكهرباء.

- نهض سعيد بدوره وهو يسأله: دلوقتي!

- قال متهكمًا: لأ ممكن بعد بكره العصر. ثم ما لبث أن صاح قائلًا: إنت عايزني أموت نفسي يا عم سعيد! أيوه دلوقتي. رشف ما بقي من الشاي دفعة واحدة ثم قال: ياللا شغلوا الماكنة علشان أنا نازل تحت.

مش مهم الرجالة ينزلوا معايا النهاردة، بس إنت إقعد إتكلم معاهم وحاول تهديهم شوية. خلينا نخلص اللي ورانا ونمشي من هنا، مش ناقصة هبل.

لحظات وكانت ماكينة الكهرباء تعمل بكفاءة، والرجال يقفون في الخارج مع سعيد. كان يحاول بث الطمأنينة في نفوسهم، وقد انقسموا ما بين مصدقٍ للعنة ومكذبٍ لها. بينما سليمان وحده داخل المعبد يحاول جاهدًا التغلب على خوفه. فقد اتفق مع نادر على عدم السماح لسعيد أو غيره من العمال بالبحث معه داخل المعبد.

قام سليمان بتشغيل جهاز الموجات الصوتية (السونار) باحثًا عن أية غرف سرية خلف جدران المعبد أو أسفل منه. مضى الوقت إلى أن لفت انتباهه شيء على شاشة الجهاز. قطب حاجبيه وهو يدقق النظر في الشاشة ليتحقق مما يراه.

تسارعت نبضاته من فرط الإثارة ونظراته تتنقل في سرعة ما بين الشاشة والحائط المقابل، حيث بدا جليًا وجود فراغ أقرب ما يكون إلى غرفة صغيرة الحجم خلف ذلك الحائط.

وقف أمام الجدار يتفحصه لعله يجد مدخلًا إلى تلك الغرفة. أخذ يتحسسه بكفه تارةً ويدفعه بكتفه تارةً أخرى، آملًا أن يجد المدخل المنشود ولو من قبيل المصادفة.

- جلس أرضًا وهو يتصبب عرقًا، وقد بلغ منه التعب مبلغه. تحدث موجهًا كلامه للجدار قائلًا: إنت إيه حكايتك بأه! مش ناوي تقولنا الباب فين؟ صمت قليلًا ثم زفر في ضيق، وحدث نفسه بصوت مسموع قائلًا: هو أنا إتجننت ولا إيه؟ بكلم الجدار!

صدرت منه ضحكة ساخرة وهز رأسه قائلًا: أنا سمعت قبل كده دكتور نفساني بيقول مش مشكلة إني أكلم السرير والدولاب، بالعكس دي حاجة صحية. بس المشكلة بأه لو ردوا عليا. رفع أصبع السبابة محذرًا وهو ينظر للجدار قائلًا: إوعى ترُد... هاه... إوعى... أنا بقو...

قطع حديثه بعدما لاحظ شيئًا بأحد الحجارة، إقترب اقترب بوجهه من الجدار. كان هناك نقش غائر دائري الشكل لرمز الشر "ست"، لا يتجاوز قطره العشرة سنتيمترات، تصعب ملاحظته بسبب الرسومات التي تغطي الجدار. نهض واقفًا وأخذ يتفحص جميع الجدران في سرعة بحثًا عن أية حجارة تحمل نفس النقش، إلا أنه لم يجد. وقف أمام الجدار ثم ما لبث أن ارتكز على ركبتيه ليكون في مستوى ذلك الحجر يتفحصه. وجد أن هناك فراغًا بسيطًا يحيط بالحجر من جميع الجهات وكأنما الحجر لا علاقة

له بباقي الحجارة من حوله. تمتم قائلًا في دهشة: معقولة يكون اللي في بالي!

أخذه الحماس وهو يضغط بكفه على الحجر دافعًا إياه إلى الداخل. لم يتحرك الحجر من مكانه. ضغط عليه بكلتا يديه، إلا أن الحجر بقي كما هو لم يتزحزح. تسرب اليأس إليه فجلس أرضًا وخلع نظارته وأخذ يجفف عرقه.

زفر في ضيق وهو ينظر للحجر قائلًا: وبعدين إنت إيه حكايتك؟! خطر على باله أنه ربما يحتاج المزيد من الضغط، اقترب من الحائط وهو جالسٌ على مؤخرته، ثم رفع قدمه واضعًا إياها على ذلك الحجر مستندًا بكفيه إلى الأرض وظهره مائلٌ للخلف قليلًا.

دفع الحجر بقدمه إلا أن شيئًا لم يتغير، كز على أسنانه وهو يدفع بكل قوته حتى احمر وجهه، ونفرت عروقه وكادت أن تنفجر وهو يصدر صيحة مكتومة من حنجرته. فجأة تحرك الحجر للداخل بضعة سنتيمترات واتسعت عينا سليمان وهو ينظر للجدار الذي أصدر صوتًا غريبًا تردد بين جدران المعبد.

*****

- نظر الدكتور عبد الصبور إلى نادر متعجبًا وهو يسأله: مالك يا نادر فيه إيه؟

- حملت ملامحه خيبة أملٍ وهو يقول متهكمًا: بجد يا دكتور! كتاب "تحوت"(*)!

- ابتسم الدكتور عبد الصبور في ثقة وهو يقول: أيوه يا سيدي كتاب "تحوت"، عارف إن الكتاب ماحدش عارف مكانه، وإتقال إنه إتحرق وغرق في البحر وحاجات كتير. وأكيد مش هأقولك إن الكتاب معايا، لإنه فعلًا مش معايا ولا مع أي حد تاني.

- بدت الدهشة على نادر وهو يقول: طيب أُمَّال إيه؟ فين الحل؟

- رفع سبابته قائلًا: أنا قولت إن الكتاب مش موجود عند حد، لكن فيه ناس معاها صفحات منه.

- سأله نادر: ناس مين؟

- ارتسمت على وجهه ابتسامة ثقة قائلًا: ناس أعرفهم. الناس دول ورثوا حاجات أثرية عن جدود جدودهم، حاجات عمرك ما كنت تتخيل إنها موجودة. من ضمنها ورق بردي أصلي من الكتاب ده.

(*) كتاب «تحوت»: واحدٌ من أكثر الكتب المصرية القديمة غموضًا. سمي بهذا الاسم نسبة إلى «تحوت» رمز الحكمة والمعرفة عند الفراعنة. يُعتَقَد أن هذا الكتاب يمنح السيطرة على البحار والأرض والنجوم ويكشف أسرار لغة الحيوانات كما يسمح بإحياء الموتى. لذا اعتبر «مرنبتاح» ابن رمسيس الثاني، أن هذا الكتاب خطير للغاية فقام بإحراقه.

نهض من مقعده ووضع يده على كتف نادر وأردف قائلًا: بص يا نادر، فيه حكمة بتقول" لا يفل الحديد إلا الحديد"، وطالما الكاهن ده بيستعمل السحر، يبقى مفيش حاجة هاتغلبه غير سحر أقوى منه. باختصار لو البرديات دي زي ما أنا متوقع، تبقى هي الحل الوحيد.

- ابتسم نادر ونظر للدكتور عبد الصبور قائلًا: طيب يا دكتور، أنا مع حضرتك في أي حاجة. المهم فين الناس دول؟

- سأله الدكتور عبد الصبور: معاك عربية؟

- أومأ نادر برأسه إيجابًا وهو يقول: أيوه معايا.

- خلع الدكتور عبد الصبور نظارته وشرع في تنظيف عدساتها وهو يقول: طيب كويس. إحنا هنروح بازار واحد صاحبي في وسط البلد، لو فيه حد ممكن يساعد... يبقى هو.

- لحظات وكانا يغادران منزل الدكتور عبد الصبور الذي سأل نادر: إنت راكن فين؟

- أشار نادر ناحية اليمين وهو يقول: راكنها على ناصية الشا...، قاطعه رنين هاتفه المحمول في جيبه، أخرجه ونظر إلى شاشته وسرعان ما ضغط زر الإجابة وهو يقول: ألو، أيوه يا سليمان.

- جاءه صوت سليمان متقطعًا وهو يلتقط أنفاسه

بصعوبة قائلًا: أيوه يا نا...، لاقيت... حجر... ختم... الأوضة.... في المعبد.

- حاول نادر تهدئته قائلًا: يا بني خد نفسك مش فاهم حاجة.

- صمت سليمان محاولًا التقاط أنفاسه، ثم قال: معلهش أصل أنا واخد سلم المعبد جري... ما قدرتش أستنى. بص... لازم تيجي في أسرع وقت.

- بدا التوتر على نادر وهو يسأله: ليه إيه اللي حصل؟

- قال سليمان بصوت غلب عليه الحماس: لقيت اللي بندور عليه، لقيت الغرفة السرية.

- كاد قلب نادر أن يرقص طربًا وهو يسأله في لهفة: بجد يا سليمان؟ وحياة أبوك؟

- قص عليه سليمان ما حدث باختصار إلى أن قال: بس يا سيدي وبعد ما زقيت الحجر برجلي سمعت صوت غريب زي ما تكون حديد أو حجارة بتحك في بعض، ولقيت جزء في نص الحيطة إتفتح زي ضلفتين باب. ما فتحش قوي بقى موارب بس.

- سأله في سرعة: طيب وبعدين؟

- تنهد سليمان وهو يقول: ولا قبلين، حاولت أفتح الباب، ولا إتحرك من مكانه.

- سأله نادر: فيه حد كان معاك يا سليمان؟

- أجابه في سرعة: لأ طبعًا، مش إحنا إتفقنا!

- ابتسم نادر وهو يقول: طيب يا سليمان بكره الصبح هاكون عندك. قالها ثم ودّعه قبل أن ينهي المكالمة.

- تهلل وجهه فرحًا وهو ينظر إلى الدكتور عبد الصبور قائلًا: سليمان لقى الغرفة السرية.

- ابتسم عبد الصبور في غبطةٍ وهو يقول: طيب ياللا بينا مش عايزين نضيع وقت.

*****

- جلست ماهيتاب في غرفة الرعاية المركزة بجوار فراش ابنتها ميار التي مازالت غارقة في غيبوبتها، إلا أن حالتها مستقرة كما توضح القراءات على شاشات الأجهزة المتصلة بجسدها. إفاقتها لبضع ثوانٍ الليلة الماضية كانت كفيلة بأن تبعث في نفس ماهيتاب الأمل بعودة ابنتها لوعيها مرة أخرى.

- كانت تقرأ لها أحد كتبها المفضلة، فهي طبيبة وتعلم جيدًا أن هناك أبحاثًا تفيد بأن المريض في الغيبوبة يسمع، ويشعر بكل ما يدور من حوله. وبينما هي تقرأ، إذ بها تشعر بأن هناك من يقف أمامها ينظر إليها. رَفَعت رأسها لأعلى في سرعة لتجد زوجها السابق حسام يقف أمامها يتطلع إليها مبتسمًا.

- وضعت رأسها في الكتاب مرة أخرى متجاهلة إياه، فإذ به يمد يده مصافحًا وهو يقول: إزيك يا ماهيتاب؟ أخبار ميار إيه؟

- لم ترفع بصرها عن الكتاب، بل تجاهلت يده الممدودة وغمغمت قائلة: الحمد لله.

- احتفظ بابتسامته وهو يقول: ماشي يا ستي بلاش تسلمي عليا، على الأقل طمنيني على ميار.

- نظرت إليه قائلة: ميار زي ما إنت شايف، مفيش جديد. حاجة تاني؟

- سحب مقعدًا وجلس بجوارها، قائلًا بصوته الهادئ: مالك يا ماهيتاب فيه إيه؟

- قالت بنبرة متهكمة: مفيش حاجة، ده بابا مات بس!

- تجاهل لهجتها الساخرة وقال: يا ماهيتاب أنا لسه شاريكي. لو لسه فاكره، إنتي اللي صممتي على الطلاق مش أنا.

- رفعت حاجبيها في دهشة قائلة: علشان تعبت. تليفونات ستات في نص الليل، وتليفونك كله أرقام حريمي ده غير الصور بأه، حدث ولا حرج.

- تنهد قائلًا: مش ذنبي إني دكتور تجميل ومعظم زبايني ستات. غيرتك دي هي السبب في ده كله. طيب أنا راضي ذمتك، عمرك قفشتيني مع حد لا سمح الله؟ ما حصلش ومش

هايحصل. عارفة ليه؟

- أجابته في لا مبالاة: علشان عندك بنت وخايف عليها.

- هز رأسه نفيًا ثم اقترب منها وبصوت أشبه ما يكون بالهمس قال: لأ، علشان بحبك ومفيش واحدة تملا عيني غيرك.

- لمح تلك الابتسامة الخفيفة التي ارتسمت على شفتيها والتي جاهدت لإخفائها وهي تقول: الكلام ده مفيش منه فايدة يا حسام.

- نهض من كرسيه قائلًا: بصي يا ماهيتاب أنا بحبك وعارف إنك لسه بتحبيني. وهو ده اللي خلاني ما أيأسش وأحاول المرات اللي فاتت دي كلها إننا نرجع لبعض. الكلام لسه ما خلصش، ومش هايخلص إلا لما نرجع زي الأول. على العموم الحمد لله إني اطّمنت عليكى وعلى وميار. قالها وغادر غرفة الرعاية.

*****

- جلس كلٌ من نادر والدكتور عبد الصبور بأحد البازارات الموجودة بمنطقة وسط البلد في انتظار وصول صديق الدكتور.

- كان البازار متوسط الحجم، مكونًا من قاعة كبيرة مكدسة بالمعروضات، علاوة على غرفة مكتب الحاج توفيق التي يجلسان بها في انتظاره. والتي تحتوي على مكتبة متوسطة الحجم بها بعض الكتب، علاوة على قطع أثرية تبدو وكأنها أصلية.

- وما هي إلا لحظات حتى فُتِحَ الباب ودلف منه الحاج توفيق، الذي صافح الدكتور في حرارة قائلًا: إزيك يا دكتور، فينك! بقالي زمن ما شوفتكش.

- قام الدكتور عبد الصبور بتقديمه لنادر قائلًا: الحاج توفيق، صاحب البازار. معرفة قديمة. ثم ما لبث أن خاطب توفيق قائلًا: وده بأه يا سيدي الدكتور نادر.

- ابتسم توفيق وصافح نادر قائلًا: أهلًا وسهلًا يا دكتور نادر، فرصة سعيدة. الدكتور عبد الصبور ده عِشرِة سنين طويلة.

- ابتسم نادر قائلًا: أنا أسعد يا حاج توفيق.

- الحاج توفيق، صاحب واحدٍ من أشهر البازارات في منطقة وسط البلد، متوسط الطول ذو جسد متناسق، أسمر البشرة، مما يؤكد انتماءه إلى إحدى محافظات جنوب مصر. شعره المصبوغ باللون الأسود الفاحم وقميصه المفتوح حتى منتصف صدره، يدحضُ أي شك بأنه قد قارب على الستين من العمر.

- له نظرات حادة ثاقبة، تشعر بأنها تنفذ إلى داخلك مباشرة لتكشف أسرارًا كنت تظن أنك قد أجدت إخفاءها. على الرغم من الابتسامة المرسومة على شفتيه، والسبحة الفضية التي في يده، فإن نادر لم يشعر بالراحة وهو ينظر إليه.

- كان هناك شيء ما يزعجه ولا يدري كُنهُهُ. هل هي

نظراته؟، أم الوشم الغريب المرسوم بالحناء على جانب صدره الأيسر والذي ظهر جزء منه وهو يصافحه؟.

- لاحظ توفيق نظرات نادر إلى الوشم على صدره، انتظر حتى انصرف عامل البوفيه مغلقًا باب المكتب من خلفه بعد أن وضع أكواب العصير الذي طلبه منه لضيفيه. نظر إلى نادر وسأله: عجبك الوشم؟

ابتسم نادر ولم يعلِّق، فتابع توفيق قائلًا: ده وشم يانترا(*)، بيحمي من السحر. فيه ناس بتعمله وشم دايم، بس أنا بأفضل أعمله بالحنة، إسبوعين تلاتة وبيختفي ولما أحب... بجيب حد يرسمهولي.

أشار لأكواب العصير قائلًا: إتفضلوا العصير. رشف رشفة من العصير ثم نظر إلى الدكتور عبد الصبور قائلًا: إيه بأه الموضوع اللي عايزني فيه؟

- نظر إليه الدكتور عبد الصبور وأشار لنادر قائلًا: خلِّي نادر يقول أحسن.

- أومأ نادر برأسه إيجابًا، وبدأ يسرد ما حدث معه بالتفصيل. لم يبد توفيق اندهاشًا وهو ينصت باهتمام لما يقوله نادر. كان شديد التركيز، وكأنما لا يريد أن يفوته حرفٌ واحدٌ مما يسمع.

(*) وشم يانترا: هو شكل من أشكال الوشم الذي يمارس في دول جنوب شرق آسيا، ويُعتَقَد أنه وشم سحري يضيف قوة غامضة وحماية لصاحبه ويجلب له الحظ.

- ما إن أنهى نادر حديثه حتى قال توفيق: البقية في حياتك يا أستاذ نادر.

- ابتسم نادر وهو يقول: متشكر يا حاج توفيق.

- أخذ نفسًا عميقًا ثم قال: فيه كام حاجة عايز أسأل عنهم .

- هز نادر رأسه هو يقول: تحت أمرك، إتفضل.

- نظر إلى عينيه وكأنما يتفحصه قائلًا: إنت قولت إن فيه نور ضرب في وشك أول ما بصيت جوه المعبد، صح؟

- أومأ نادر برأسه إيجابًا وهو يقول: أيوه صح.

- تابع قائلًا: طيب تمام، وقولت إن الكاهن قال إن دمك ولا كيانك اختلط بدمه، حاجة زي كده، مظبوط؟

- أطرق نادر برأسه مفكرًا ثم ما لبث أن نظر إليه قائلًا: هو قاللي علشان أنا فتحت المعبد، ودمي اختلط بكيانه.

- هز توفيق رأسه متفهمًا ثم ما لبث أن قال: على العموم ما تقلقش، كل حاجة وليها حل.

نهض من مقعده وعلى شفتيه ابتسامة، ثم توجه إلى أحد أركان مكتبته، جثا على ركبتيه ليسحب أحد الأدراج ويضعه أرضًا، ومن ثَمَّ يمدَّ يده داخل التجويف الذي كان يشغله ذلك

الدرج ليُخرِج علبة خشبية مستطيلة الشكل، يغلب عليها الطابع الأثري بنقوشها الفريدة التي يتخللها بعضٌ من الأحجار الكريمة.

- وضع العلبة على سطح مكتبه، ثم فتحها ليتناول منها في حرص عددًا من أوراق البردي، كل منها موضوعة داخل غلاف بلاستيكي للحفاظ عليها، أخذ يتفحصها واحدة تلو الأخرى، وكلٌ من نادر وعبد الصبور يتابعانه.

- التقط واحدة من أوراق البردي ورفعها أمامهما قائلًا: هي دي الوحيدة اللي من كتاب "تحوت".

- ارتسمت ابتسامة عريضة على وجه الدكتور عبد الصبور وهو يعاين ورقة البردي، ثم أعطاها لنادر الذي تفحصها لتغلب عليه طبيعته العلمية، فيسأل توفيق في لهفة: جبتها منين دي؟ طيب في حد تاني معاه أجزاء من الكتاب؟

- ابتسم توفيق وهو يستعيد ورقة البردي من نادر قائلًا: يا أستاذ نادر خلينا في الموضوع بتاعنا. بكره الصبح بدري نطلع على هناك على طول.

- نظر نادر وعبد الصبور لبعضهما البعض ثم ما لبث الأخير أن سأله في دهشة: هو إنت جاي معانا؟!!

- أومأ برأسه وهو يقول: آه طبعًا، إلا لو فيه حد فيكم بيعرف لاتيني؟

- مط نادر شفتيه قائلًا: لاتيني! هي مش البردية دي هير و غليفي ؟

- ابتسم في ثقة قائلًا: اللي مكتوب في البردية لوحده مش كفاية. لازم نضيف عليه حاجات تانية.

- نظر إليه عبد الصبور مستفسرًا: حاجات تانية زي إيه؟

- تنهد ثم وضع البردية على مكتبه، وأشار ناحيتها قائلًا: ممكن حد فيكوا يقراها ويشوف بنفسه.

- عدل الدكتور عبد الصبور وضع نظارته على عينيه، ووقف هو ونادر يحاولان فك رموز البردية، وعلى مقعده جلس توفيق يراقبهما وعلى جانب فمه ارتسمت ابتسامة.

- مضى الوقت بطيئًا إلى أن قال عبد الصبور: دي مش تعويذة علشان نقضي على الكاهن، دي زي ما تكون بتحصن اللي بيقراها ضد الشر مش أكتر، زي الحجاب بتاع زمان اللي كان فيه ناس بيعملوه.

- اتسعت ابتسامة توفيق وهو يقول: كلامك صح يا دكتور، البردية دي زي الحجاب. إنما قرايتها بس مش كفاية لازم تفضل في جيبك لو عايزها تحميك. أخرج سلسلة مفاتيحه من جيبه ليدس مفتاحًا غريب الشكل في قفل أحد أدراج مكتبه.

- أخرج كتابًا ضخمًا غاية في القدم، صفحاته صفراء مهترئة، وقد كُتبت بخط اليد. وضعه على المكتب ونظر إليهما

قائلًا: هو ده اللي ممكن نقضي بيه على الكاهن. هاه، هانتحرك بكره الساعة كام؟

****

- لم تكد الشمس تشرق حتى كان نادر ومعه الدكتور عبد الصبور في سيارة الأول متجهين صوب المعبد، بينما أصرَّ توفيق أن يتبعهما في سيارته ذات الدفع الرباعي بحجة أن هناك العديد من الأدوات التي يحتاجها معه في هذه المهمة، والتي لن تتسع لها سيارة نادر.

- قضى نادر ليلة هادئة، على عكس ما كان يتوقعه. حمد الله أن ذلك الكاهن لم يقض مضجعه ويفسد عليه ليلته.

- ما إن وصلوا إلى الموقع حتى استقبلهم سليمان، وما هي إلا لحظات حتى كان كلٌ من نادر وسليمان وعبد الصبور ومعهم توفيق داخل المعبد، فيما جلس سعيد وباقي العمال في الخارج في انتظار التعليمات.

- أخذ الدكتور عبد الصبور وتوفيق يتلفتان حولهما، يتفحصان مدخل المعبد، ويبديان إعجابهما بكل ما تقع عليه عيونهما من تماثيل ورسومات. إلى أن وقفا ومعهما نادر داخل المعبد يستمعان لسليمان وهو يسرد ما حدث.

- ما إن انتهى سليمان حتى ارتكز الدكتور عبد الصبور على ركبتيه ليعاين في اهتمام ذلك الحجر المنقوش عليه رمز

الشر "ست"، بينما وقف توفيق بجوار نادر الذي أمسك بكشاف كهربائي مسلطًا الضوء إلى فرجة ذلك الباب الحجري، الذي فُتِحَ نتيجة تحرك ذلك الحجر.

- زفر نادر في ضيق قائلًا: مش شايف حاجة. تنحى جانبًا ليفسح المجال لتوفيق الذي حاول أن يدفع الباب بكتفه. وحذا نادر حذوه، وأخذ يدفع الضلفة الأخرى، دون جدوى.

- فما كان من عبد الصبور إلا أن حاول دفع ذلك الحجر إلى الداخل آملًا أن يؤدي ذلك إلى فتح الباب، إلا أن الحجر لم يتزحزح من مكانه قيد أنملة.

- نهض الدكتور عبد الصبور من مكانه، ووقف أمام الباب، ثم مد يده في حذر إلى داخل تلك الفرجة الضيقة التي بالكاد تتسع لذراعه. أخذ يحرك ذراعهيمينًا ويسارًا آملًا أن يجد مقبضًا أو ذراعًا يسحبها فتفتح ذلك الباب.

- صاح سليمان في ذعر: حاسب يا دكتور، خللي بالك.

- نظر إليه عبد الصبور وقال متهكمًا: فيه إيه يا سليمان؟! هو إنت فاكرنا في فيلم "معبد الموت"(*)!

(*) فيلم معبد الموت (Temple Of Doom): إنتاج عام ١٩٨٤م. يُعَد هو الفيلم الثاني من سلسلة أفلام الشخصية الشهيرة إنديانا جونز التي قدمها للسنيما الممثل الأمريكي هاريسون فورد.

- مضت عدة دقائق وهو يحاول، إلا أن محاولاته باءت بالفشل. طقطق بلسانه وزفر وهو يسحب يده من تلك الفرجة قائلًا: مفيش فايدة.

- وقف الجميع ينظر إلى بعضهم البعض دون أن ينبس أحدهم ببنت شفة، وقد بدأ اليأس يتسرب إليهم. إلى أن قطع نادر الصمت قائلًا: أنا شايف إننا كمحاولة أخيرة، كل إتنين مننا يزقوا ضلفة ونشوف. يمكن الموضوع صعب علشان الباب بقاله سنين طويلة ما إتفتحش.

وقف نادر وعبد الصبور أمام إحدى ضلفتي الباب، بينما وقف سليمان مع توفيق أمام الضلفة الأخرى. وبإشارة من نادر بدأ الجميع في الدفع في توقيت واحد، كان نادر يدفع الباب بكل قوته ويشجعهم طالبًا منهم المزيد من القوة.

نفرت العروق واحمرت الوجوه وتصبب الجميع عرقًا، وعلت صيحاتهم في المكان. وسمع الجميع صوت احتكاك معدني وبدأ الباب يستجيب. مع تحرك الباب دب النشاط في عروقهم وبدأ الجميع يدفع بكل ما أوتي من قوة.

توقف الجميع يلهثون، محاولين التقاط الأنفاس وهم ينظرون إلى تلك الفرجة من الباب التي زاد اتساعها لتتسع لعبور شخص واحد بالجنب. نظر بعضهم لبعض وعلت وجوههم ابتسامة النصر. كان نادر أول من عبر تلك الفرجة وأخذ يتجول بضوء الكشاف داخل الغرفة المظلمة، ثم أشار لبقيتهم حتى يتبعوه.

سرعان ما التقط كلٌ منهم كشافًا كهربائيًا، ودلفوا إلى الداخل واحدًا تلو الآخر.ما إن بددت أضواء الكشافات ظلمة الغرفة حتى اتسعت عيونهم انبهارا.

كانت غرفة صغيرة الحجم تبدو كمقبرة من مقابر أحد ملوك الفراعنة، تغطي جدرانها العديد من الرسومات ذات الألوان الزاهية على عكس الموجودة على جدران المعبد. يتوسطها تابوتٌ ضخم الحجم يعلوه التراب.

قام عبد الصبور وتوفيق بنفض التراب عن أجزاءٍ منه لتتسع عيونهم انبهارا وهم ينظرون لبعضهم البعض، فبالإضافة للنقوش الدقيقة وألوانها الزاهية التي تغطي التابوت، فقد كان التابوت بكامله مغطى بطبقة ذهبية.

إلا أن التابوت الذهبي لم يكن هو الشيء الوحيد الذي جعل عيونهم تتسع انبهارا، فقد كانت المقبرة مكدسة بتماثيل مختلفة الأحجام من الذهب الخالص، علاوة على صناديق تمتلئ بالمشغولات الذهبية والأحجار الكريمة.

شعر الجميع بأن ما يشهدونه ربما يكون أحد أهم الاكتشافات الأثرية في القرن الحادي والعشرين، إن لم يكن أهمها على الإطلاق.

- قطع سليمان الصمت عندما سقط ضوء كشافه على صندوق يعرف شكله جيدًا فأشار إليه قائلًا: نادر، الصندوق ده زي اللي كان فيه الرسالة.

- التفت نادر في لهفة إلى حيث أشار سليمان ثم ما لبث أن انحنى والتقط الصندوق مغادرًا تلك المقبرة. ومن ثَمَّ جلس أرضًا يتفحصه، سرعان ما لحقوا به جميعًا والتفوا حوله يدفعهم فضولهم لمعرفة ما بالصندوق.

كان نسخة من الصندوق الأول إلا أن غطاءه لم يكن مغلقًا. فتح نادر الغطاء في حرص ليجد ورقة قديمة ملفوفة على شكل أسطوانة ومربوطة بشريط في منتصفها. كما توجد ورقة أخرى أسفل منها في قاع الصندوق. أخرجها نادر ليجد عليها رسومات وطلاسم غريبة الشكل، علاوة على كتابات بلغة لا يعرفها.

ناولها للدكتور عبد الصبور الذي عدَّل وضع نظارته وهو يدقق النظر فيها محاولًا فك شفرتها، بينما وقف بجانبه توفيق يدقق النظر فيها، وترتسم على جانب فمه ابتسامة العارف ببواطن الأمور.

فردنادر اللفافة في حرص وبجواره جلس سليمان ينظر إليها محاولًا أن يعرف ما تحتويه. كانت رسالة من الأمير كسابقتها، يقول فيها:

(الثاني من صفر عام 445هـ

من الأمير أحمد بن عبد الله بن عبد النور شيخ الباحثين إلى قارئ هذه الرسالة. بما أنك تقرأ رسالتي هذه، فهذا يعني أحد أمرين لا ثالث لهما.

أما الأول فهو أنك لم تعثر على رسالتي الأولى قط. وأما الثاني فهو أنك قد قرأتها ولم تأخذ ما فيها على محمل الجد. في كلتا الحالتين فإن الأوان قد فات.

لا أدري ما ألمَّ بك؟، ولا كم عزيزًا فقدت؟. ولكن سيأتي يوم عاجل غير آجل، ستتمنى فيه أن تغلق هذا المعبد الملعون لتوقف هذه اللعنة.

فإن كان الأمر كذلك، فستجد في هذا الصندوق ورقة أخرى تحوي التعويذة التي استخدمتها.

إنها كفيلة بإيقاف هذا الشيطان وحبسه داخل المعبد. وهو سبيلك الوحيد لتنقذ نفسك والبلاد من الهلاك القادم لا محالة.

واعلم يا هذا أنني قد برَّأت ذمتي أمام الله.

الأمير أحمد بن عبد الله

الثاني من صفر عام 445هـ

من الأمير أحمد بن عبد الله بن عبد النور شيخ الباحثين إلى قارئ هذه الرسالة.

بما أنك تقرأ رسالتي هذه، فهذا يعني أحد أمرين لا ثالث لهما.

أما الأول فهو أنك لم تعثر على رسالتي الأولى قط. وأما الثاني فهو أنك قد قرأتها ولم تأخذ ما فيها على محمل الجد. في كلتا الحالتين فأن فإن الأوان قد فات.

لا أدري ما ألمّ بك؟، ولا كم عزيزًا فقدت؟. ولكن سيأتي يوم عاجل غير آجل، ستتمنى فيه أن تغلق هذا المعبد الملعون لتوقف هذه اللعنة.

فإن كان الأمر كذلك، فستجد في هذا الصندوق ورقة أخرى تحوي التعويذة التي إستخدمتها استخدمتها.

إنها كفيلة بإيقاف هذا الشيطان وحبسه داخل المعبد. وهو سبيلك الوحيد لتنقذ نفسك والبلاد من الهلاك القادم لا محالة.

وإعلموا علم يا هذا أنني قد برأت ذمتي أمام الله.

الأمير أحمد بن عبد الله

- ما إن انتهى نادر من قراءة الرسالة حتى نظر إلى الدكتور عبد الصبور الذي هز رأسه وابتسم في ثقة، فقد كان ما توقعه صحيحًا. تنقلت نظرات عبد الصبور بينهم وهو يقول: إيه رأيكم يا جماعة؟

- لمعت عينا توفيق وهو يقول: المقبرة دي رهيبة، أنا ما شوفتش زيها قبل كده.

- نظر عبد الصبور إلى سليمان الذي قال: أنا مع الحاج توفيق في اللي قاله، المقبرة فعلًا تحفه. أصلًا المعبد ككل يعتبر كشف أثري صعب يتكرر. لكن برضه كلنا شوفنا التحذيرات، ده غير اللي حصل مع نادر. أنا شايف إننا نعمل زي ما الرسالة بتقول، ونقفل المعبد ويا دار ما دخلك شر.

التفت عبد الصبور لنادر الذي بدا شارد الذهن وهو يفكر في هذا الكشف الأثري الذي ظل يحلم به طوال حياته. ها هو حلم حياته قاب قوسين أو أدنى. ولكن فليذهب الحلم إلى الجحيم إذا كان الثمن هو حياة أمه أو زوجته.

- انتزعه من شروده صوت الدكتور عبد الصبور وهو يناديه،التفت إليه قائلًا: هه، بتقول حاجة يا دكتور؟

- نظر إليه عبد الصبور وقد أدرك ما يدور في خلده فقال: رأيك إيه العمل يا نادر في موضوع المعبد والمقبرة؟

- نظر إليه نادر وهز رأسه في أسى وهو يقول: رأيي إن ما

ينفعش المعبد ده يشوف النور. بالرغم من إن ده حلم حياتي، بس في داهية. أهم حاجة أمي ومراتي، وكفاية أبويا اللي راح وبنت أختي اللي في المستشفى، ده غير الدكتور فريد. وبعدين إحنا جايين هنا علشان نقفله. بنتناقش في إيه دلوقت!

- بدت الجدية على وجه عبد الصبور وهو يقول متعجبًا: بنتناقش في إيه! إنت عايزنا نضحي بكشف أثري بالحجم ده علشان شوية تخاريف!

- امتزج الذهول بالغضب على وجه نادر، فنهض واقفًا وهو يصيح مستنكرًا: تخاريف!! إنت شايف إن كل اللي حكيتهولك ده تخاريف؟!

- أشاح عبد الصبور بيده وهو يقول: مع احترامي ليك، دي كلها أوهام يا نادر.

- نظر إليه نادر شزرًا وكاد أن ينفجر فيه إلا أن سليمان تدخل قائلًا: لو فرضنا إن كلامك صح يا دكتور، وإن دي كلها أوهام، طيب ليه الأمير قال في رسالته إن المجاعة اللي حصلت في مصر كانت بسبب المعبد ده؟

- هز الدكتور عبد الصبور رأسه نفيًا وهو يقول: مفيش دليل على الكلام ده.

- صاح نادر قائلًا: لأ فيه، وإنت عارف كده كويس. وعارف إن الناس احتاروا في أسباب المجاعة لإن اللي حصل ده كان شيء

غريب ومالهوش تفسير.

إنت مش بتفكر غير في الشهرة اللي هاتخدها من كشف زي ده، ومش مهم عندك أي حد يموت.

- خلع عبد الصبور نظارته وأخذ ينظف عدساتها وهو يقول في لا مبالاة: برضه مفيش دليل على صحة الكلام ده.

- احتدم الخلاف ما بين مؤيدٍ ومعارض، نادر وسليمان يؤيدان غلق المعبد، بينما عبد الصبور وتوفيق يعارضان ذلك وبشدة، إلى أن قال توفيق: أنا شايف إننا كده بنضيع وقت على الفاضي. بص يا أستاذ نادر، اللي أنا فاهمه إنك مش عايز تحجِّم الكاهن وتحبسه في المعبد زي الأمير ما عمل، إنت عايز تقضي عليه الأول وبعدين تقفل المعبد. صح؟

- أومأ نادر براسه إيجابًا، وهو يقول: أيوه صح.

- مط شفتيه ثم سأله: طيب إذا قضينا عليه، ليه نقفل المعبد!

- تنهد نادر وهو يقول: هأقولك ليه يا حاج توفيق. تفتكر ليه الأمير رجَّع كل حاجة مكانها وقفل المعبد؟. هو ما كانش يقدر يقضي على الكاهن وياخد الدهب ده كله؟ أكيد يقدر، السحر كان منتشر أيامها، وحتى لو السحرة اللي في مصر مَقدروش، كان ممكن يجيب أجمد سحرة من المغرب.

صمت قليلًا ليلتقط أنفاسه بعدما غلبه انفعاله، ثم أردف قائلًا: لكن هو كان متأكد إن فيه احتمال ولو ضعيف إنه يرجع تاني. ففَضَّل إنه يضحي بكل ده ولا إن حد يموت بسبب...

- قاطعه عبد الصبور قائلًا: هو ما قالش إنه حاول يقضي عليه، هو قال إنه حبسه في المعبد. ممكن يكون خوفه من خسارة حد تاني، منعه من المحاولة.

- أطرق نادر برأسه مفكرًا ثم قال: أنا عارف إن أنا مش هأقدر أمنعكوا من أي حاجة عايزين تعملوها. بس اللي أنا طالبه منكم، إنكوا تدوني ضمانات كافية إننا لو قضينا على الشيطان ده مش هايرجع تاني.

- ساد الصمت لحظات إلى أن قطعه توفيق قائلًا: أنا أضمن لك ده.

- ارتسمت على شفتي نادر ابتسامة ساخرة وهو يقول بنبرة متهكمة: إزاي؟

- هز توفيق رأسه وبنبرة واثقة أجاب: إزاي دي... بتاعتي أنا.

- سأله سليمان: إذا كان الأمير ما عرف...

- قاطعه توفيق في حدة قائلًا: ماليش دعوة بغيري. كل شيخ وليه طريقة. نظر في ساعة يده قائلًا: إحنا ضيعنا وقت كتير من غير لازمه. يالا بينا؟

لحظات وكانوا جميعًا خارج قاعة المعبد يقفون مع العمال في الممر، حيث بدأ كل شيء، وحتى لا يلاحظ العمال وجود الغرفة السرية الملحقة بقاعة المعبد.

ساعد العمال توفيق في نقل صندوقين كبيرين من سيارته، نقلوهما في صعوبة.ما إن وضعوهما أرضًا حتى أعطى نادر تعليماته لسعيد بأن ينتظر هو وعبد الحميد معهم على أن يغادر باقي الرجال المعبد.

ما إن غادر الرجال وفتح توفيق الصندوقين حتى طغت الدهشة على الوجوه، وهم ينظرون إلى أحد الصندوقين الذي احتوى على العديد من الأسلحة المختلفة، ما بين بنادق آلية وخرطوش، بالإضافة إلى السيوف والخناجر التي بدا شكلها غريبًا بالنقوش والرموز المحفورة على نصلها.

أما الصندوق الثاني فكان من ضمن محتوياته، ذلك الكتاب الموغل في القدم، الذي رآه نادر في بازار توفيق بالأمس.

- لاحظ توفيق الوجوم الذي خيّم على وجوههم فارتسمت على جانب فمه ابتسامة ساخرة وهو يقول: كل شيخ وليه طريقة.

- أشار إلى صندوق الأسلحة وأردف قائلًا: كل واحد ياخد السلاح اللي عايزه، بس اللي ما ضربش نار قبل كده، مالهوش دعوة بالبنادق.

تناول كلٌ من سعيد وعبد الحميد بندقيتين آليتين قاما بسحب أجزائهما للتأكد من عملهما، واختار الدكتور عبد

الصبور أن يتسلح بسيفٍ وخنجر، وحذا سليمان حذوه، بينما اختار نادر بندقية خرطوش ذات ماسورة قصيرة وخزنة تسع خمس طلقات من تلك التي تستخدمها الشرطة الأمريكية، فيما يعرف بالـ (Shotgun).

أخرج توفيق من الصندوق الثاني، عددًا من المشاعل، قاموا بتثبيتها على جانبي الممر. ثم ما لبث أن قام بتجهيز حامل لا يتجاوز ارتفاعه مترًا واحدًا ليضع عليه كتابه.

- تجول ببصره بين وجوههم التي تحمل قدرًا لا بأس به من التوتر ثم قال: إحنا كده جاهزين، طقطق بلسانهالتفت إلى نادر وتنهد قائلًا: فين التمثال؟

- التفت نادر بدوره إلى سليمان يسأله: فين التمثال يا سليما ن ؟

- أشار سليمان إلى التمثال الضخم على يمين توفيق قائلًا: في الفتحة اللي يمين قاعدة التمثال، مكان مالاقيته.

- نظر كلٌ من سعيد وعبد الحميد لبعضهما البعض في غيظ، فقد كان التمثال أمام عيونهما كل هذا الوقت.

- جثا توفيق على ركبتيه مقحمًا يده في تلك الفجوة، تذكر نادر ما حدث معه فقال له محذرًا: خد بالك من أنياب التمث... لم يكمل جملته فقد أصدر توفيق صرخة مكتومة، وهو يسحب يده خارج القاعدة وعلى إبهامه سالت قطرة من الدماء.

- نظر إلى نادر الذي هز كتفيه وهو يقول: حاولت أحذرك.

هز توفيق رأسه وهو يزفر، ثم أعاد المحاولة في حرص وما لبث أن أخرج يده وبها ذلك التمثال، نهض واقفًا وهو يعاين التمثال، ثم وضعه أرضًا في نهاية الممر.

بدا أن كل شيء يسير على ما يرام، ماكينة الكهرباء تعمل في كفاءة والإضاءة تغمر الممر، فيما ثُبِتَت المشاعل على الأجناب وقد تم إشعالها. وعلى الأرض بجوار نادر تراصت عدة زجاجات مملوءة بالوقود، وعلى فوهتها قطعة من القماش فيما يعرف "بقنابل المولوتوف".

وقفوا جميعًا جنبًا إلى جنب في بداية الممر، وبيد كل منهم سلاحه، بينما توفيق يقوم برسم بعض الرموز الغريبة على الأرض باستخدام قطعة من الطباشير.ما إن انتهى حتى وقف بينهم واكتست ملامحه بالجدية وهو يقلب صفحات كتابه حتى توقف عند إحداها.

- أخذ نفسًا عميقًا، ثم تمتم بكلمات غير مفهومة. لم تخطئ أذنا نادر تمييز اللغة اللاتينية التي علا صوته بها تدريجيًا وهو يصيح قائلًا:

"أو مالوس سيرفوس دي سيمبرولورام ريدوك إيمحوتيب

دي سيكسهوستيس آمون

إيم إنفولفيت أنتي نوس

إنفيزيكا ريس ميموریاتي

دوكسيت نوس إن إيسبو إنستانتيوس

إبسو إنستانتيوس... إنستانتيوس... إنستانتيوس"

(يا أيمحوتيب احضر خادم رمز الشر- "ست" عدو آمون- اجعله يتجسد أمامنا- قيّده في كيان مادي- احضره أمامنا في التو واللحظة- الآن.. الآن..الآن) (*)

ساد الصمت المكان والجميع يترقب في حذر، بدت البلاهة على وجه عبد الحميد الذي لم يفهم شيئًا مما يدور من حوله، إلا أن سعيد كان على يقينٍ بأنها جلسة لتحضير الأرواح، فهي تشبه إحدى تلك الجلسات التي حضرها سابقًا.

- مضى بعض الوقت وتسارعت نبضات عبد الصبور وعلامات الفزع بادية على وجهه، قبض على السيف في يده وكأنما يمنحه شعورًا بالأمان، وتحدث قائلًا: هو فيه إيه؟ مفيش حاجة حصـ...

- قطع كلامه وهو يشير إلى الأمام فهناك في نهاية الممر كان التمثال الصغير يهتز في قوة ثم ما لبث أن وقع على جانبه، وفجأة علا صوت ماكينة الكهرباء شيئًا فشيئًا حتى كاد

(*) الترجمة

صوتها يصم الآذان، ونادر يصيح بعلو صوته قائلًا: اللُمَض مش هاتستحمل، الكهرباء عالية. لم يكد يتمها حتى بدأت المصابيح تنفجر في صوت مكتوم واحدة تلو الأخرى.

- ما إن انفجرت المصابيح حتى بدأ الذعر على الجميع عدا توفيق الذي بدا هادئًا وهو يقول: خليكوا جنب بعض.

- التفت عبد الحميد إلى سعيد وبصوت مرتعش سأله: إيه ده يا عم سعيد؟! إيه اللي بيحصل ده؟!

- ابتلع سعيد ريقه وحاول أن يبدو متماسكًا وهو يقول: اثبت يا عبد الحميد. خليك راجل.

تحفز الجميعما إن بدأت السحابة تنقشع، مُخَلِّفَةً وراءها شخصًا متشحًا بالسواد، يرتدي قلنسوة ألقت بظلالها على وجهه فلم يظهر من ملامحه شيء. وفي يده عصا غليظة تقارب المترين طولًا. وبجواره يقبع أسدان ضخما الجثة متحفزان، ينظران إلى الأمام في ثبات. انتظارًا لأوامر سيدهما.

بدت إمارات الرعب على وجه كلٍ من عبد الصبور وسليمان، وهما ينظران في ذهول حيث وقف الكاهن ومعه أسداه، فيما توترت ملامح توفيق الذي كان يبدو هادئًا منذ قليل.

- تألقت عينا الكاهن وزاد وهيجهما وهو ينظر إلى نادر في ثبات، ورددت جنبات المعبد صوته وهو يقول: انتظرت هذه اللحظة طويلًا، وقد ساعدتني يا نادر.

- نظر إليه نادر في غلٍ قائلًا: أساعدك! أنا مش ممكن أساعد واحد زيك.

- ردد الممر ضحكاته الساخرة وهو يقول: ألم تسأل نفسك، لماذا نمت بالأمس ملء جفنيك؟ ولماذا لم أزرك الليلة الماضية لإنهاء ما بيننا؟

- نظر إليه نادر ولم يعلق، فقد دارت بخلده بالفعل كل هذه التساؤلات. أردف الكاهن قائلًا: لأنك قد اختصرت لي الطريق. لقد كانت لعنتي أن أحقق لك ثلاث أمنيات حتى تُكسَر اللعنة وأتجسد من جديد. ولكني كنت أعرف أنك لن توافق على الأمنية الثالثة بسهولة.

- صمت قليلًا ثم قال: فبدلًا من ضياع الوقت في إقناعك لكي توافق بطريقة أو بأخرى، آثرت أن أدعك تقوم بما أردته أنا منذ البداية. قمت أنت بكل الطقوس وجعلتني أتجسد من جديد.

وما إن بدأ يتحرك تجاههم حتى فكر عبد الحميد في إطلاق ساقيه للريح، فيما كاد سليمان يسقط مغشيًا عليه. اقترب الكاهن منهم ومن خلفه أسداه اللذان تبعاه في صمت. وقف على مقربة منهم لا تفصله عنهم سوى أمتارٌ قليلة.

- تنقل ببصره بينهم وأردف قائلًا: لقد جمعت كل هؤلاء من أجل القضاء عليّ. ضغط على أسنانه وتألقت عيناه وهو يقول: سأقضي عليهم جميعًا، وستلحق بهم عائلاتهم.

التفت إلى نادر واستطرد قائلًا: أما أنت، فما سأفعله بك سيجعلك تتوسل لكي أقضي عليك، وسأحقق لك ذلك، ولكن بعد أن تشهد مصرع عائلتك كلها أمام عينيك. وما إن قالها حتى زمجر الأسدان في شراسة. تحفز الجميع وقبض كلٌ منهم على سلاحه.

قفز أحد الأسدين فاغرًا فاه مبرزًا أنيابه في اتجاه سعيد الذي رفع سلاحه في حركة غريزية وتردد صوت طلقات تصم الأذان.

تحرك ذلك الوحش بخفة لا تتناسب مع حجمه مطلقًا، متفاديًا الطلقات الغزيرة التي أطلقها سعيد من بندقيته. وبقفزة واحدة أصبح خلفهم مطلقًا زئيرًا مخيفًا. فيما زمجر الأسد الثاني وهو يقترب منهم.

بدأ الأسدان يتحركان في توقيت واحد في شكل دائرة حول المجموعة، فيما وقف الكاهن أمامهم وعلى وجهه ابتسامة ساخرة، وعلى يده تلتف عصاه التي تحوّلت لحية ضخمة تتراقص مطلقة فحيحًا مرعبًا.

- اقترب الكاهن من توفيق الذي رفع بردية كتاب "تحوت" أمام وجهه وأخذ يتمتم بكلمات غير مفهومة وهو يتصبب عرقًا. بينما وقف جميعهم مترقبين وأنظارهم متعلقة بالأسدين. نظر إلى توفيق، وبصوته القادم من أعماق القبور قال متهكمًا: إذا كنت تعتقد أن نسخة مقلدة من كتاب "تحوت" سوف تحميك مني فأنت واهم. قالها ولمس البردية بيده فاستحالت رمادًا.

مد يده إلى الكتاب المفتوح وما إن لامسه حتى سمع الجميع صوت فرقعة كهربائية وسحب يده في سرعة للخلف وعيناه تشتعلان من شدة الغضب. لم يكد يرفع يده التي تحمل الحية حتى انقضت فاغرة فاها تريد أن تغرس أنيابها في عنق توفيق الذي دارت عيناه في محجريهما من شدة الرعب.

- وفجأة توقفت الحية على بعد سنتيمترات من عنق توفيق لتتحول إلى عصا خشبية ثم سقطت أرضًا في عنف. نظر إليه الكاهن وهز رأسه وهو يقول في اهتمام: إذن لقد اتخذت احتياطاتك جيدًا، ووشمت جسدك بوشم "يانترا" لتحمي نفسك.

- مد يده تجاه عصاه التي اندفعت لتستقر في يده ثم ما لبثت أن تحولت إلى حية مرة أخرى. أشار إليهم وهو يقول برنة ساخرة: وماذا عنهم؟ هل وشمتهم أيضاً؟ ودون سابق إنذار وقبل أن يكون لديه أية فرصة ليطلق النار انقضت الحية لتنشب أنيابها في عنق سعيد الذي تهاوى أرضًا وهو يطلق حشرجة مخيفة، ويتحول بعدها لجثة أشبه بالمومياء.

ما إن رأى عبد الحميد ذلك، حتى ألقى سلاحه أرضًا مطلقًا ساقيه للريح محاولًا الفرار، أشار الكاهن إلى الأسدين فتحرك أولهما في سرعة ليثب على ظهر عبد الحميد ويسقطه أرضًا منشبًا مخالبه في ظهره، وهو يطلق زئيرًا تردد في قوة بين جنبات الممر.

بينما وثب الأسد الثاني على عبد الصبور الذي سقط على ظهره من ثقل ذلك الوحش رافعًا سيفه أمامه بحركة غريزية.

ليخترق السيف صدر ذلك الوحش الذي أطلق حشرجة مخيفة ليتجمد في مكانه قبل أن يتحول إلى رماد مغطيًا جسد عبد الصبور الذي أخذ يسعل في شدة بعدما نفذ بعضًا منه إلى رئتيه.

- استغل نادر انشغال الكاهن ليتحرك في سرعة ويرفع بندقيته الخرطوش ويصوبها في صدره ويطلق النار، دوى صوت الخرطوش عاليًا وتراجع الكاهن خطوة للوراء وهو ينظر لنادر في ذهول. لم يتوقف نادر، بل قام بإفراغ الطلقة الثانية وهو يكز على أسنانه قائلًا: دي علشان أبويا.

- تراجع الكاهن خطوة أخرى للوراء ونادر يتقدم تجاهه، مفرغًا الطلقة الثالثة وهو يقول: دي علشان ميار. ثم أفرغ باقي طلقات الخزنة تباعًا في صدر الكاهن الذي تراجع خطوة للوراء مع كل طلقة يتلقاها، ونادر يتابع تقدمه تجاهه. وهو يصرخ: موووووت.

أطلق عبد الحميد صرخة مدوية والأسد ينشب أنيابه في رقبته والدماء تندفع منها في غزارة. وسليمان يراقبه وقد تجمدت الدماء في عروقه من شدة الخوف، وما إن رأى نادر يطلق النار على الكاهن وما فعله عبد الصبور بالأسد الآخر، حتى ألقى بالسيف من يده ليلتقط بندقية عبد الحميد الملقاة على الأرض بجواره مطلقًا النار في غزارة على ذلك الوحش.

ما إن اخترقت الطلقات جسد ذلك الوحش حتى أطلق زئيرًا مخيفًا، وتجمد كتمثالٍ سرعان ما تحول إلى رماد تناثر على ظهر

عبد الحميد الذي بدا مغشيًا عليه، ودماؤه تسيل على الأرض بجواره.

لم يصدق نادر عينيه عندما سقط رداء الكاهن أمامه فجأة، وكأنما قد تبخر صاحبه في الهواء. اقترب من الرداء في حذر ثم رفعه عن الأرض بماسورة بندقيته وبنبرة متوترة قال: راح فين؟

- ساعد توفيق عبد الصبور على النهوض وهو يتلفت حوله في حذر حتى لا يباغته ذلك الشيطان، نظر عبد الصبور إلى نادر قائلًا: إنت قتلته يا نادر.

- بدا نادر متشككًا وهو يقول: لأ، اللي زي ده مايموتش بالسهولة دي.

- ما إن سمع سليمان ما قاله نادر حتى أحكم قبضته على البندقية التي في يده، اكتست ملامحه بالرعب وهو يتلفت حوله في سرعة، دون أن ينطق ببنت شفه.

- بدت الجدية على وجه توفيق وهو يقول: فعلًا، اللي زي ده مش هايموت بسهولة كده. قالها وتصفح كتابه في سرعة، ثم ما لبث أن تمتم بكلمات غير مفهومة وعلا صوته وهو يقول:

"أو ليبوريم أوف توت إنفاليدام راديت مالا سكس سيرفو خارو

إيوس كوربوريس فانيا".

(يا "تحوت" أبطل سحر خادم الشر خارو ست- اجعل جسده فانياً)(*).

- وبينما توفيق يردد تعويذته، إذ بنادر يشير ناحية سليمان ويصيح محذرًا: وراك يا سليمان.

- التفت في سرعة ليجد نفسه وجهًا لوجه مع الكاهن، وبيد هذا الأخير خنجرًا، غرسه في بطنهما إن التفت إليه. استل الخنجر من جسد سليمان، ثم أشاح بيده ليطير في الهواء مرتطمًا بالجدار المقابل، ويسقط أرضًا في عنف. ونادر يصرخ في لوعة قائلًا: سليماااان.

- أدرك توفيق أنه من المؤكد أن ذلك الشيطان لن يدع أحدهم يغادر المعبد على قيد الحياة، وأن السبيل الوحيد لمنع ذلك هو إكمال التعويذة، نحى كل ما يشغل باله جنبًا وعلا صوته قائلاً:

"فيريباس إكسوي

ريموف برايسيديام إيو"

(جرده من قواه- انزع عنه الحماية)(*).

جن جنون الكاهن الذي أشار بيده إلى أحد التماثيل الضخمة، فإذا به يميل ليسقط على توفيق الذي قفز جانبًا متفاديًا إياه.

(*) الترجمة

سقط التمثال محدثًا دويًّا عنيفًا، وعاصفة من الغبار متحطمًا إلى عدة أجزاء، تدحرج أحدها ليرتطم بالحامل ويُسقِط الكتاب أرضًا.

شلت المفاجأة عبد الصبور وهو يرى أحد أجزاء التمثال تتجه ناحيته في سرعة، وسرعان ما سقط أرضًا ليستقر ذلك الجزء على ساقه فيصرخ من شدة الألم.

- تحرك الكاهن في بطء ناحية نادر الذي أمسك في يده شعلة، وأخذ يلّوح بها في وجهه وهو يقول: النار تقضي على الشر.

- ارتسمت على وجه الكاهن ابتسامة ساخرة وهو يقول: إنني أمامك لِمَ لَم تقضِ النار عليّ؟! زاد وهج عينيه وهو يردف قائلًا: سأجعلك تندم على تحديك لي، سأجعل الموت أمنية بعيدة المنال بالنسبة لك.

- أخذ توفيق يزحف في بطء تجاه كتابه، وما إن صار على مقربة منه حتى جذبه إليه. اعتدل جالسًا وأخذ يقلب في صفحاته في سرعة، وهو يلهث من فرط المجهود الذي بذله. وما إن وصل إلى الصفحة المنشودة، حتى تعالت صياحاته قائلًا:

"سابيتو فاسيما

إبسو إنستانتيوس... إنستانتيوس... إنستانتيوس"

(افعلها في التو واللحظة- الآن.. الآن..الآن)(*).

(*)الترجمة

التفت الكاهن إلى توفيق، الذي وضع كتابه جانبًا وأمسك في يده مسدسًا يصوبه إليه مباشرة. ودوى صوت الطلقة في المعبد. لأول مرة يبدو الذعر على وجه الكاهن الذي وضع يده على صدره ثم نظر إلى كفه ليجده مغطى بالدماء.

- ما إن رأى نادر ذلك حتى التقط إحدى زجاجات "المولوتوف" ليشعلها ويلقيها بكل قوة على الكاهن وهو يصرخ: النار تقضي على الشر.

أطلق الكاهن صرخة رهيبة قبل أن يتمتم بكلمات غير مفهومة والنيران تلتهم جسده. فيما أسرع نادر يلتقط إحدى البنادق الآلية ويصوبها إليه ليفرغ فيه ما بقي في خزنتها من طلقات. أما توفيق فقد نهض من مكانه وأفرغ خزنة مسدسه في ذلك الشيطان.

وفي لحظات تهاوى الجسد المشتعل قبل أن يصبح رمادًا ويسقط بجواره تمثال يعرفه نادر جيدًا، تمثال صغير لرمز الشر "ست" فاغرًا فاه ومكشرًا عن أنيابه.

- وقف توفيق ونادر يتطلعان إليه في توجس، ثم ما لبث الأخير أن قطع الصمت متسائلًا في نبرة متوترة: هو راح فين؟ مات؟

- تنهد توفيق وهو يقول: إهدى يا نادر الكاهن مات خلاص، إنت شوفته بنفسك.

- أشار إلى التمثال الملقى على الأرض قائلًا: طيب والتمثال ده، بيعمل إيه هنا؟!

- مط توفيق شفتيه قبل أن ينحنى ليلتقط التمثال، ونظر إليه قائلًا: ولا ليه لازمه، عبارة عن تمثال أثري مش أكتر. الكاهن خلاص ما...

قطع كلامه استغاثة عبد الصبور طالبًا منهما النجدة، أسرعا إليه وتعاونا في إزاحة تلك القطعة الحجرية ليتمكن في صعوبة من تحرير قدمه. اندفع نادر إلى سليمان الذي وضع يده على بطنه وهو يتأوه، فيما تسيل الدماء من بين أصابعه. فيما أسرع توفيق إلى عبد الحميد ليجد أنه ما زال على قيد الحياة إلا أنه يتنفس في صعوبة.

أسرع نادر يصعد السلم وهو ينادي على العمال طالبًا منهم المساعدة في نقل المصابين إلى خارج المعبد، لحين وصول عربة الإسعاف.

تعاون العمال في نقل المصابين، وعادوا مرة أخرى ليقفوا مع سيد أمام جثة سعيد واكتست وجوههم بمزيج من الدهشة والرعب، ولا يصدقون أن هذه المومياء هي ما كان منذ لحظات عم سعيد.

- حاول سيد أن يبدو متماسكًا وهو يقول: ياللا يا رجاله شيلوا عم سعيد، وطلعوه فوق. تردد العمال في تنفيذ ما قاله،

فقد خاف الجميع أن يصيبهم ما أصاب سعيد إذا ما لمسوا جثته.

- أدرك سيد ما يدور في أذهانهم فقال مشجعًا: ياللا يا رجالة، أنا أول واحد هاشيل أهوه. انحنى على الجثة وما إن لمسها حتى تحولت إلى رماد.

ارتد الجميع إلى الخلف وهم يستعيذون بالله، وتسارعوا في مغادرة ذلك المكان الذي وصفوه بالمعبد الملعون.

لحظات وكانت عربة الإسعاف تنقل المصابين إلى أقرب مستشفى. وما إن تحركت حتى اختلى نادر بتوفيق بعيدًا عن العمال الذين وقفوا بعيدًا لا يريدون الاقتراب من المعبد مرة أخرى.

- بدا مظهر توفيق ونادر مغبرًا بعدما خاضا معركة أقل ما توصف به إنها كانت من أجل البقاء. نظر نادر إليه نظرة تقدير وهو يقول: متشكر جدًا يا حاج توفيق على اللي عملته.

- ربت توفيق على كتفه وابتسم قائلًا: لا شكر على واجب. إنت كان عندك حق لما قولت إننا لازم نقفل المعبد.

- ابتسم نادر وأومأ برأسه وهو يقول: للأسف مفيش حل تاني، لازم يتقفل. إحنا نرَجَّع كل حاجة مكانها ونقفله. عادا إلى الداخل مرة أخرى، متوجهين إلى قاعة المعبد، قام توفيق بتصوير رسالة الأمير الثانية على هاتفه المحمول، قبل أن يحاولا

غلق الباب الحجري المؤدي للمقبرة، ولكن دون جدوى.

- زفر نادر في ضيق وهو يقول: صعب جدًا الباب يتحرك من مكانه، حتى الحجر اللي بيفتحه مش عايز يرجع مكانه تاني.

- تنهد توفيق وهو يقول: مش هانعرف نقفل باب المقبرة، أنا شايف إن المهم نرجع التمثال الصغير مكانه وسيب الباقي عليا.

لحظات وكان توفيق قد أعاد الصندوقين إلى سيارته بمساعدة العمال، ووضع نادر التمثال الصغير في مكانه.

وأمام مدخل المعبد، أمسك توفيق بهاتفه المحمول وأخذ يتمتم بالتعويذة الموجودة بالرسالة والتي لم يفهم نادر فحواها. تعاون العمال في إعادة الحجر الضخم ليغلق مدخل المعبد كما كان قبل اكتشافه.

- غادر توفيق المكان بعد أن ودَّع نادر الذي وقف مع سيد قائلًا: سيد، إنت دلوقتي رئيس العمال. عايزك تطمن الرجالة إن كل شيء تمام، وتقولهم إن الإصابات اللي حصلت دي علشان فيه تمثال وقع علينا جوه.

- نظر إليه سيد وبنبرة متشككة قال: طيب واللي حصل لعم سعيد، برضه من التمثال يا بيه!

- لم يجد نادر ردًا مقنعًا، نظر إليه نادر مطولًا وهو يفكر

فيما قاله، لا بد أن يخاف العمال حتى لا تسول لأحدهم نفسه أن يعود إلى هنا مرة أخرى. فهز كتفيه قائلًا: لعنة الفراعنة.

- هز سيد رأسه في أسى وهو يقول: يا بيه إحنا قولنا من الأول إن اللي بيحصل ده سببه لعنة الفراعنة.

- مط نادر شفتيه وتنهد وهو يقول: موضوع لعنة الفراعنة ده طلع بجد يا سيد. ربنا يسترها معانا.

- أومأ سيد برأسه قائلًا: آمين يارب.

- شكر العمال جميعًا قبل أن يصدر تعليماته بأن يغادروا جميعًا إلى بيوتهم لحين الاتصال بهم مرة أخرى. وأسرع هو إلى المستشفى للاطمئنان على المصابين.

الخاتمة

في المستشفى اطمأن نادر على صديقه سليمان الذي تم إجراء الإسعافات اللازمة له، وقال الأطباء أنه محظوظ لكون الجرح لم يصب الكبد أو الطحال. بينما تم عمل جبيرة لساق الدكتور عبد الصبور الذي اتكأ على نادر في طريقه إلى سيارة هذا الأخير ليقله إلى منزله. فيما تم وضع عبد الحميد في غرفة الرعاية المركزة لحين استعادته لوعيه.

- في الطريق لمنزل الدكتور عبد الصبور انطلق رنين هاتف نادر المحمول. لم يكد ينظر إلى شاشته حتى ضغط زر الإيجاب في لهفة. أتاه صوت ماهيتاب مفعمًا بالسعادة وهي تقول: ميار فاقت يا نادر.

- ملأت دموع الفرح مقلتيه، وتهدَّج صوته وهو يقول: الحمد لله يا ماهيتاب. حمدًا لله على سلامتها.

- قالت ماهيتاب: طيب سلام بأه علشان أفرح ماما و... وحسام. قالتها وأنهت المكالمة.

- التفت إلى عبد الصبور وهز رأسه، وعيناه مغرورقتان بالدموع وهو يقول: حمدًا لله ميار فاقت.

- ربت الدكتور توفيق على كتفه، وهز رأسه قائلًا: حمدًا لله على سلامتها يا نادر

*****

- في المستشفى وقفت ماهيتاب بجوار فراش ابنتها التي ابتسمت ابتسامة واهنة وهي تنظر لأمها. وما هي إلا لحظات حتى فُتح الباب ودخل منه حسام الذي اندفع إلى ابنته ليمسك بيدها ويمطرها بالقبلات قائلًا: حمدًا لله على السلامة يا ميرو.

- التفت إلى ماهيتاب التي اختلست نظرة جانبية وارتسمت على شفتيها ابتسامة،ما إن لاحظها حسام حتى اقترب منها وهو يقول: حمدًا لله على سلامة ميار.

- لم تستطع إخفاء سعادتها وردت قائلة: الله يسلمك.

اقترب حسام بيده من يدها في بطء حتى لامسها، ولم يصدر من ماهيتاب أي اعتراض وأصابعه تتشابك مع أصابعها. لم تفارق الابتسامة وجهها، ثم ما لبثت أن أراحت رأسها على كتفه. وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة عريضة، فقد كان هذا اعترافًا منها بأن كل شيء على ما يرام.

*****

- بعد مضي قرابة شهر على الواقعة، وفي منتصف إحدى الليالي، بدت أضواء ثلاث سيارات تتقدم في سرعة، وما هي إلا لحظات حتى توقفت جميعها أمام مدخل المعبد، وترجل منها عدد من الرجال، اقترب أحدهم من إحدى السيارات، وتحدث إلى قائدها قائلًا: هو ده المكان يا حاج توفيق؟

- ترجل توفيق من سيارته، وتلتف ليتأكد من عدم وجود حراسة بالمكان، ثم أومأ برأسه إيجابًا وهو يقول: أيوه هو. أشار إلى حجرٍ مسطحٍ كبير الحجم، وفي لهجة صارمة أردف قائلًا: شيلوا الحجر الكبير ده، ياللا بسرعة، كفاية إستنينا شهر بحاله لحد ما الدنيا هديت.

وما هي إلّا لحظات وكانوا داخل المعبد، وعلى ضوء الكشافات الكهربائية، قادهم توفيق إلى المقبرة التي نقلوا محتوياتها إلى إحدى سيارات النقل خاصتهم. فرغ الرجال من مهمتهم، ولم يتبقَ غير التابوت الذهبي الذي أمرهم توفيق أن يتركوه. فقد كان من الصعب عليهم تحريكه من مكانه دون وجود المعدات اللازمة.

غادر الرجال المعبد ومن خلفهم توفيق الذي تذكر شيئًا فعاد أدراجه، وقف أمام أحد التماثيل الضخمة في ذلك الممر، ومن ثمَّ جثا على ركبتيه، ومد يده في حرص داخل قاعدة ذلك التمثال، ليُخرِج منها تمثالًا صغير الحجم لرمز الشر "ست".

- أمسك به وتطلع إليه محدثًا نفسه: شكلك كده تساوي مبلغ وقدره. قالها ثم غادر هو ورجاله بعدما أعادوا الحجر الضخم ليغطي فتحة المدخل كما كان.

بعد أن اطمأن توفيق إلى أن كل ما حصل عليه من المقبرة تم وضعه في المخازن. تمدد في فراشه فرحًا بما أنجزه. أطفأ نور الغرفة وما هي إلا لحظات حتى كان يغط في سبات عميق.

فتح عينيه فجأة ليجد نفسه واقفًا في مكان يعرفه جيدًا، وكيف لا يعرفه وقد كان فيه منذ ساعات قليلة. تلفت حوله في ذعر ليجد نفسه في ذلك الممر، ومن حوله التماثيل الضخمة لرمز الشر "ست".

- وبينما هو كذلك إذ به يسمع صوتًا وكأنه قادمٌ من أعماق القبور يقول وفي صوته رنة ساخرة: كيف حالك يا حاج توفيق؟

- نظر في ذعر إلى مصدر الصوت ليجد شخصًا يتشح بالسواد، وعلى رأسه قلنسوة تغطي معظم وجهه، بينما يمسك في يده عصا خشبية تقارب المترين طولًا، ما لبثت أن تحوَّلت إلى حية ضخمةالتفت على ذراعه، بينما أخذ رأسها يميليمينًا ويسارًا، مطلقة فحيحًا تنخلع منه القلوب.

- قال توفيق في توتر: إنت عايز مني إيه؟ أنت مش هاتعرف تئذيني، حاولت قبل كده وما قدرتش.

- أطلق ضحكة ساخرة وهو يقول: حدث هذا في عالمك، أما الآن... فأنت في عالمي.

- وضع توفيق يده على صدره وهو يقول: وشم يانترا ها يحميني .

- إقترب الكاهن بوجهه منه، وهو يقول بنبرة متهكمة: عن أي وشمٍ تتحدث؟!

كاد توفيق يمزق قميصه وهو يحاول فتح أزراره في سرعة، وما إن نظر إلى صدره حتى إتسعت عيناه في رعب، فعلى صدره كان الوشم المرسوم بالحناء قد تلاشى.

- نظر له الكاهن وعلى شفتيه ارتسمت ابتسامة متشفية وهو يردف قائلًا: مرحبًا بك في عالمي.

وما إن قالها حتى فغرت الأفعى فاها لتكشِّر عن أنيابها، وفي لمح البصر انقضت على هدفها، وترددت الصرخات في أرجاء المعبد

شكر خاص

أتوجّه بخالص الشكر والتقدير للصديق الخلوق، والزميل إسلام جمال, على آرائه التي أثرت الرواية بصورةٍ كبيرةٍ، علاوة على حرصه الدائم على قراءة ما كنت أكتبه أولًا بأول دون كللٍ أو ملل.